

فؤاد

الصراع العالمي الحديث
في الشرق الاوسط

DATE DUE

4 SEP 1986

OC 30 '58

تجليد
صالح الدقر
بيروت - المزرعة

تقديم

ليس من شك في ان ثورتنا الوطنية المباركة تعتبر ثورة شاملة كبرى فقد بعثت في النفوس روحا جديدة تهدف الى العمل المنتج لبناء مجد هذا الوطن العزيز .

وكان طبيعيا أن تشمل هذه الروح مجلة المدفعية التي بدأت في نشر رسالتها منذ سبع سنوات فقضت بها قفزات عاليات وزادتها قوة على قوة . فبدأت المجلة تجدد وتبتكر فأصدرت في العام الماضي ملاحق منفصلة مع كل عدد من أعداد المجلة تشمل بعض الموضوعات ذات الأهمية الخاصة كما قررت بعون الله تعالى اعتبارا من هذا العام اصدار كتب باسم مطبوعات مجلة المدفعية تتناول بعض الدراسات العسكرية الهامة التي تهتم العسكريين والمدنيين وستصدر تباعا غير مقيدة بمواعيد صدور المجلة وذلك بغرض التوسع في نشر الثقافة العسكرية .

ويسر المجلة أن تقدم باكورة هذه المطبوعات وهي الجزء الأول من موضوع الصراع العالمي الحديث في الشرق الأوسط للسيد البكباشي ! . ح . أحمد عبد المجيد فؤاد أحد أبناء ضباط المدفعية البارزين . وهذا الكتيب يعتبر من أحدث ما نشر عن دراسات الشرق الأوسط باللغة العربية وقد كتبه المؤلف بأسلوب منمق رقيق شاملا لتاريخ وجغرافية المنطقة من الناحية السياسية والاستراتيجية وأهميتها العالمية ثم بحث المؤلف في تحليل وتفصيل المصالح الاستراتيجية لكل من روسيا وبريطانيا وأمريكا في الشرق الأوسط ثم اختتم البحث بالحديث عن الفراغ في الشرق الأوسط وطرق علاجه تبعا لوجهات النظر المختلفة .

ولا يسعني في هذه المناسبة الا ان أعرب بلسان المجلة عن أعظم الشكر وأبلغ التقدير للسيد مؤلف الكتاب لتفضله بتلبية دعوة المجلة للكتابة في هذا الموضوع الهام كما أود أن أتتهز هذه المناسبة وأوجه

للكتابفة فى هذا الموضوع الهام كما أود أن أنتهز هذه المناسبة وأوجه
الدعوة الى السادة الأفاضل من العسكريين والمدنيين للكتابة لنا فى
أهم الموضوعات العسكرية والمشاكل العالمية وخاصة العربية لنوالى
نشرها ولنسير قدما بخطوات راسخة فى هذا البناء الجديد .

وانى اذ أقدم كتابنا هذا الى ضباط المدفعية وغيرهم من ضباط
الجيش والمعنيين بشئون بلدان الشرق الأوسط ، أضرع الى الله العلى
القدير أن يهدينا جميعا سبل التوفيق والعمل النافع .
والله أكبر والعزة لمصر .

صاع

أحمد رأفت بسيولى

رئيس تحرير مجلة المدفعية

فهرس

صفحة

٣	تقديم : رئيس تحرير المجلة
١٠	افتتاحية : للمؤلف

الباب الأول الشرق الأوسط في المعترك الدولي

١٢	مقدمة
١٣	التاريخ الساسى والحربى للمنطقة
١٦	الجغرافيا الساسية والاستراتيجية للمنطقة
١٧	جزر البحر الأبيض وموقعها الاستراتيجى
١٨	أهمية البحر الأبيض المتوسط

الباب الثانى أهمية الشرق الأوسط العالمية

١٩	مقدمة
٢٠	تقسيم الشرق الأوسط
٢٢	عوامل وحدة الشرق الأوسط
٢٢	أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية
٢٦	أهميته الدينية
٢٦	أهميته الاقتصادية
٢٧	تعليق

الباب الثالث المصالح والاستراتيجية الروسية فى الشرق الأوسط

٣٠	مقدمة
٣١	اطماع روسيا التقليدية ونشاطها الساسى فى المنطقة

٣٤	مبررات هذا النشاط
٣٥	أهداف روسيا الاستراتيجية في المنطقة
٣٧	الخطط الروسية المنتظرة
٣٧	خطط الغرب الايجابية المضادة

الباب الرابع

المصالح والاستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط

٤٠	مقدمة
٤٢	المصالح البريطانية في المنطقة : أولا : المحافظة على الطريق البحرى فى قناة السويس
٤٣	والبحر الأبيض
٤٦	ثانيا : الاحتفاظ بمناطق البترول صالحة للعمل
	ثالثا : تكوين خط دفاعى بعمق استراتيجى لمواجهة التقدم
٤٧	الروسى
٤٩	رابعا : الدفاع القوى عن أفريقيا السوداء
٥٢	خامسا : الشرق الأوسط كقاعدة عسكرية
٥٧	سادسا : الشرق الأوسط كمنطقة قواعد جوية
٥٨	سابعا : الهيبة البريطانية
٦٠	موقف بريطانيا ازاء الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط
٦٢	الحلول المفتوحة أمام بريطانيا
٦٣	الخلاصة

الباب الخامس

المصالح السياسية الأمريكية في الشرق الأوسط

٦٥	هل للولايات المتحدة سياسة خارجية فيما يتصل بالشرق الأوسط
٦٧	جوهر السياسة الأمريكية في المنطقة
٦٨	أهمية الشرق الأوسط للولايات المتحدة
٧١	أهداف سياسة الولايات المتحدة في المنطقة

٧٣	استراتيجية وتكتيك السياسة الأمريكية في المنطقة . . .
٧٤	القواعد العسكرية في الشرق الأوسط . . .
٧٦	سياسة أمريكا ازاء اسرائيل . . .
٧٩	أثر اقتصاديات الأقليم . . .
٨١	محاربة الشيوعية في الشرق الأوسط . . .
٨٢	تعليق . . .
٨٣	قوة مركز الزيت . . .
٨٦	أمريكا والدول العربية . . .
٩٠	أمريكا وتركيا . . .
٩٠	أمريكا والباكستان . . .
٩١	الخلاصة . . .

الباب السادس

الفراغ وتوازن القوى في الشرق الأوسط

٩٤	مقدمة . . .
٩٧	معنى كلمة الفراغ . . .
٩٨	ما هو المقصود بتوازن القوى . . .
٩٩	ما هي سياسة أمريكا ازاء نظرية التوازن . . .
٩٩	الحلول المقترحة لملء الفراغ . . .
١٠١	الأسس التي تبني عليها خطة ملء الفراغ . . .
	الحلول المقترحة لسياسة سد الفراغ من الوجهة الاستراتيجية

١٠٢	أولا : السياسة الأمريكية . . .
١٠٤	ثانيا : السياسة البريطانية . . .
١٠٦	ثالثا : رأى معظم دول المنطقة . . .

أولا : المشروعات الدفاعية التي تم إجراؤها

١٠٨	١ - حلف البلقان الجديد : . . .
١٠٩	الظروف التي مهدت للحلف . . .

أهم مبادئ وأهداف الحلف	١٠٩
قوة حلف البلقان الحربية	١١٠
الحلف والخطر الروسى على شرق البحر الأبيض	١١٣
مظاهر الضعف الاستراتيجى للحلف	١١٤
أثر الحلف على فراغ الشرق الأوسط	١١٦
٢ - الكتلة الغربية تعقد ميثاقا عسكريا مع اسرائيل	١١٦
ما يمكن أن يستفيد منه الغرب من اسرائيل	١١٨
٣ - المعاهدة الليبية البريطانية	١١٩
لماذا أيدت أمريكا المعاهدة	١١٩
موقع ليبيا الاستراتيجى	١٢٠
أهم نصوص المعاهدة الليبية والتعليق عليها	١٢١
معاهدة التحالف	١٢١
الاتفاقية المالية	١٢٢
الاتفاقية العسكرية	١٢٤
عيوب المعاهدة الليبية بالنسبة لليبيا	١٢٦
عيوب المعاهدة الليبية بالنسبة للجامعة العربية	١٢٨
أثر المعاهدة الليبية على الدفاع عن الشرق الأوسط	١٢٩

ثانيا : الاقتراحات الغربية لسد الفراغ فى الشرق الأوسط

١ - المشروع الرباعى لقيادة الشرق الأوسط	١٣٢
الدول الغربية تقدم المشروع	١٣٢
أسس المشروع	١٣٢
رفض المشروع	١٣٣
اجراءات الغرب للتغلب على مشكلة الرفض	١٣٤
٢ - منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط	١٣٤
المقصود بتلك المنظمة	١٣٤
مقومات وعناصر التكتل الاقليمى	١٣٥
حالة دول المنطقة والمنظمة المقترحة	١٣٧

- المحاولات الغربية لتكوين منظمة الشرق الأوسط . . ١٣٧
- انهيار مشروع المنظمة والحلول التبادلية المقترحة . . ١٣٩
- ٣ - مشروع الدفاع عن شمال الشرق الأوسط ١٤٠
- سبب تركيز المشروع في الباكستان ١٤١
- موقف الباكستان من المشروع ١٤٢
- موقف روسيا ازاء هذه السياسة ١٤٤
- الهند تهدد وتنذر ١٤٥
- موقف العراق ازاء هذا المشروع ١٤٦
- النتائج التي تترتب على عقد المحالفة العسكرية مع الباكستان ١٤٧
- ٤ - الاتفاقيات الثنائية ١٤٨
- نقض الاتفاقيات الثنائية ١٤٩
- ما هي الدول المراد عقد اتفاقات ثنائية معها ١٥٠
- ٥ - موقف قواعد الشرق الأوسط من مشروعات الغرب الدفاعية ١٥٢
- الرد الايجابي على هذا المشروع وهو تدعيم الوحدة العربية ١٥٣
- رأى القائد العام للقوات المسلحة في هذا الموضوع . . ١٥٤
- الملحق ١ - النصوص الكاملة للمعاهدة الليبية البريطانية ١٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

يشمل ميدان الشرق الأوسط — موضوع بحث هذا الكتيب — كافة البلاد الاسلامية والعربية من الباكستان الى ليبيا . وثروة هذا الميدان من البترول كما نعلم يجعله من اسمى غنائم الحرب الباردة كما انه سيقرر الى حد ما شكل الحرب الحارة في الصراع العالمى بين الكتلتين . ويرى المعسكر الغربى — بزعامة أمريكا — ان عدم المحافظة على وحدة هذا الميدان معناه فتح ثغرة هائلة في الخطوط الدفاعية المحيطة بروسيا السوفييتية — ثغرة ربما أفلتت منها الجحافل الروسية اما صوب الغرب والاطلنطى واما الى الشرق والباسفيكى .

وفى الحالة الأخيرة اذ تترسهم روسيا طريق الغزاة الأول والامبراطوريات القديمة الكبرى تكسب موارد الهند البشرية الهائلة مما قد يغرى البعض برفع هذا الميدان — الشرق الأوسط — الى مرتبة ميدان الحرب الرئيسى .

وفى الحالة الأولى اذا ما وصلت الجحافل الرئيسية غربا الى شمال أفريقيا فانها بذلك تكون قد طوقت دول حلف شمال الاطلنطى وحرمته من أكبر قاعدة استراتيجية يمكن لهذا الحلف أن يعتمد عليها فى عملياته الحربية المقبلة .

ولذلك ليس من المستغرب أن نجد أن فى هذا الميدان تتلاقى الاستراتيجية الحربية لكل من الكتلتين العالميتين :

الاستراتيجية الروسية :

تسعى للوصول الى داخل جبهة الاطلنطى عن طريق البر وبذلك تقطع
الحبل السرى الذى يغذى أوروبا بدم الحياة الآتى من الولايات المتحدة
وبالاستيلاء على الدار البيضاء وداكار يمكنها تهديد كل قلب أوروبا
بقاذفات القنابل من الشرق والجنوب .

الاستراتيجية الغربية :

تهيء لها حيازة القواعد الجوية والبحرية فى هذا الميدان نعم
المعونة فمن هذه القواعد يمكنها توجيه قاذفات القنابل والمقذوفات
الصاروخية والموجهة الى آبار الزيت فى القوقاز . هذا بينما تستطيع من
البلقان بأن تقوم بهجوم مضاد عام على جناحى ومؤخرة الغزو السوفييتى
لشبه الجزيرة الأوروبية — اذا ما هاجمت الجحافل الروسية دول حلف
الاطلنطى — وهذا ما دعا الغرب الى الحىض على عقد حلف البلقان
الجديد للاستفادة بأراضى دوله لتعمل كقاعدة وطيدة للهجوم .

ويعتبر هذا الموضوع من الموضوعات التى يمكن عند دراستها
أن يجد الباحث الكثير من المراجع التى تعاونه فى دراسته سواء
كانت هذه الدراسة جغرافية أو اقتصادية أو سياسية وسواء كانت هذه
المراجع بالعربية أو بالانجليزية . ولكن مع هذا فهناك موضوعات
رئيسية أردت أن أتحمل عبء تقديم دراسات سريعة عنها للعالم العربى
عامة ولضباط الجيش وسلاح المدفعية خاصة ، ويمكن اجمال هذه
الموضوعات الرئيسية فى جملة واحدة هى فى الشرق الأوسط الصراع
العالمى الحديث ومن أجل اخوانى هؤلاء الضباط أقدم هذه الصفحات
وعلمهم يجدون فيها بعض النفع والله وحده الموفق الى الصواب .

والله أكبر والعزة لمصر

فبراير ١٩٥٤

بكباشى ح

أحمد عبد المجيد فؤاد

سلاح المدفعية

الباب الأول

الشرق الأوسط في المعترك الدولي

« الشرق الأوسط جسر استراتيجي
يربط بين أوروبا وآسيا وأفريقيا ..
وخزان هائل يتدفق منه سيل من
البتروول لا ينقطع ... ومجموعة من
الصحارى المقفرة والوديان الخصيبة
والأراضي الغنية بالفوسفات والمنجنيز
والبوتاسيوم .. انه مهد الحضارات
القديمة والديانات الحديثة والمجال
الحيوي للصراع العالمي .. وهو مهد
موطن الأمم الناهضة التي سسيطر
على معظمها الآن رجال أقوياء هدفهم
إقامة ديموقراطية صحيحة ونظام تمثيل
سليم ... »

مقدمة :

كان العالم منذ ثلث قرن عندما يسمع لفظي « الشرق الأدنى » أو
« الشرق الأوسط » يتجه بأنظاره الى البلقان وتركيا ولكن انتهى العصر
الذي كان فيه البلقان هو مستودع البارود في أوروبا وانتقل المستودع
الى الشرق الأوسط وعلى الأخص الى الدول التي نشأت على انقاض
الامبراطورية العثمانية القديمة أو كانت تحاورها .

وقد اختلف علماء الجغرافيا السياسية والاقتصادية ورجال
الاستراتيجية في تحديد المنطقة فبعضهم يصل بها من حافة الهند

فى الشرق الى المحيط الاطلنطى فى الغرب وبين ساحل أوربا الجنوبى فى الشمال الى هضبة البحيرات الاستوائية فى الجنوب وبعضهم يحصرها بين النيل والفرات من الغرب للشرق وبساحل البحرين الأسود والأبيض شمالا ثم يقف عند بحر العرب ومدخل البحر الأحمر فى الجنوب ونتيجة لهذا الاختلاف نشأت مسميات (الشرق الأدنى — الشرق الأوسط — الشرق العربى) وعلى كل حال فلكل دارس لهذه المنطقة أن يختار التحديد الذى يراه ملائما لدراسته ...

ولأغراض هذا البحث — الصراع العالمى حول المنطقة — يمكن اجمالا لا تفصيلا ضم منطقة البحر الأبيض المتوسط لمنطقة الشرق الأوسط لكونهما ميدانين من أهم ميادين الحرب الباردة . وقد أصبحا من وجهة نظر السياسة العالمية فى الوقت الحاضر منطقة سياسية واستراتيجية واحدة وهذه المنطقة برمتها تكون حلقة الاتصال الداخلية بين الممالك الأوربية والممالك الافريقية والآسيوية . ولذلك فإن ما قد يحدث فى جهة ما من المنطقة — ايطاليا أو اسبانيا مثلا — يكون له رد فعل فى المنطقة كلها . ولذا نجد ان بريطانيا قد سلمت منذ القدم بوحدة المنطقة التى تمتد من جبل طارق الى المحيط الهندى استراتيجيا وسياسيا وأيضا روسيا تعتبر ان المنطقة كلها ذات وحدة متجانسة .. وعلى ذلك يمكن القول بأن مستقبل القارات الثلاث والطور التالى فى العلاقات السوفيتية الأمريكية كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بما ستسفر عنه أحداث الشهور والسنوات المقبلة فى هذه المنطقة .

وان هذا الصراع الحالى ما هو الا حلقة أخيرة من تاريخ طويل زاهر بالاحداث يرجع الى ماض مظلم بعيد .. فلقد عرفنا ان الحضارة الغربية نشأت وترعرعت على أطراف المنطقة وفى داخلها قامت امبراطوريات عديدة وتضاءلت وأدى صراعا وتطاحناتها الى ظهور جامعة الأمم الحديثة ...

التاريخ السياسى والحربى

والتاريخ السياسى والحربى لهذه المنطقة — كما يفسره العالم الجغرافى ماكندر — عبارة عن صراع دورى زمنى بين القوتين البرية

والبحرية . وانى لا أود الخوض فى هذا التاريخ ولكنى ألفت النظر بأن المركز الجغرافى للقوة صاحبة السيادة فى العصور السابقة كان على الدوام فى داخل منطقة البحر الأبيض المتوسط وانتقل الآن للدول العظمى التى لا توجد لها شواطىء فى هذه المنطقة .. فإبان القرن الماضى دار الصراع الدولى حول مصالح وسياسات خمس دول كبرى هى بريطانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والأخيرة هى الوحيدة التى تقع فى المنطقة !.. ولكن الحرب العالمية الثانية بدلت تبديلا كبيرا من طابع هذا الصراع فقد رفعت ألمانيا وإيطاليا من قائمة الدول العظمى وضعفت مكانة فرنسا وتبدلت ودخلت الولايات المتحدة المنطقة بدافع السياسة البريطانية وارتباطها الوثيق بها ..

على ان مصالح هذه الدول تختلف اختلافا بينا فلقد نشأت سياسة كل حسب جغرافيتها وسياستها واطماعها وأحوالها الداخلية وعلاقاتها الخارجية وان كان هناك شوط كبير من التنسيق والانسجام بين السياستين البريطانية والأمريكية .. وجملة القول كانت ولا زالت مصالح وسياسات هذه الدول تدور حول المسائل الاستراتيجية والزيت .. فما هى هذه المصالح وتلك السياسات ؟..

وفى الوقت الحاضر نجد ان المعسكر الغربى يتحكم بوسائل عديدة مختلفة فى معظم الزيت ويحتل المراكز الاستراتيجية الأساسية بينما نجد ان سلطان السوفييت يمتد فى شبه جزيرة البلقان كما يشمخ سطوة السوفييت فى أفق تركيا والعراق وإيران ، غير ان المواقع المشرفة على المنطقة لا زالت فى الغالب تقع بعيدة عن قبضة الروس .

والزعماء الروس ، كما قد يستدل المرء ، يودون السيطرة على تلك المواقع الاستراتيجية وكذا الاستيلاء على آبار الزيت فى الشرق الأوسط لأسباب بعضها بدافع التأمين وربما كان البعض الآخر بدافع أغراض أخرى ، فدأبهم وجهودهم المتواصلة فى توغل السلطان السوفييتى ونفوذه فى المنطقة ليست بغير ذات صلة بأهدافهم فى أوروبا وآسيا وفى أى مكان

آخر . ولذا أثارت هذه الجهود قلق الدول الغربية وانزعاجها مما حفزها
لاتخاذ تدابير لمقاومتها كمبدأ ترومان والنقطة الرابعة ..

وتعمل الولايات المتحدة على فرض ان ما قد يحدث في هذه المنطقة
ذو علاقة حيوية بمستقبل سلامتها . وهذا الغرض يدل على نقض تام
لتقاليد سياسة أمريكا الخارجية القديمة (العزلة) ، فقلما حدث في الماضي
ان اعتبر الأمريكيون ما يقع من حوادث في هذا الصقيع من العالم ذى صلة
جوهريّة بسلامة الولايات المتحدة ورفاهيتها . ولذلك فالاتجاه الحديث
في السياسة الأمريكية يثير مجموعة من الأسئلة لبحثها .. فهل تدافع
الولايات المتحدة في المنطقة عن مصالح بريطانية أصلاً ؟ وهل هناك مصالح
أمريكية حيوية بالمثل ؟ وما مقدار أهميتها وما هي صفاتها ؟ وكيف يمكنها
الدفاع عنها ؟ وبأى ثمن أو وسيلة ؟ وما هي النتائج التي قد تترتب على
الجمود والتواني ؟ ..

وموضوعات هذا البحث ستجيب صراحة عن هذه الأسئلة
الاستراتيجية والسياسية . ولكن هناك حقيقة واضحة ستزداد وضوحاً
فيما بعد وهي أن هناك عوامل سياسية واقتصادية واستراتيجية حربية
تتحكم في مصالح وأهداف الدول العظمى في هذه المنطقة وان هناك
تضارباً بين هذه المصالح والأهداف وصراع جدي طويل بينهما وبين
قوميات شعوب هذه المنطقة الحساسة وهذا لا يظهر بصورة واضحة
الا اذا سردنا عجالة مختصرة عن الجغرافيا السياسية الاستراتيجية لهذه
المنطقة عامة ثم الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط خاصة ثم يمكن
الحديث عن أهداف ومصالح وسياسات الدول العظمى في هذه المنطقة
اجمالاً ثم تتبعها بعجالة مختصرة عن تضارب العوامل الخارجية والداخلية
مما سبب وجود فراغ في المنطقة .

وهذا ما سوف يتناوله بحثنا في هذا الكتيب المختصر والله يوفقنا
الى ما فيه الفلاح .

الجغرافية السياسية والاستراتيجية :

تتألف منطقة الشرق الأوسط والبحر الأبيض ، على وجه الاجمال من أربع مجموعات من الأراضي كالآتي : —

١ — أشباه الجزر التي تمتد على طول سواحل البحر الأبيض الأوربية وتشمل اسبانيا وايطاليا والبلقان وتركيا .

٢ — السهل الساحلى الخصيب الداخلى فى صحراوات شمال أفريقيا المترامية وتشمل مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش .

٣ — الحافة الشرقية الخصيبة للبحر الأبيض المتوسط وتشمل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق .

٤ — المنطقة الشبه قاحلة الى شبه الجزيرة القاحلة والأراضى الداخلية فى جنوب غرب آسيا وتشمل باقى بلاد الشرق الأوسط ..

وتتألف الحدود الشمالية لمنطقة البحر الأبيض المتوسط من مجموعة متناثرة من المرتفعات وسلاسل الجبال التي تمتد شرقا عبر أوروبا من البرانس الى القوقاز . والى الجنوب من منطقة مرتفعات الحدود هذه تمتد ثلاث رؤوس كبيرة أو أشباه جزر هي : —

ا — شبه جزيرة ايبيريا وتشمل اسبانيا والبرتغال .

ب — شبه جزيرة ايطاليا .

ج — شبه جزيرة البلقان وتشمل ألبانيا ويوغوسلافيا واليونان وبلغاريا .

وجميع هذه البلاد باستثناء ايطاليا تتفاوت طبيعة أرضها بين المرتفعة والجبلية ولم يكن لاحداها يوما نظاما مناسباً للنقل وكلها منعزل عن أوروبا بسبب حواجز الجبال وعقم وسائل المواصلات .

ويقع قبالة أوروبا عبر البحرين الأبيض والأسود لسان غير عادى من الأرض الخصبة يمتد بدرجات متفاوتة فى صحراء مترامية موحشة . هذا اللسان الخصيب يمتد من مراكش الى تونس مارا بالجزائر وكلما اتجهنا

شرقا كلما اشتد الشاطئء الجنوبي للبحر الأبيض جدبا ففى ليبيا ومصر
تمتد الصحراء حتى حافة البحر فيما عدا دلتا النيل الخصبة حيث يمر
وادی النيل عبر الشريط الخصب من الأراضى المصرية الكثيفة السكان
المتجمعة بالقرب من الوادى .

جزر البحر المتوسط :

جزر البحر الأبيض المتوسط : ولقد أنشأت الطبيعة عبر المياه التى
تفصل أوروبا عن أفريقيا وجنوب غرب آسيا « جسورا » استراتيجية على
شكل اشباه جزر وجزر معلقة (متصلة) فلا توجد بقعة فى المياه الفاصلة
تبعد أكثر من مائتى ميل عن الأرض . واتساع المياه فى بعض الأماكن يقل
كثيرا عنه فى أماكن أخرى فيضيق بوغاز جبل طارق الى ثمانية أميال على
حين يضيق الدردنيل الى أقل من ميل ..

كما تهبىء جزيرة كورسيكا الفرنسية وجزيرة سردينيا الإيطالية
وصلات فى جسر استراتيجى بين أوروبا وشمال أفريقيا حيث لا يزيد اتساع
أية فرجة مائية على ١١٠ ميلا .

أما صقلية التى يفصلها عن البر الإيطالية بوغاز مسينا الضيق فتمتد
الى ما لا يزيد على ٩٠ ميلا من رأس بون فى تونس بينما تقع قاعدة
جزيرة مالطة التاريخية على بعد ٦٠ ميلا جنوبى صقلية فى مركز يشرف
على الحوضين الشرقى والغربى للبحر الأبيض المتوسط ..

وتنتشر الجزر فى بحر ايجه . فجزيرة كريت وهى امتداد استراتيجى
لشبه جزيرة اليونان تقع على بعد ١٧٥ ميلا من أفريقيا ، ١٠٠ ميلا من
جزيرة رودس وأبعد قليلا من هذه المسافة عن الشاطئء التركى .

أما جزيرة قبرص التى تقع على بعد ٢٥٠ ميلا الى الشرق من رودس
فتستر ساحل سوريا ولبنان وتقف موقف النقاط الخارجية على المشارف
الشمالية لقنال السويس .

أهمية البحر الأبيض المتوسط :

وفي العصور الأولى كانت الجيوش الغازية تعبر البحر المتوسط عن طريق هذه الجسور الاستراتيجية الطبيعية . كما حددت هذه الجزر أو « الصخور المتفاوتة » من قبل طرق الغزو من أوروبا الى أفريقيا والشرق الأدنى وبالعكس الى المنافذ العسكرية الجنوبية لأوروبا . كما كانت ذات أهمية كبيرة في الحرب الأخيرة غير ان أهميتها الاستراتيجية تتضاءل أمام ازدياد مدى الأسلحة الحديثة والعمليات الجوية والبرمائية . وقد قيل في تحديد أهمية البحر الأبيض المتوسط « انه لا توجد هناك قارات منفصلة اسمها أوروبا وأفريقيا ولكن هناك قارة واحدة اسمها أورافريقيا والبحر الأبيض المتوسط بحر داخلي فيها وان السيطرة على هذا البحر الداخلي شرط ضروري للحصول على التفوق الاستراتيجي » .

ويستمر امتداد الأرض القاحلة والشبه قاحلة شرقي وادي النيل عبر بلاد العرب الى ايران وما وراءها .

وان هذه المنطقة الصحراوية التي تقطع جزيرة العالم القديم لهما الحد الفاصل بين المنطقة الأوروبية القديمة للدول العظمى ومنطقة التنافس الاستعماري الأفريقية الآسيوية .

وهناك مرفقان للمحيط الهندي يتوغلان في الحاجز الصحراوي : فعند رأس أحد هذين الفرعين — البحر الأحمر — وقد شقت قناة السويس كطريق بحري من البحر المتوسط الى المحيط الهندي .. وعند رأس الفرع الآخر — الخليج الفارسي — تمتد طرق القوافل والطرق البرية والسكك الحديدية غربا عبر وادي دجلة والفرات الى البحر المتوسط وشمالا عبر الجبال الى شاطئ بحر قزوين .

ولقد جعلت هذه الممرات الطبيعية والصناعية من شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط منطقة مرور تاريخية بين أوروبا وشواطئ المحيط الهندي والدول التي تشرف على هذه الممرات لها أهميتها الاستراتيجية الأولى في الشرق الأوسط وهي مصر وايران .

الباب الثاني

أهمية الشرق الأوسط العالمية

« ليس هناك منطقة في العالم
تضارع الشرق الأوسط من حيث
الأهمية الاستراتيجية ... ووقوف
الشرق الأوسط كوحدة الى جانب أحد
المعسكرين العالميين يعد عاملا حيويا
لترجيح كفة النصر لهذا المعسكر » .

مقدمة :

يظهر دور الشرق الأوسط في الصراع العالمي من الكلمات التي قالها
جون فوستر دلاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية وهو يرسم
الخطوط الرئيسية لسياسة أمريكا الخارجية بمجرد اعتلاء الحزب
الجمهوري حكم الولايات المتحدة اذ قال عن الشرق الأوسط ما يلي :
« من الحوادث التي توضح اهتمام الاتحاد السوفييتي بهذه المنطقة أن
ستالين جاهر أثناء مفاوضاته هتلر في مستهل الحرب العالمية الثانية بأنه
يجب اعتبار الشرق الأوسط محورا للنفوذ السوفييتي ولذا قد نص الميثاق
الألماني الروسي عام ١٩٣٩ على اجابة مطلب ستالين ، فاذا سقطت هذه
البقعة الهامة في أيدي أعدائنا الروس - ترتب على ذلك اختلال
توازن القوى وسيطرة الروس على سائر طرق المواصلات بين الغرب
والشرق وبين أوراسيا وأفريقيا الاستراتيجية ... » .

وقبل الكلام عن أهمية الشرق الأوسط من الناحية الاستراتيجية أود
أن أعرض على القراء تحديدا جديدا للمنطقة وتقسيمها سياسيا وثقافيا
لها وهو ما يدخل تحت عنوان تقسيم الشرق الأوسط

تقسيم الشرق الأوسط

ان هذه المنطقة يمكن تقسيمها سياسيا وثقافيا الى قسمين رئيسيين هما : —

أولا — النطاق الشمالى .

ثانيا — القلب العربى .

١ — والقسم الأول يمتاز عن الثانى بأنه ليس عربيا وانه على الحدود المباشرة مع روسيا وقد أثرت هاتان الميزتان فى تشكيل أقداره ومظهره السياسى الحالى ولذلك فانا نرى أن اليونان وتركيا وايران وأفغانستان تختلف كل منهما عن الأخرى فى نواح عدة الا ان وجود المارد الروسى الجبار قد خلق بين بعضها البعض رابطة غير منتظرة — رغم ما كان بينها من حروب وثورات فى الماضى (تركيا واليونان) وذلك لكى يمكنها الوقوف فى وجه هذا العدو القوى .

ومن ثم فقد أصبح هذا النطاق الشمالى الذى يعمره نحو ٤٨ مليوناً من الأتقى بمثابة درع حصين يقى القلب العربى من شر الغزو الروسى ، على اننا اذا نظرنا اليه كخط دفاعى وجدناه غير متوازن القوى حيث توجد به بعض نقاط ضعف فأقوى حلقة فيه هى تركيا وأضعفها هى ايران — لما يوجد فيها من ثورات داخلية .

ويرى المعسكر الغربى ضرورة تشبيه الدور الذى يقوم به هذا النطاق الشمالى بالدور التاريخى لبولندا فى أوروبا ، فقد كانت بولاندا حاجزا يقى المسيحية الغربية من الجحافل الشرقية .. وكذلك تركيا واليونان وبدرجة أقل ايران وأفغانستان ، كل هذه الدول تعتبر حاجزا ضد التوسع الروسى نحو الجنوب — ويرى المتشائمون من هذا المعسكر تشبيهها بنقط خارجية أمام الخطوط الدفاعية .

ولذلك يرى هذا المعسكر أن شعور دول القلب العربى بالأمان من الخطر الروسى يعتبر شعورا خاطئا ؟ فإذا اعتقدت هذه الدول انها بمعزل

عن القوة الروسية ولم تلق بالا لها كعدو رابض متحفز للوثوب ستقع في نفس الحفرة التي وقعت فيها الدول الواقعة خلف بولندا . ولذا يصير هذا المعسكر على ربط هذه الدول بالنطاق الشمالى فى صورة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط .

٢ — والقلب العربى الذى يعمره ما يزيد عن ٤٢ مليوناً من الأتقس يمكن تقسيمه الى قسمين رئيسيين هما : —

١ — القسم الأول — وهو ما أطلق عليه البعض بالهلال الخصيب — ويشمل العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن واسرائيل .

ب — القسم الثانى — ويعرف بمنطقة البحر الأحمر — ويشمل بلاد العرب ومصر والسودان ويضم اليه ليبيا .

فالهلال الخصيب بالرغم من تعدد الأجناس والأديان فيه فان به مظاهر مميزة خاصة تشترك بين كل أجزائه فقد توحدت فى الماضى أكثر من مرة تحت قوة سياسية واحدة .

أما منطقة البحر الأحمر فتختلف عن منطقة الهلال الخصيب ولكنها تحتوى مع ذلك على مقارنات عظيمة فيما بينها . ففي الشرق من هذه المنطقة الرقعة الشاسعة القاحلة من القفار العربية المتخلفة اقتصاديا والفقيرة بالسكان والغنية بالبتروىل . ويحول بين هذه المنطقة وبين الهلال الخصيب مناطق صحراوية مترامية الأطراف كما تفصلها القفار كذلك عن البحر الأبيض المتوسط .

وفى الغرب تقع مصر التى هى كما قال هيرودوت «هبة النيل» ويتكاثر السكان بها حيث توجد الأراضى الخصبة على ضفاف النيل ومن ثم فان كثافة السكان بالدلتا أغزر من كثافة السكان بالصعيد . ولقد كانت مصر منذ القدم ذات ثلاث محاصيل فى السنة الواحدة ولما كانت تمتاز بخصوبة أرضها الفائقة ووفرة مياهها العذبة وطيب مناخها المعتدل وسمو حضارتها العتيقة وما يوجد بها من موارد معدنية كامنة لم تستغل بعد وما يتمتع

سكانها من كفاءات فنية عديدة هذا فضلا عن انها تحتل مركزا ممتازا عبر الطرق التجارية العظيمة مما يجعلها بحق أكثر الدول العربية تقدما ويمكنها بسهولة — وخاصة في عصر نهضتها الحالي — تتزعم المعسكر العربى كما يمكنها أن تستعيد في أقرب وقت مركزها اللائق بها تحت الشمس .

ويقع جنوب مصر مكملها السودان وهو وحدة لا تتجزأ عن مصر من جميع الوجوه .

كما يقع غربها ليبيا العربية هذا القطر الشقيق الذى ما أوشك أن خرج من برائن الاستعمار الايطالى الا وباعه نفر قليل من الشعب الى برائن الاستعمار والاحتلال البريطانى .

ومن الجدير بالذكر أن نضع نصب أعيننا دائما هذا التقسيم السالف الذكر لمنطقة الشرق الأوسط ولكن مع ذلك يجب على المرء ألا ينسى الوحدة الأساسية للشرق الأوسط كما تبرزها في وضوح وجلاء تلك المظاهر الجغرافية والاقتصادية والاستراتيجية للمنطقة كلها كوحدة لا تتجزأ وهذا ممكن اذا أمكن ضمان العاملين الآتين : —

١ — طرد الاستعمار الغربى من جميع هذه المنطقة حتى تصبح جميع دوله حرة ذات سيادة كاملة .

٢ — ضرورة القضاء على هذا اللقيط اسرائيل الذى أوجده الغرب كشوكة في أجناب جميع الدول العربية .

واذا تم لهذه المنطقة تحقيق هذين العاملين — وهيهات ان يتحقق لها ذلك الا بقوة العزيمة واتحاد الشعوب وظهور القوميات الحقبة الصحيحة في البلاد — فهنا يمكن النظر الى منطقة الشرق الأوسط كوحدة استراتيجية متناسقة .

أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية :

يمكن تلخيص أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية في الآتى : —

١ — موقعه الاستراتيجى الهام .

٢ — أهميته الدينية .

٣ — أهميته الاقتصادية .

أولا — موقعه الاستراتيجى الهام :

لقد اكتسب موقع الشرق الأوسط أهميته الاستراتيجية نتيجة للآتى :

١ — موقعه الجغرافى الممتاز :

اذ انه على ملتقى القارات الثلاث الكبرى « آسيا وأفريقيا وأوروبا » مما كان له أثره على السياسة العالمية بين الكتلتين وعلى مبدأ توازن القوى .
فاذا نظرنا الى معظم المنطقة كجزء من آسيا ، فانه يدخل فى نطاق المنطقة الوسطى التى تمتد على طول تلك القارة المترامية الأطراف والتى تقع بين خطى عرض ٣٠° ، ٤٠° تقريبا .

والى الشمال من هذه المنطقة الوسطى تقع كتلة الأراضى الشاسعة من روسيا والى جنوبها توجد أشباه الجزر التى تحد آسيا من الجهة الجنوبية والتى كانت حتى عهد قريب تحت حكم قوى الغرب المباشرة .
وفى الغرب يوجد طريق البحر الأبيض المتوسط الذى تتوقف منفعته للامم التى لا تقع فى حوضه (انجلترا والولايات المتحدة وروسيا) — الى حد كبير — على الوصول الى بوغاز جبل طارق وقنال السويس ومضيق الدردنيل والسيطرة عليها ..

٢ — نقطة التقاء شبكات المواصلات العالمية :

تعد منطقة الشرق الأوسط هى البؤرة التى تتجمع فيها معظم شبكات المواصلات العالمية من جوية وبحرية وبرية ولاسلكية ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام ان كل خط جوى رئيسى يربط آسيا بأوروبا والولايات المتحدة يمر بتلك المنطقة وكذلك الحال بالنسبة للخطوط الجوية بين أوروبا وأفريقيا .

هذا فضلا عن ان هذه المنطقة الحيوية تتحكم فى قنال السويس بوصفها الشريان الحيوى للملاحة العالمية اذ هى طريق بحرى سهل وقصير يصل دول الغرب الصناعية بآسيا الجنوبية الغنية بالقوة البشرية والمواد الأولية والى القارة الأفريقية حيث الخامات الهامة للصناعة كاليورانيوم والمنجنيز والكروم والنحاس .

٣ - موقعه الاستراتيجى فى حلبة الصراع العالمى الحالى بين الكتلتين العالميتين :

وهذا عامل واضح ومفهوم فى تتحكم فى المداخل الاستراتيجية بينهما ولذلك كان من تصوير الحقائق أن يطلق على هذه المنطقة « مقبض نصف الكرة الشرقى » .

لقد كانت تلك المنطقة الوسطى دائما محورا للنزاع بين القوة البرية لروسيا والقوة البحرية للغرب وذلك لأن المنطقة كانت ولا زالت ذات أهمية عظمى للاتحاد السوفيتى .. كمعبر يسمح لروسيا بالتنفس العميق فى اتجاه الجنوب ويصلها الى البحار الدافئة والى الطرق التجارية العالمية الكبرى وذلك عن طريق المداخل الآتية : —

١ — طريق البلقان البرى ويؤدى الى منفذ بحر ايجه (وهنا تبرز أهمية اليونان عامة وسالونيك خاصة) .

٢ — طريق بحر قزوين البرى الذى ينتهى فى تركيا (وهنا تبرز أهمية الاسكندرونة) .

٣ — طريق بحر قزوين البرى الذى ينتهى فى ايران .

٤ — طريق البحر الأسود الدردنيل البحرى .

وهذه المنطقة لها حيويتها الحربية لدول الغرب اذ تهيم لهذا المعسكر سبيل الوصول الى أمهات المناطق الصناعية فى الاتحاد السوفيتى فمنها يمكن توجيه الطعنات الى روسيا خاصة اذا وضعنا موضع الاعتبار تلك التركيزات الصناعية السوفيتية فى منطقة البحر الأسود وجبال الأورال ..

يضاف الى ذلك ان المنطقة اذا ما قورنت بالأجزاء الأخرى فى المنطقة الوسطى بآسيا ، وجد انها أكثر تعرضا للاختراق بواسطة القوة البحرية وذلك لطول وتعرض شواطئها التى تطل على كل من البحر الأسود والأبيض والأحمر والخليج الفارسى .. على انها مع ذلك — نظرا لطبيعة أراضيها الوعرة والصحراوية فى معظم أجزائها — أقلها فى احتمال الوصول اليها عن طريق البر شمالا ، وهذا يفسر لنا بوضوح سر نجاح دول الغرب فى تثبيت أقدامها فى تلك المنطقة دون روسيا .. على ان انعكاس هذه الآلية فى عصر التقدم الفنى الحديث — بفضل تقدم الطيران ومعدات القوات الأرضية الحديثة — أصبح كبير الاحتمال الى درجة فائقة ، فقد تقدمت روسيا فنيا وخاصة فى القوات المنقولة جوا هذا فضلا عن انها تمتاز بمجاورتها المباشرة لدول المنطقة .

والمستعمرات الواقعة فى جنوب آسيا والتى كان فى امكان المعسكر الغربى قبلا استخدامها بكل بساطة كقواعد حرية قد تحررت أغليبيتها منذ عهد قريب فلم تعد مصدر قوة للغرب ، هذا بالاضافة الى ان منطقة آسيا الوسطى التى أضحت منطقة الدول المستقلة الناهضة حديثا قد امتدت نحو الجنوب فأصبحت ذات تأثير فعال على قوة الغرب وازاء ذلك تأثر التوازن الدولى بين المعسكرين فى الأراضى الآسيوية تأثرا خطيرا — ربما كان فى صالح المعسكر الشرقى أكثر منه فى صالح الغرب .

ومن ثم لم يبق أمام الغرب الا القارة الافريقية البكر بخاماتها ومواردها وخطوطها الدفاعية الموزعة بعمق استراتيجى وما تشمله شواطئها الشمالية من قواعد جوية وبحرية ممتازة .. والشرق الأوسط أيضا هو الطريق الوحيد الذى يحمى هذه القارة ويمنع سقوطها فى أيدي الروس ولذا فهو مفتاح الوصول الى تلك الامبراطورية السوداء .

وهذا هو السر الذى يعال لنا سر اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية فى السنين الأخيرة بالعمل على ربط جميع دول الشرق ومن ضمنها دول الجامعة العربية فى صورة منظمة للدفاع عن المنطقة وذلك لمقاومة الضغط

السوفييتى وحتى يهيىء لها هذا التوحيد سد الثغرة الموجودة حاليا في هذه المنطقة الاستراتيجية فيكمل لها حينئذ تحقيق سياستها واستراتيجيتها الحديثة المعروفة بسياسة الحصر .

٢ - أهميته الدينية :

تمتاز هذه المنطقة بمظاهر مميزة خاصة وهى انها مهد الديانات الثلاث وبالتالي فهى مهد الحضارات والبقعة التى شعت منها التعاليم السماوية فتجمعت فيها معظم الأماكن المقدسة وأعرق المعاهد والجامعات الاسلامية التى يحج اليها الناس من كافة بقاع الأرض لذلك فهى محط الأنظار والآمال ولقد دارت على أرضها أعظم معارك الحروب الدينية فى التاريخ الا وهى الحروب الصليبية . كما كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية تحت اسم الزعامة الدينية لآل عثمان كما كانت سوريا ولبنان مجال للنفوذ الفرنسى تحت ستار رعاية الكنيسة الكاثوليكية مما كان له أثره عند احتلال فرنسا لسوريا بعد الحرب العالمية الأولى وتقسيمها الى سوريا ولبنان ثم فلسطين ومشكلتها المعروفة والتى انتهت بقيام اسرائيل .

٣ - أهميته الاقتصادية :

تبلغ مساحة المنطقة حوالى ٤ مليون ميل مربع ويبلغ تعداد السكان بها حوالى ٩٠ مليون نسخة نصفهم من العرب والنصف الآخر من الأتراك والاييرانيين كما يوجد فى قلب المنطقة اسرائيل التى يبلغ تعدادها حوالى ١٥ مليون نسمة .

وما خلا دلتا النيل التى تعتبر أكثر بقاع المنطقة ازدحاما بالسكان فان المنطقة تعتبر على العموم مبعثرة السكان معظمهم يميلون الى النشاط والانتاج الزراعى .

وتتمتاز هذه المنطقة عامة بالموارد الطبيعية المخترنة فى الاقليم وكذلك الى بعض صادراته من الخامات كالقطن فى مصر والحبوب والصوف والجلود فى العراق والمواد الكيماوية فى فلسطين أما الثروة الاستراتيجية

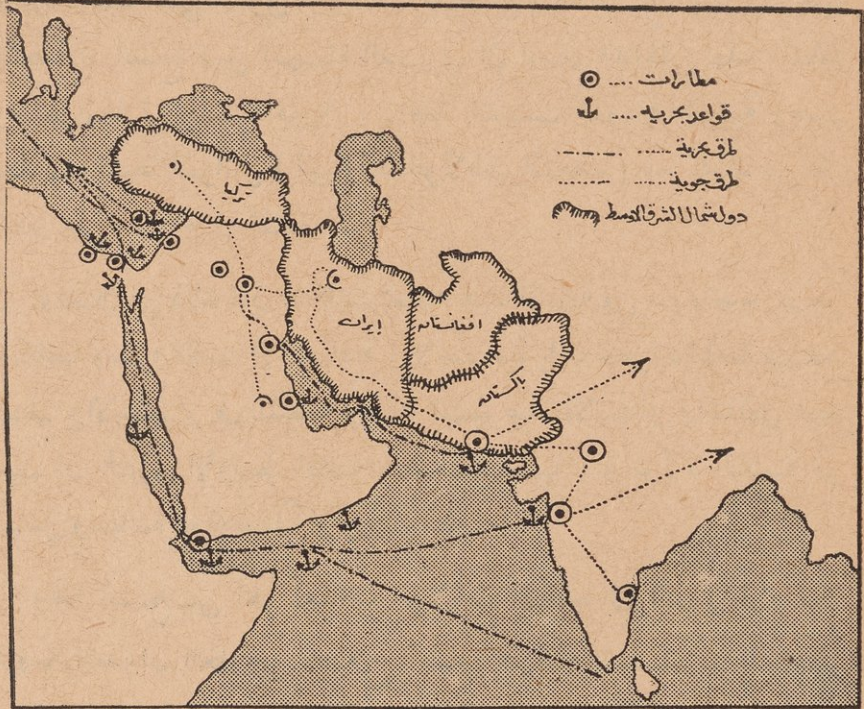
الحيوية فهي البترول الذى يوجد فى العراق والكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية وايران وتعتبر منطقة الشرق الأوسط من أغنى مناطق البترول فى العالم كما تحوى ٦٠٪ من احتياط البترول العالمى .

ويمكن حصر الأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة فى الآتى : —

أ — مجال لأسواق الدول واستغلال رؤوس أموالها .

ب — خاماته وخاصة البترول .

استراتيجية الشرق الأوسط



٣ — تعليق : لكل هذه العوامل ، تتضح أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية ، ولذلك لا تستطيع أية سياسة أجنبية ناجحة اغفال الشرق الأوسط وأهميته بالنسبة لسائر أنحاء العالم وبصفة خاصة دولة العظمى.. فقد كان لا تتهاج الاتحاد السوفيتى سبيل روسيا القيصرية نحو أغراضها الاستعمارية وتماديه فيه ما عرض منذ الحرب سلامة مصالح المعسكر الغربى — الذى تنزعمه حديثا الولايات المتحدة — وأمنه للخطر

وخاصة في هذه البقعة الحساسة ، وناهض موقف بريطانيا الاستعماري في هذه المنطقة وبذلك تهددت المصالح الأمريكية في المنطقة ولذلك قابلت الولايات المتحدة هذا التحدي بسياسة معونة الدول المتخلفة اقتصاديا وبصفة خاصة الدول ذات التهديد المباشر (المجاورة لروسيا) ولذا تضمن مبدأ ترومان الخطوط الرئيسية لتنمية هذه السياسة ومن هذه الخطوط نشأت فكرة حصر الاتحاد السوفيتي ..

ولقد أدركت الولايات المتحدة أن إيقاف الاتحاد السوفيتي عند حدوده المطلة على الشرق الأوسط لن يضمن في حد ذاته الهدوء في هذه المنطقة اذ اتضح قبيل انتهاء الحرب ان السلم الداخلي لهذه المنطقة واستقرارها لن يستتبا فوراً .. ، فقد انتعشت القومية العربية وهبت تحارب وليدها اسرائيل (أى وليد الولايات المتحدة) وما لذلك من أثر خطير على السلام في المنطقة ..

وفضلا عن ذلك فان ما كانت تعافيه هذه المنطقة من سوء تدبير مزمن لحكامها وسوء نظمها الاقتصادية والاجتماعية بات خطرا متفاقما يهدد السلم والاستقرار في المنطقة ويمهد للشيوعية بالانتشار والتغلغل فيها حيث ان الشرق الأوسط اقتصاده ضعيف نسبيا ، والموارد الكامنة لم تستغل وسياسة دوله متقلبة وغير متناسقة .

ولذا أصبح من أهم أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط مقاومة العدوان الخارجي باصلاح أسباب عدم الاستقرار الداخلي وسياستها العامة لبلوغ هذا المأرب تنحصر في انصرافها الى تنمية قوى الشرق الأوسط واستقراره . وهذه السياسة تكيفها عدة وسائل وعوامل ترمى الى سد مطالب وأهداف دول الاقليم نفسه والتي تطالب بحريتها واستقلالها .

كما وان شكل هذه السياسة يختلف من منطقة الى أخرى فالسياسة المتبعة مع اليونان وتركيا وعلى حدود المنطقة الروسية في ايران تختلف

عن الشكل المتبع مع الدول العربية الأكثر بعدا عن الاتحاد السوفيتى .
وهذا ليس معناه ان الأهداف والسياسة العامة تتغير بقدر هذا التفاوت .
والولايات المتحدة فى تنفيذها لسياستها العامة تجد من بريطانيا حليفة
ذات مصالح قديمة فى الشرق الأوسط ولا تختلف سياستها العامة عن
سياسة الولايات المتحدة فيما يختص بمقاومة التهديد السوفيتى للمنطقة
هذا التماثل لا تفسده بأى حال من الأحوال الاختلافات السطحية التى
قد تنشأ عن سياسات معينة .

الباب الثالث

المصالح والاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط

« ان مجرد انضمام أى دولة للحلفاء
مهما تكن الشروط ، فان هذا الانضمام
يعتبر عداء واستعداد ، ويبرر لروسيا
وحليفاتها ان تدخل في حسابها العسكرى
هذا العداء وهذا الاستعداد بغض
النظر عن دورها الفعلى في الحرب ،
داخل الحدود أو خارج الحدود ... »

مقدمة :

كانت وفاة ستالين هذا العام من أبرز الأحداث العالمية . فقد فقدت الكتلة الشرقية بموته ركنا رئيسيا من أقوى الأركان التى قامت عليها ، اذ كان ستالين فى طليعة بناء الشيوعية الدولية وقادتها وبواسطته توجهت السياسة والاستراتيجية الروسية فى الشرق والغرب فامتدت رقعة الكتلة الشرقية من الشواطىء الشرقية لآسيا الى المنافذ الغربية لأوروبا وذلك بوسائل الحرب الباردة ...

وأتى من بعده مالنكوف وقال ان روسيا لا تريد الحرب ولن تسمح باراقة دماء ملايين من البشر ولكن مجرد الكلام لا يغنى شيئا لأن السلام العالمى الذى يبغيه ويقصده مالنكوف هو ذلك السلام الذى يتلقى أوامره من موسكو ... أى أن تعيش دول العالم أجمع فى سلام تحت ظل النظام الشيوعى . ولذلك وان كان يبدو شيئا من اللين الظاهرى فى السياسة السوفيتية الا أن الخطوط الرئيسية لهذه السياسة لم ولن

يطرأ عليها أى تبدل سواء كان حاكم روسيا هو ستالين أم مالينكوف أم بولجانين ...

ولذلك يمكن القول بأن المصالح والاستراتيجية الروسية العالمية عامة وفي منطقة الشرق الأوسط خاصة عبارة عن خليط معقد من الأهداف الروسية القديمة والدوافع الشيوعية الحديثة . ففى بعض الأحيان على الأقل يقتضى زعماء الروس الحاليون آثار القياصرة وتبدو سياسة السوفييت فى هذه المنطقة وفى غيرها فى حلة ماركسية قشبية الا انها تنطوى على عناصرهما دون شك عناصر روسية كما انها شيوعية ومبدئية .

اطماع روسيا التقليدية ونشاطها السياسى فى المنطقة :

ولسنا نجعل مطمع روسيا التقليدى فى السيطرة على المضائق (البوسفور والدردنيل) لتتمكن من التنفس الاستراتيجى الى البحار الدافئة — بين البحر الأسود وبحر ايجه — كذا ذلك الاتجاه الاستعمارى الروسى القديم صوب آسيا الوسطى والجنوبية .

ولقد أعاد المؤرخون ترتيب الصراع البريطانى الروسى فى القرن العشرين وجعلوه منصبا على البلقان ثم الامبراطورية العثمانية فايران . ثم بينوا كيف أن تدخل ألمانيا فى الشرق خفف نوعا من وطأة ذلك الصراع بما تضمنه من مشاريع استعمارية تهدد كل من روسيا وبريطانيا على السواء . ولذلك تطبيقا لمبدأ توازن القوى ، وجدنا أن الحلفاء الغربيين (بريطانيا وفرنسا) كانوا قد وعدوا روسيا بالمضائق وبعض الأراضى التركية جنوبى القوقاز وذلك ابان تلك الحقبة الغامضة من الحرب العالمية الأولى ...

غير أن هزائم الحرب وثورة ١٩١٧ والحرب الأهلية ثم ذلك الصلح المنفرد الذى عقده لينين مع ألمانيا سنة ١٩١٨ كانت سببا فى حرمان النظام الشيوعى الجديد فى موسكو من مقاسمة الحلفاء غنائم النصر . فتشبثت تركيا الحديثة بالمضائق كما كانت الحكومة الروسية من

الضعف بحيث لم تستطع تحديها أو تتحدى ألوية السلام الأخرى التي كانت تفرق على الشرقيين الأدنى والأوسط .

وسترا للحاجة وراء التمسك باهداب السلم وتمشيا مع المبادئ الشيوعية الأولى نبذ ستالين وأتباعه أهدافهم الاستعمارية كلها في الشرق الأوسط لمدة معلومة . ثم عملت روسيا السوفيتية على تنمية أوامر الصداقة مع جاراتها الضعيفة دون أن تسعى الى هدم استقلالها فعقدت معاهدات عدم اعتداء مع تركيا سنة ١٩٢٥ وأفغانستان سنة ١٩٢٦ وإيران سنة ١٩٢٧ وصار توطينها كلها سنة ١٩٣٣ .

ولم تبدى الحكومة السوفيتية في تلك الفترة أية محاولة جديّة لتحدي القبضة القوية التي كان الساسة البريطانيون قد قبضوا بها على زمام الأمور في الشرق الأوسط أثر الحرب العالمية الأولى . وظل نشاط روسيا في هذه المنطقة على هذا المنوال الى ما بعد المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية حيث بدأ منذ سنة ١٩٤٣ ينمو نموا سريعا بشكل شديد الأضرار بالمصالح البريطانية القديمة وبالمصالح الأمريكية التي زادت حديثا في هذه المنطقة .

وعقب الحرب العالمية الثانية بدأت روسيا تتحدى الغرب لأنها ظلت رغم انتهاء الحرب محرومة من حرية التنفس بنسيم البحار الدافئة من خلال مضائق تركيا وشواطئ اليونان وبرزخ إيران لتصل الى البحر الأبيض والمحيط الهندي

ولذلك احتلت قوات الجيش الأحمر شمال إيران أثناء الحرب لتحويل المعونة الأمريكية إليها — ولتعد العدة للصراع بعد الحرب من أجل السيطرة على تلك البلاد ذات الأهمية الاستراتيجية الممتازة بفضل ثروتها البترولية وموقعها الجغرافي الممتاز .

كما بذلت المعونة السياسية وقدمت بعض المساعدات العسكرية لحركات المقاومة التي قام بها الثوار في اليونان ويوغوسلافيا وألبانيا أثناء الاحتلال الألماني فتمكنت على أثر تفهقر الألمان من سد الفراغ الذي

أوجده انسحاب الألمان من البلقان وملأته بنظم شيوعية وثيقة الارتباط بموسكو إلا أن الحلفاء أسرعوا وقابلوا هذا التحدى بانزال قواتهم في أراضى اليونان — وهى الدولة الوحيدة التى نجت من سيطرة الشيوعية عليها وهذا يعد نصرا سياسيا واستراتيجيا للمعسكر الغربى .

ولم يكتف ساسة الروس بذلك النشاط بل عادوا مرة ثانية لاثارة موضوع المضايق سنة ١٩٤٥ بعد أن انتهى ما بينها وبين تركيا من معاهدة عدم اعتداء وانتعشت موسكو وراحت تلحف فى مطالبها القديمة بمقاطعاتها فى قارص واردهان المجاورتين للحدود السوفييتية وانشاء قاعدة روسية فى أعالى البوسفور وجعل منطقة المضايق تحت الحكم الثنائى الا أن ذلك لم يتحقق .

ثم بذلت الجهود لقلب الحكومتين العراقية والارانية وضم هاتين الدولتين الى الدائرة السوفييتية . وعلى هذا المنوال سارت السياسة السوفييتية فى جميع أنحاء الشرق الأوسط ، فكانت حكومة موسكو تعمل جاهدة بواسطة الدعاية والثورات وكذا بالضغط السياسى تارة والعسكرى تارة أخرى لتبلغ فى هذه المنطقة ما بلغته فى شرق أوروبا — من تقوية حدودها الاقليمية ومدها الى البحار الدافئة فى الجنوب واعادة تنظيم منطقة الشرق الأوسط بوضع السلطة فى يد حكومات شيوعية محلية خاضعة لموسكو .

كذلك نشطت السياسة السوفييتية فى البحر الأبيض فقد طالب الكرملين بالآتى : —

ا — الحق فى انشاء قواعد عسكرية فى جزر الدوديكانيز .

ب — الاشتراك مستقبلا فى ادارة المستعمرات الايطالية فى أفريقيا (منها ليبيا التى استقلت الآن ووقعت اتفاقية مع انجلترا) .

ج — صوت فى ادارة مدينة طنجة الدولية .

وكان الشيوعيون الايطاليون يعملون جاهدين بايعاز من موسكو على ادخال بلادهم فى الدائرة السوفييتية متخذين الدعاية والاعتصاب وأعمال التخريب والارهاب والانتخابات الدستورية أسلحة لبلوغ غرضهم ... كذلك سار شيوعيو فرنسا على هذا المنوال .

مبررات هذا النشاط :

أما ماذا يعنى هذا النشاط كله فموضوع نقاش لا حد له ، ولكن يبدو من المؤكد أن حالة كهذه تثير شعورا عميقا من القلق الذى لا يمكن على ما يظهر علاجه ويمكن تلخيص هذه المبررات فى النقاط الرئيسية الآتية : —

ا — لا سبيل لجنوب غرب روسيا الى المحيطات الا عن طريق البحر الأسود وبحر ايجيه والبحر المتوسط وهنا تبرز أهمية الدردنيل والبسفور ثم سالونيكاثم تريستا كما يجب الا ننسى أيضا أهمية الطريق البرى الموصل الى الاسكندرونة .

ب — لا بد لمن يبغي الوصول الى المحيط الهندى من جنوب روسيا أن يقطع جبال وصحارى ايران والعراق .

ج — ان الموقع الجغرافى لموارد روسيا من الزيت والفحم والحديد الخام فى جنوب أراضيها مما يجعل أغنى مناطق بلادها الصناعية على مقربة من الحدود الجنوبية والتي تسيطر على كثير من القواعد الجوية فيها دول الكتلة الغربية .

د — كان لتدمير قوة ألمانيا وانشاء منطقة من دول الأذنان فى أوربا الشرقية أن تقوّت حدود روسيا الغربية الى حد كبير بعد أن كانت فيما مضى أضعف حدود السوفييت ولكن عملية هزيمة ألمانيا سببت خلق فراغ فى المنطقة الغربية مما يعطى لروسيا فرصة تأمين حدودها الغربية .

ه — ان منطقة الشرق الأوسط — فى حد تعبير العالم الغربى — ثغرة استراتيجية واسعة بين نظام التكتلات الاقليمية فى الغرب والشرق

وذلك بسبب مشاكله الحيوية التي ما زالت معلقة بفضل سياسة الاستعمار الغربى ، الأمر الذى لم يشجع على تجانس وتنسيق الموارد والجهود والقوى المادية والمعنوية والعسكرية لتكوين كتل اقليمى قوى يسد هذا الفراغ القائم ، والذى يسهل جدا على أية قوات معادية قوية كروسيا أن تتجازه فى سهوله ويسر ... لذلك دخلت الولايات المتحدة هذا الاقليم حديثا لدواعى سلامتها الخاصة وعملت بكافة وسائلها على الاهتمام بالقواعد الجوية فى هذه المنطقة من الباكستان الى المغرب الأقصى ولذلك تحولت نقطة الضعف فى الحدود السوفييتية من الغرب الى الجنوب .

و - اذا ما تمكنت روسيا من النجاح فى هذه المنطقة فبإمكانها حينئذ تثبيت الجناح الغربى عند دول الاطلنطى ثم تطويقها بالزحف سريعا صوب شمال افريقيا وهنا تفتح تلك القارة البكر - افريقيا - على مصراعها لدخول السوفييت فى المستقبل .

اهداف روسيا الاستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط :

يعتقد العالمون ببواطن الأمور فى الاستراتيجية العالمية بأن أغلب مسلك روسيا فى هذه المنطقة بعد الحرب « يمكن أن يعتبر ولا هدف محدد له سوى قلقلة النفوذ البريطانى والامريكى فى هذه المنطقة مع لحجم عود السياسة الانجلو أمريكية فيها » . وكلما تحددت المصلحة الأمريكية تحديدا ظاهرا فى هذه المنطقة وكلما كانت هذه المصلحة متطابقة مع المصالح البريطانية أو كانت مؤيدة لها كلما ازداد الضغط السوفييتى قوة على هذه المنطقة ولعل فى خطاب مالنكوف الأخير فى شهر أغسطس الماضى توضيحا لهذه السياسة اذ نصح الدول العربية بالتزام الحياد وبأن تجعل من أسس سياستها عقد معاهدات حسن الجوار مع روسيا... وهذه النصيحة عبارة عن فتوى ونذير معا ... ومن مصلحة روسيا أن يظل الموقف مضطربا فى هذه المنطقة ولذلك نجدها قد شجعت على قيام اسرائيل فى داخل المنطقة ...

وعلى كل حال ففى الشرق الأوسط من الأهداف الاستراتيجية التى تطمع روسيا فى تحقيقها مما يجعلنا نتوقع مضاعفة اهتمامها بها سواء بطريقتها التقليدية — الحرب الباردة — أو بطرق أخرى قد يكون الغزو احداها ... ويمكن تلخيص هذه الأهداف فى الآتى : —

أولا : تكوين كتلة قوية متماسكة من دول شرق أوروبا لتهديد دول حلف البلقان والوصول بقواتها الى الشواطىء اليونانية وذلك مع تطوير تركيا من الجنوب لضعاف مقاومتها أمام التهديد المباشر من البلقان وكل ذلك للوصول الى الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض دون التورط فى معركة بحرية مباشرة لاجتياح المضائق واقتحامها .

ثانيا : الاستيلاء على مركز المواصلات البرية والبحرية بين دول حلف الاطلنطى ودول الباسفيكى وبين دول جنوب وشرق أفريقيا حيث تتركز فى أفريقيا وآسيا خامات الحرب اللازمة لموضوع الاستمرار فى الحرب .

ثالثا : حرمان الكتلة الغربية من موارد الزيت وخاصة فى الشرق العربى والخليج الفارسى أو على الأقل من سرعة وأمان نقله من مصادره فى هذه المناطق الى مناطق استخدامه فى غرب أوروبا .

رابعا : معاونة الطبقات اليسارية المتطرفة الساخطة فى بلاد الشرق الأوسط — وخاصة فى ايران — وشد أزرها بكافة الوسائل لدعم الحركة الشيوعية وتحقيق الغاية المذهبية المطلوبة .

خامسا : محاولة التوغل فى مناطق الخامات فى القارة الافريقية وبعد الاستيلاء عليها تكون هذه هى آخر المرحلة الأولى استعدادا للمرحلة الثانية والأخيرة وهى الهجوم على أمريكا الجنوبية — البرازيل — من شواطىء افريقيا الغربية فيتيسر لها بذلك تهديد الولايات المتحدة من اتجاه الجنوب — خاصة وانها علاوة على استفادتها من خامات الحرب اللازمة ومنع أمريكا من الاستيلاء عليها

فانها فى هذه المرحلة أيضا تكون قد انتهت من الاستيلاء على دول غرب أوروبا وما تمتلكها من أساطيل بحرية .

الخطط الروسية المنتظرة :

وبذلك يمكن استخلاص خطط الغزو الروسية المنتظرة للمنطقة واتجاهات تقدمها ليتمكن بحث خطط الغرب لمواجهة هذا العدوان ويمكن اجمال الخطط الروسية المنتظرة كالآتى : —

أولا : الانحدار جنوبا عبر الأراضى الإيرانية والعراق وذلك للاتجاه شرقا الى الهند أو غربا الى شمال أفريقيا .

ثانيا : الانحدار جنوبا عبر أراضى البلقان للاستيلاء على اليونان وكريت وقبرص ثم تهديد شمال أفريقيا بهجوم الفرق المحمولة جوا .

ثالثا : الزحف الى الاسكندرونة بالهجوم على تركيا أو تطويقها عبر سوريا والعراق .

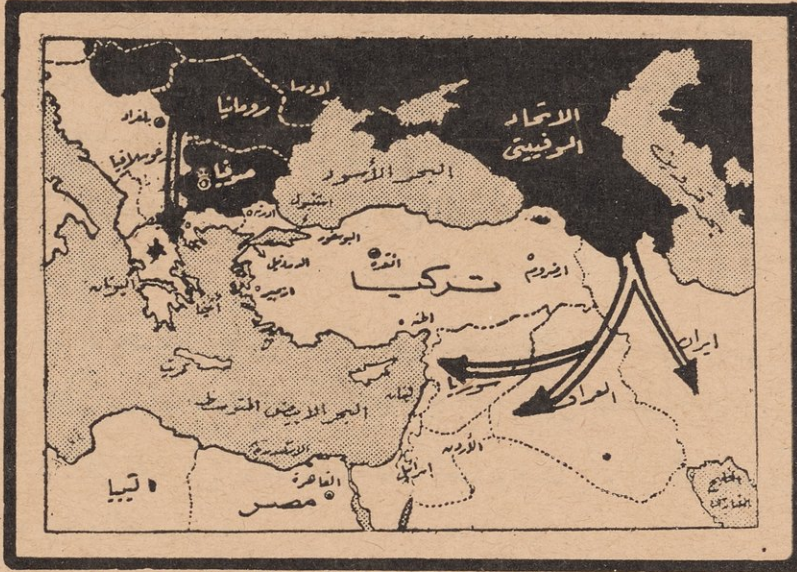
وقد يبدو ان هناك ما يشبه الاستحالة المادية لتنفيذ هذه الخطط مجموعة ، بيد ان هذا الظن يزول اذا علمنا ان مجموعة الجيوش الروسية التى تقيم حاليا فى منطقة أعالى القوقاز تقدر بحوالى ٣٠٠ فرقة وهناك وراءها ما يشد أزرها من القوات المتحالفة معها من دول شرق أوروبا خاصة واذا اتخذت روسيا الخطة الدفاعية فى تثبيت دول حلف شمال الأطلسى بأقل عدد ممكن من القوات .

خطط الغرب الايجابية لمواجهة هذا العدوان المنتظر

أولا : يمكن اقبال منفذ روسيا الجنوبى الغربى الى المحيطات من مراكز متطرفة كجبل طارق وعدن .

ثانيا : اقحامه أيضا من القواعد البحرية القريبة من الأرض السوفيتية والموجودة بكثرة فى شرق البحر الأبيض .

ثالثا : بواسطة شن غارات جوية عنيفة من القواعد الجوية المنتشرة في كثير من أنحاء المنطقة وتهديد آبار الزيت والمدن الصناعية في القوقاز وأوكرانيا .



الخطط الروسية العدائية المنتظرة في الشرق الأوسط

رابعا : يطمع الغرب في تكوين منظمة دفاعية عن الشرق الأوسط تضم دول المنطقة وتنسق خطط عملياتها مع دول حلف الأطلسي وفي هذا توطيد لقوة انجلترا وأمريكا في هذه المنطقة الاستراتيجية الأمر الذي يؤمن جبهة الأطلسي على جناحها اليمين ...

خامسا : تقوية الخط الدفاعي الشمالي للمنطقة وذلك بعقد حلف البلقان الجديد ومحاولة ربطه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو باتفاقات ثنائية مع كل من الدول الآتية : باكستان وإيران والعراق وهذا ما تسعى الولايات المتحدة إليه اليوم .

خاتمة :

هذه صورة سريعة تبين الخطوط الرئيسية للسياسة والاستراتيجية الروسية في هذه البقعة الحساسة من العالم والتي تمثل معظمها دول الجامعة العربية ويجب على الغرب إذا أراد البقاء على كيانه ويحتفظ

بقوته التي تمنع روسيا من تحطيمها أن يعجل في تسوية كل مشاكله القائمة في هذه المنطقة وحتى يمكن فعلا اعداد النظام الوقائي أو الدفاعي على أكمل وجه والذي يعتمد أولا وأخيرا على مقاومة شعوب المنطقة نفسها لخطر العدوان الشيوعي وليس ببسط نفوذ الغرب على دول هذه المنطقة والتقييد من حرياتها واستقلالها. وأهم هذه المشكلات هي:

١ - الجلاء عن مصر والسودان دون قيد أو شرط *

٢ - تصفية موقف فلسطين بما يرضى ٤٠ مليون عربى وليس مليون يهودى *

٣ - تصفية موقف القوميات والوطنية فى ايران بما يرضى الشعب الايرانى *

وبهذه الوسائل وحدها يمكن القول بأن هذه المنطقة ستصمد أمام العدوان الشيوعى ولعل الغرب يفيق قبل أن يحترق ..

الباب الرابع

المصالح والاستراتيجية البريطانية

في الشرق الأوسط

((بريطانيا تعتقد انها ورثت سلطانا
في منطقة الشرق الاوسط ، ويؤلمها أن
تتخلى عن هذا السلطان ، كما يزعمها
فقدان ماوراء هذا السلطان في البلاد
العربية من بترول ومنافع وامبراطورية
في افريقية السوداء . . . فهم لذلك
لا يرضون الاعتراف برغبة شعوبها في
الحرية والسيادة الكاملة على
أراضيها))

منذ مائة وخمسين عاما ومنطقة الشرق الأوسط تزداد بروزا في
الاستراتيجية البريطانية من الناحيتين الوضعية والعملية وأصبح قاعدة
مقررة في السياسة البريطانية ألا تسمح لأية دولة معادية باتخاذ قواعد
على مقربة من المنطقة بصفة عامة ومن قنال السويس بعد فتحها بصفة
خاصة بل ان بريطانيا خاضت كثيرا من المعارك في سبيل تعضيد هذه
السياسة ..

وبمجرد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، ظهرت روسيا كدولة عظمى
لها أطماعها التقليدية في منطقة الشرق الأوسط كما أوضحناها في الباب
السابق والذي أكدنا فيه بأن موارد روسيا البشرية وقوتها العسكرية
— خاصة البرية — ستسمح بالقيام بعمليات عدائية على نطاق واسع في

هذه المنطقة مع استفادتها بثمرات الدعاية الشيوعية التي تقوم بها وقت السلام الحالي في مختلف بلاد المنطقة الصالحة لانتشار هذه المبادئ والتي وجدت فيها بريطانيا أرضا خصبة لتوطيد أغراضها الاستعمارية .. الا أن الولايات المتحدة بدأت تشعر بمدى خطورة السياسة البريطانية في منطقة الشرق الاوسط - والتي سيأتى ذكرها تفصيلا فيما بعد - على سلامة الولايات المتحدة ذاتها ومصالحها العالمية ولذلك دخلت هذا الميدان وبنت لها سياسة مستقلة عن السياسة البريطانية في هذا الميدان وان كانت تتفق معها في الغرض الرئيسى وهو منع القوات السوفيتية من الوصول الى المنطقة بأى حال من الأحوال .. فلماذا اهتمت بريطانيا هذا الاهتمام الشديد بالمنطقة وهل لا يزال هذا الاهتمام قائما ؟

الجواب نعم فلا تزال هناك عدة عوامل سياسية واقتصادية واعتبارات استراتيجية ذات أثر مباشر على سياسة بريطانيا الخارجية في منطقة الشرق الأوسط . فهي وحليفاتها الولايات المتحدة - الزعيمة الجديدة في المنطقة - تحاول جاهدة أن تكتل الدول ضد روسيا لتحاصرها من جميع الاتجاهات ولم يبق أمامها الا ثغرة الشرق الاوسط . وتود هذه الدول الغربية وبريطانيا كأساس فيها الوصول الى اتفاق مع دول هذه المنطقة - جريا على سياستها التقليدية - تسمح فيه هذه الدول بابقاء قوات الغرب في مناطق خاصة بها - ولو أن معظم هذه القوات ستكون قوات جوية/بحرية تعاون القوى البشرية التي يحاول الغرب الاستفادة منها للدفاع عن مصالح الغرب أولا ضد الشيوعية في هذه المنطقة وبعبارة أخرى سد هذه الثغرة بقوة من أبناء الشرق الأوسط .

ولكن لماذا لا تسد بريطانيا هذه الثغرة بجيوشها وجيوش الكومنولث كعادتها في الحروب السابقة ؟

السبب واضح وهو أنه ليس لديها ولا لدى الولايات المتحدة حليفاتها القوة الكافية التي تسد هذه الثغرة الواسعة لو قامت حرب عالمية ثالثة ، فقد كان أمام الغرب وقت طويل - زاد عن الأربع سنوات -

لكن ينشئ نظاما دفاعيا فى أوربا . والى الآن لم يوجد لديه الجهاز الكافى الذى يقوم بكل التزامات الكتلة الغربية فى أوربا والشرق الأقصى خصوصا وقد حدثت أمور هامة بعد الحرب العالمية الثانية قلبت الأوضاع . منها انضمام ٥٠٠ مليون نسمة من الصين الى روسيا فحولت ميزان القوى وزادت الابعاء الحرية والاقتصادية على الدول الغربية وبهذا الانضمام ثبتت قوات استراليا ونيوزيلندا . كما أصبح على الولايات المتحدة حليفة بريطانيا الدفاع عن اليابان حتى تقف الأخيرة على أقدامها والا سقطت اليابان فى الجانب الشيوعى فيزداد الموقف خطورة . يضاف الى ذلك أن الهند قالت كلمتها الفاصلة — وهى الوقوف على الحياد — وهى لن ترسل جيوشا خارج الأراضى الهندية مهما كانت الأسباب وهذه القوة كانت وقودا بحرق فى كل حرب .

وبرطانيا تعلم حرج موقفها هذا ولكنها تتعنت فى سبيل تنفيذ سياستها التقليدية وفى سبيل أطماعها الاستعمارية ولكن هذا التعنت سيكون ولاشك سببا فى جلب الكوارث على بريطانيا نفسها اذ سيستحيل عليها التغلب على الحقائق التى تواجهها . وقبل الدخول فى هذا الموضوع يجب علينا معرفة مصالح بريطانيا الاستراتيجية فى المنطقة .

المصالح البريطانية فى الشرق الاوسط :

أولا : الاحتفاظ بمواصلاتها الامبراطورية — كما تدعى — مفتوحة فى البحر الابيض والاحمر وقنال السويس .

ثانيا — الاحتفاظ بمناطق البترول فى ايران والعراق وشواطئ الخليج الفارسى أو على الأقل حرمان روسيا من الاستيلاء عليها أو استخدامها .

ثالثا — انشاء خط دفاعى يعطى عمقا للخط تركيا — اليونان يحول دون تقدم القوات الروسية فى هذه المنطقة .

رابعا : الدفاع القوى عن أفريقيا السوداء تلك القارة التى تحلم بها بريطانيا كإمبراطوريتها الجديدة .

خامسا : تعتبر بريطانيا منطقة الشرق الاوسط هى المكان الملائم
لاحتياطها الاستراتيجى على ضوء التزاماتها العسكرية العالمية لذلك
فهى تحتفظ بقاعدة قوية فى هذه المنطقة •

سادسا : انشاء قواعد جوية يمكنها منها توجيه ضرباتها الى
روسيا •

سابعا : المحافظة على الهيبة البريطانية فى هذه المنطقة جريا وراء
سياستها التقليدية البالية •

ولكى نحكم على مدى سلامة أسس الاستراتيجية البريطانية
فى المنطقة يجب علينا أن نتكلم عن كل نقطة بشئ من
الايضاح حتى يمكننا تقرير مدى صلاحيتها بالنسبة للأوضاع الحالية
وهل سياستها هذه تتفق مع غرضها الرئيسى وهو منع روسيا من السيطرة
على تلك المنطقة الاستراتيجية أم أن سياستها تتشى مع عقليتها الاستعمارية
منذ القرن التاسع عشر .

أولا : المحافظة على الطريق البحرى فى قنال السويس والبحر الأبيض •

١ - لقد عسكرت القوات البريطانية بمصر لأكثر من سبعين عاما
وكان هدفها الأساسى هو تأمين الدفاع عن مواصلاتها الامبراطورية
عن طريق السويس وحجتها فى ذلك أنه اذا ما فقدت بريطانيا السيطرة
على القناة لا يمكنها الدفاع عن امبراطوريتها فى الشرق . وهذا ادعاء
مردود عليه ولكنى أحب أن أوضح أولا بأن بريطانيا ليست الدولة الوحيدة
التي يهملها أمر الملاحة فى القناة فحوالى ١٠٠ مليون طن من حمولات
السفن العالمية التى تمر عبر قنال السويس لا تملك بريطانيا منها سوى
٣٥٪ وعلى كل حال ففى خلال الحربين العالميتين قد حدث حرية الملاحة
الى درجة كبيرة جعلت بريطانيا تستأنف استخدام طريق رأس الرجاء
الصالح ومع ذلك فان بريطانيا لم تفقد امبراطوريتها . وهذا التحدى
لم يكن موجها الى قناة السويس بالذات :

١ — ففى خلال الحرب العالمية الأولى عطل عدد ضئيل من الغواصات الألمانية للمواصلات البحرية عبر البحر الأبيض المتوسط وسجلت نسبة كبيرة من الخسائر لسفن الحلفاء .

ب — وفى الحرب العالمية الثانية أوقفت القوة الجوية للمحور فى وسط وشرق البحر الأبيض الملاحه وقما تاما . وتكبد الأسطول البريطانى خسائر فادحة كسرت من قوته . ولم تكن الملاحه فى البحر الأبيض مأمونة تماما حتى تم اخلاء شمال أفريقيا من قوات المحور وتم احتلال جنود الحلفاء لصقلية والطرف الجنوبى لاييطاليا .

ولذلك فان أهمية قنال السويس الاستراتيجية من حيث الملاحه البحرية تتوقف أولا وأخيرا على سلامة الملاحه فى البحر الأبيض فضلا عن أن سلامة الملاحه فى القناة نفسها قليلة التكاليف وسهلة الشأن ، ففى الحرب العالمية الثانية أخذت القوات المصرية على عاتقها الدفاع المحلى عن القناة ضد الطوربيدات وضد الهجوم الجوى وكانت النتيجة ان الملاحه فى القناة نفسها لم تضطرب لأكثر من أيام قلائل طول مدة الحرب . ولا يوجد شك فى انه فى الحرب المقبلة سيكون فى مقدور القوات المسلحة المصرية تأمين سلامة قناة السويس طالما أن القوات البريطانية تكون قد جلت عنها بلا رجعة .

٢ — سلامة شرق البحر المتوسط : وتتوقف كثيرا سلامة هذا الجزء على ما يأتى :

١ — اخلاء قاعدة الغواصات الروسية فى ألبانيا .

ب — نجاح الدفاع التركى فى المضائق (وهذا يبعد من تهديد الأسطول الروسى) .

ج — نجاح الدفاع عن اليونان وجزيرة كريت وقبرص .

د — تدمير قواعد الطيران الشيوعية فى دول البلقان الضالعة مع الاتحاد السوفيتى (وهذا يبعد من تهديد الطيران الروسى) .

هـ — نجاح الدفاع في الدول التي على حدود شرق وشمال شرق سواحل البحر الأبيض وهذا مما يسهل لقوات الحلفاء استخدام قواعد جوية وبحرية كثيرة للقيام بعمليات حربية ناجحة في هذه المنطقة . وللقيام بهذه المهام بنجاح يجب على الحلفاء بذل مجهود كبير فهل يمكن للحلفاء أن يقوموا بالمجهود المطلوب منهم مراعين في ذلك ماعليهم من التزامات دولية أخرى علما بأنه لا بد للمرء من التفكير جيدا في كيفية الدفاع عن اليونان والمضائق بنجاح ضد القوات الشيوعية المتدفقة في البلقان .

وان احتلال روسيا لليونان والمضائق يعطيها التفوق التام في بحر ايجه وفي كريت وما يتبع ذلك من سيطرة جوية وبحرية عن شرق البحر الأبيض المتوسط وقطع الملاحة في قنال السويس وهذا يحرم استخدام القناة حتى بدون تهديد مباشر للملاحة فيه

٣ - ما هي الملاحة الحيوية بالقناة والبحر الابيض ؟

ان كانت الملاحة الى الشرق لشحن الأسلحة والمهمات والجنود للدفاع الى الهند وجنوب شرق آسيا واستراليا هي الملاحة الحيوية فان هذا أمر غير عملي .. فليس لدى انجلترا وفرنسا موارد كافية للدفاع عن نفسها فكيف بهما أن يقوموا بتوفير ما يطلب منهما للدفاع عن الشرق الأقصى ولكن الولايات المتحدة هي المسؤولة أدبيا والقادرة ماديا وذات الموقع الجغرافي الأحسن للدفاع عن هذه المنطقة وذلك عبر المحيط الهادى

أما الملاحة الى الغرب فستقل أهميتها أيضا لأن الهند واستراليا ونيوزيلندا ستشغل بالدفاع عن أقاليمها مما يتسبب عنه عدم توفير الجنود لدول غرب أوروبا الواقعة على شرق البحر الأبيض كما فعلوا في الحربين الماضيتين وليس من المنتظر أن يحصل الحلفاء على بترول الخليج الفارس لان هذه المنطقة ستكون حتما هي الهدف الاول للروس في معارك الشرق الأوسط

٤ — ولذلك فإن وجود القوات البريطانية في منطقة القنال نفسها للدفاع عنها قرار عسكري غير عملي وإن استخدام هذه القناة في أثناء الحرب يتوقف على :

١ — سلامة حوض البحر الأبيض المتوسط بأكمله وهو عمل صعب جدا ويكلف كثيرا من المجهود الحربي

ب — سلامة قناة السويس نفسها وهي مسألة دفاع جوية أولية يمكن لمصر أن تقوم بها بسهولة.

ثانيا : الاحتفاظ بمناطق البترول في الخليج الفارسي صالحة للعمل

إن مصانع البترول في إيران والعراق هي التي يسهل لها لعب السياسة البريطانية ولكن كلنا يعلم الموقف الذي تتخذه إيران إزاء هذه المشكلة بعد تأميمها للبترول مما ترتب عليه طرد الجالية البريطانية منها .. ولأهمية هذا الموضوع في الصراع العالمي الحديث سوف أترك له بابا منفصلا بذاته يلقي الضوء على خطوط هذه المشكلة

وها هي العراق وحوادثها الحالية وظهور القوميات بها تنبئ أنها في سبيل تأميم بترولها

والدولتان قريبتان من روسيا مما يجعلهما في متناول القاذفات الروسية وستكون آبار البترول بهما ضمن خطة القذف الاستراتيجي للسلاح الجوي الروسي وكخطة تبادلية لذلك قد ترى روسيا الاستيلاء على هذه الآبار سليمة بأسرع ما يمكن أي بمجرد بدء الحرب وبذلك يمكن القول بأن بريطانيا قد لا تستفيد بنقطة واحدة من بترول إيران والعراق وهذا أشد ماتخشاة دول الغرب عامة وبريطانية خاصة وإذا كان قد تم لبريطانيا في الحروب السابقة الاحتفاظ بهذه الآبار فانما السبب في ذلك يرجع إلى أن روسيا وقتئذ كانت حليفها الأمر الذي انعكس في وقتنا الحالي

ويمكن لبريطانيا أن تحصل على البترول دون اساءة الى الشعور القومى فى هذه البلاد اذا قبلت - بريطانيا - شراء البترول بالاسعار العالمية ثم تقوم بتخزين الفائض فى مناطق بعيدة عن مرمى الطائرات الروسية ولها أهميتها الاستراتيجية فى الحرب المقبلة هذا فضلا على أن التطور المنتظر لاستبدال آلة الاحتراق الداخلى بالآلات أخرى تستخدم فى ادارتها الذرة لما يسهل مشكلة البترول الى حد بعيد وعلى كل حال فأمام بريطانيا الفرصة سانحة للاتجار الشريف مع البلدين حتى تكسب رأى العام العربى بدلا من أن تكسب عدائه .

ثالثا : تكوين خط دفاعى بعمق استراتيجى لمواجهة التقدم الروسى .

قلنا أن التفوق الروسى فى القوات الجوية كبير بدرجة تمكنها من الاحتفاظ دوما بعدد من التشكيلات العاملة يفوق ما يمكن أن تحتفظ به الدول الغربية جميعها . وقد قابلت الدول الغربية هذا التفوق الساحق بزيادة قوة الطيران بدرجة تضمن للغرب التفوق الجوى المستمر .

ولكى تكون هناك قوات برية فى مواجهة القوات المعتدية فانه يمكن لدول هذه المنطقة أن تقوم بذلك فى داخل حدودها اذا سلحت جيوشها تسليحا حديثا لأن هذه الدول لن تسمح اطلاقا لأيا كان بالاعتداء على استقلالها - وقد صرح رئيس الجمهورية المصرية بأن « مصر هى الدولة الوحيدة المسؤولة عن الدفاع عن كيانها داخل حدودها ضد أى معتد » وقد شجعت الولايات المتحدة هذا الحل فكونت حلف البلقان الجديد وأرادت ربطه حديثا بدول النطاق الشمالى أى الباكستان وايران (وسوف اتعرض لهذا الموضوع أيضا فى باب منفصل) .

ولو تراجعت بريطانيا عن سياستها الاستعمارية وحقت هذا الحل لتوفر الآتى :

١ - الاستقرار السياسى الذى يفتقر اليه هذا الجزء من العالم

منذ أمد طويل .

٢ - جيوش أخرى تحل محل جيوشها لتقوم بهذا الواجب .

٣ - توفير الموارد الاقتصادية والميزانية الضخمة التي تصرفها بريطانيا على قواتها في تلك المنطقة (١٠٠ مليون جنيه سنويا) .

٤ - حشد قواتها في منطقة آمنة لتقوم بالضربة المضادة المنتظرة .

وقد صرح الأميرال رايت أخيرا - وهو قائد الأسطول الأمريكي في شرق البحر الأبيض بأنه لا يمكن تنفيذ أى مشروع للدفاع عن الشرق الأوسط قبل أن تحل أولا بعض مشاكل هذه المنطقة وأهمها مشكلة الجلاء عن قناة السويس والنزاع حول البترول الإيراني ومشكلة العرب وإسرائيل ثم قال بأنه ليس في الشرق الأوسط فراغ عسكري ولكن الغرب يعتقد أنه سيكون مركز اهتمام الأعداء في حالة قيام حرب عالمية أخرى ولذلك يرى أن تناسق الجهود وتوحيد الآراء في هذه الدول هما أفضل الحلول العملية لمنع الاعتداء عليها .

وهذه أقوال جديرة بالتأمل والتمعن فنلاحظ أولا ان الاقتناع بأهمية الدفاع وضرورته لا يتحقق الا اذا عرف الآخذون بأسبابه الغرض منه وكانت هناك مصلحة مشتركة حيوية تعود عليهم من ورائه .. وعلى ضوء هذه الاعتبارات وقعت الدول العربية ميثاق الضمان الجماعي العربى .

وانى شخصا أوافق رأى القائل بأن تتحمل شعوب الشرق الأوسط وحدها وفي حرية مطلقة مسؤولية هذا الدفاع وذلك يتطلب شروطا لا بد منها ، في مقدمتها أن يقتصر تنظيم الدفاع على أهل الاقليم وحدهم ولا معنى مطلقا لاشتراك دول خارج المنطقة . هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن تتحرر أولا دول الشرق الأوسط كلها من النفوذ الأجنبى وهذا ما أعلنته مصر وأيدتها فيه الشعوب العربية من حيث وجوب تصفية الاستعمار وجلاء القوات الأجنبية عن أراضيها وقواعدها .

ولكن ما هو موقف بريطانيا ازاء هذه السياسة ؟

تقف بريطانيا أمام شعوب الشرق الأوسط تعترض تقدمها وتحاول أن تعيقه وتؤخره وهى تفرض نفسها فرضا على هذه المنطقة تلوذ بسلاح الدسيسة أولا فاذا اخفق لجأت الى سلاح التفرة فاذا اخفق لجأت الى سلاح الضغط والاكراه وتآليب الدول الأخرى .. فبريطانيا هى التى أوجدت اسرائيل كتدبير من تدابيرها الشريرة لعرقلة التقدم العربى نحو الحرية والبناء والطمأنينة ..

وقد تحتم المصلحة على الولايات المتحدة حليفة بريطانيا أن تقف منها موقف المعارض فى لين وهوادة لتثنيها عن سياستها السيئة ذات العواقب الوخيمة فتشور هذه زاعمة أن الشرق الأوسط كله هو منطقة نفوذها ولها فيه الكلمة الأولى فتتوسل بريطانيا فى محاربة الشعوب العربية بالزمن فتدخل فى دائرته المفرغة لكى تتعب الأعصاب وتبعث اليأس الى النفوس وتشيع عدم المبالاة فى الأشخاص والجماعات وهو سلاح قديم لا يتمشى مع طبيعة العصر ولا يقف فى وجه الارادة القوية والايان المطلق . فالبلاد العربية تقف اليوم مجموعة واحدة فى تضامن الأسرة الواحدة وتفرض وجودها على الموقف العالمى فرضا له أثره وقيمتها فليس من مصلحة بريطانيا مواصلة التجاهل والاغضاء .

وأكثر من هذا — ليس من مصلحة الغرب نفسه اطلاق يد هذه السياسة اطلاقا قد يكلفه أبهظ الأثمان ..

رابعا : الدفاع القوى عن أفريقيا السوداء :

هناك نظرية ألمانية تقول بأن مصير الحروب يتقرر فى أفريقيا وقد علق ذلك السياسى العجوز — المارشال سمطس — على هذه النظرية قائلا : « ان كثيرا من القرارات الهامة قد اتخذت فى أفريقيا وبمرور الوقت لن تقرر أفريقيا مصير الحروب فقط بل مصير المدنية العالمية بأكملها .. وقد اظهرت الحرب العالمية الثانية بأنه فى امكان الحلفاء صد أى هجوم يقع على أوروبا طالما أن شواطئ أفريقيا الشمالية تعمل معها

فى هذه الحرب . ويدعى الحلفاء بأن فى امكان القوات الروسية المربطة فى القوقاز واورانيا اجتياح منطقة الشرق الأوسط فى أيام قلائل وهذا مما يشير مخاوفهم فى منطقة البحر الأبيض ويزعزع كيانهم فأى هجوم روسى على شمال أفريقيا من اتجاه قنال السويس يكون من شأنه عرقلة كافة مشاريع الدفاع عن أوروبا وشل نشاط الأسطول الانجلو أمريكى فى البحر الأبيض وبالتالي يقضى على كل ما يبذل من محاولات دفاعية ..

ولذلك حينما يقول ايزنهاور عن الشرق الأوسط بأنه لا توجد بقعة استراتيجية فى العالم لها من الأهمية ما للشرق الأوسط تقول بريطانيا بأن أفريقيا تسيطر على مراكز ايزنهاور الاستراتيجية بما فيها أسبانيا وإيطاليا والبلقان وتركيا ودول الشرق الأوسط ، كما أنها تسيطر على كافة طرق البحر الأبيض والمحيط الأطلسى والمحيطات الهندية فضلا عن آبار الزيوت الغنية فى المناطق المجاورة ، ومن غاباتها الطبيعية الغنية الموارد وسواحلها الممتدة تتكون تلك القارة الاستراتيجية والتي تسمى بالقارة السوداء . وقد قيل فى الأوساط الاستراتيجية « انه أعظم تأثير ظهر خلال المائة سنة الماضية كان نمو أمريكا أما السنوات المقبلة فستظهر للعالم أجمع مدى أثر أفريقيا » ..

وقد كنت أود زيادة هذا الموضوع ايضا ولكن هذا الكتيب لا يسمح بالخوض فى هذا الموضوع رغم حيويته ولكن يمكن القول بأن الأهمية الاستراتيجية لتلك القارة ازدادت بعد الحرب العالمية الثانية بشكل واضح بعد أن صفت بريطانيا ممتلكاتها فى الشرق الأقصى وبعد أن وجهت روسيا عنايتها نحو هذه القارة وجعلتها من ضمن اطماعها الاستراتيجية وفى الوقت نفسه لا يمكن للولايات المتحدة أن تستغنى عن هذه القارة لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية لها ..

لذلك نجد أن القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية للمملكة المتحدة ستعتمد مستقبلا اعتمادا كبيرا على مدى احتفاظها بطريق مباشر أو غير مباشر بمركزها في أفريقيا ولذلك قامت انجلترا في عام ١٩٤٦ بالدعوة الى عقد مؤتمر عام لقواد الدمنيون تحت اشراف مونتجمري وتم الاتفاق على اتخاذ منطقة قلب أفريقيا كقاعدة رئيسية ولذلك ليس غريبا أن نجد أن بريطانيا تتمسك بجعل أفريقيا امبراطوريتها الجديدة وتملى عليها سياستها الاستعمارية التقليدية فيها .

على أن أفريقيا أخذت في القرن العشرين تنفض عنها غبار الدل والتبعية وتناضل في سبيل الحرية ولا يزال نضالها مستمرا يزداد قوة ومضاء على الأيام ولا يمكن أن تسير في غير هذا الطريق وعلى رأسها مصر تلك الأمة العظيمة التي حملت مشعل الثور والحضارة في العالم منذ فجر التاريخ ... ففي مصر والوادي تراخي الاستعمار وانحصر في منطقة قناة السويس وعما قريب جدا سيجلوا عن هذه المنطقة الحساسة أراد ذلك أم لم يرد ... وفي شمال أفريقيا لاتنى عناصر التحرير عن النضال وبذل التضحيات و ... وفي جنوب الوادي تفتح الوعي القومي عن كراهية عميقة للاستعمار البريطاني وانتصرت الحرية على مؤيدي الاستعمار في الانتخابات السودانية الأخيرة بل اعتبر هذا الانتصار اكتساحا ... وفيما يلي السودان جنوبا يستبسل شعب كينيا في ظل حركة ماوماو للتحرر من نير الاستعمار وفي الصومال يقظة ونهوض .

فأفريقيا ماضية في سبيل التحرير وستنقلص عنها الاستعمار واذا أرادت بريطانيا ضمان كيائها وسلامتها فعليها أن تسرع وتنحرف عن سياستها الاستعمارية التقليدية فأحيانا يكون التراجع أكثر فائدة من ثبات مشكوك فيه أو نصر غير محقق وخير لها أن تعيش في قاعدة صالحة مبنية على محبة الشعوب وتعاونهم عن معيشتها في قاعدة معادية تضطر ازاءها شغل عدد كبير من جنود الاحتلال الى الدفاع عنها ...

خامسا : قاعدة الشرق الأوسط :

تقول بريطانيا بأن قاعدة الشرق الأوسط تقدمت تقدما عظيما ابان فترة الحرب العالمية الثانية فقد بدأت بمنشآت أولية بسيطة في عام ١٩٣٩ ثم اضطرت في النمو حتى أصبحت مؤسسة عظيمة تحوى مخازن للذخيرة وورش ومصانع للألغام والأدوات الهندسية والملابس كما تضم القاعدة أيضا معسكرات الامداد والمستشفيات ومنشآت التدريب على اختلاف أنواعها وأبنية لماكينات التبريد وأخرى للطلعات المائية وورش لصناعة عبوات البترول وتعبئتها وعدة منشآت أخرى مما يلزم لتموين وصيانة القوات والتشكيلات الكبرى ...

وكان مركز أهم مشروعات قاعدة الشرق الأوسط وورشها في القاهرة والاسكندرية ومنطقة القنال مع مخازن وورش مساعدة في فلسطين والسودان . وقبل أن تصبح كل من ايران والعراق قيادة منفصلة كانت منشآت قاعدتي البصرة وبغداد جزءا متما لقاعدة الشرق الأوسط . ولم تكن هذه القاعدة تمون القوات التي تعمل في شمال أفريقيا وفلسطين فحسب بل كانت تمونها أيضا أثناء زحفها في صقلية وايطاليا وفي العراق وايران كما أنها لعبت فيما بعد دورا في صيانة القوات التابعة لقيادة جنوب شرقي أفريقيا بالاشتراك مع القاعدة الرئيسية في الهند .

وتدعى بريطانيا أن أغلب المخازن والمنشآت الموجودة اليوم بقاعدة الشرق الأوسط مركزة معظمها في قاعدة قنال السويس وتقول أنه لو تقرر جلاء قواتها عن هذه المنطقة فهذه المنشآت لا يمكن نقلها عن هذه المنطقة كقاعدة ثم انه لو اتفق على هذا النقل فلن يستغرق أمر النقل شهورا بل أعواما كما أن نفقات إعادة انشائها في مكان آخر من المنطقة يكلف الحكومة البريطانية حوالى ٥٠٠ مليون جنيه ... وهم يسألون أنفسهم في أى مكان يستطيع توفير الاستعدادات اللازمة التي تصلح لتكون حلقة اتصال بين قوات الكومنولث التي تقاتل في جبهة

الاطلنطى والقوات التى تقاتل فى جبهة المحيط الهادى ومع ذلك يمكن ارتباطها ارتباطا ميسورا بالقاعدة الرئيسية فى انجلترا نفسها ؟ ...

كما تدعى بريطانيا أن منطقة القنال اليوم — وهى مركز اتصال لأهم طرق النقل العالمية البرية والجوية والبحرية — تعتبر مركز الحركة الجغرافى لممتلكات التاج البريطانى فهى بذلك تبدو أحسن مكان للاحتياطى الاستراتيجى الذى قد تدعو الحاجة الى استخدامه فى الدفاع عن مصالحها فى أى مكان سواء فى أوروبا أو آسيا أو أفريقيا ... ولذلك فهى ترى على ضوء اضطراب الأحوال العالمية أن ثمة مكانا فى الشرق الأوسط — منطقة القنال بصفة خاصة — هو أميز مكان لوضع بعض قواتها البرية والجوية المخصصة للعمل كاحتياطى استراتيجى فى أى وقت معين ...

وفى رأى عدد كبير من خبراءهم فى الاستراتيجية العالمية أن هذا الوضع لا يعنى بالذات وجوب وضع هذه القوات الاحتياطية فى الأراضى المصرية فإذا كان بالإمكان توفير السبل المناسبة للنقل البحرى والجوى فإن ليبيا وقبرص وفلسطين تصلح لأن تكون مواقع لهذه القوة الاحتياطية وإن كانت من عدة وجوه فهى أقل صلاحية من منطقة القنال التى تمتاز على غيرها من المواقع المقترحة بتوفر استعدادات النقل. كما انهم يقولون أن بوضع هذه القوات فى منطقة القنال تمتاز بمنفعة أخرى وهى تهيئة فرصة مناسبة للدفاع عن القنال نفسه (وقد ناقشت أمر الدفاع من القناة فيما سبق) .

وعلى ذلك يأملون باجراء مفاوضات جديدة مع مصر بشأن اتخاذ تدابير سياسية وعسكرية جديدة بدلا من التزامات معاهدة ١٩٣٦ على أن تسلم مصر وضع قوات احتياطية — ولو فى حالة الطوارئ — فى منطقة القنال أو بالقرب منها وهم يطلبون من مصر ضرورة الدفاع عن القنال بالتحوطات اللازمة لضمان صيانتها وحركتها على الوجه الأكمل .

ولذلك نجدهم يركزون مطالبهم الحالية في مباحثات الجلاء — وهم يعلمون أنهم يواجهون قادة وطنيين ملمين تمام الامام بالأعيهم السياسية والعسكرية — ويقولون أن المباحثات تقتضى البحث في طريقة صيانة القاعدة والدفاع عنها والمعونة التى ستحتاج مصر اليها لكى تضمن توافرها وهذا البحث سيقضى بدوره البحث فى الدور الذى ستقوم به هذه القاعدة فى أية حالة من حالات الطوارئ فى المستقبل ! ...

وقالت جريدة التيمس وهى تعبر عن وجهة النظر الرسمية فى هذا الموضوع ما يلى :

« يجب على بريطانيا أن تعترف بأن المفاوضات فرصة قد لاتسنع مرة أخرى فى المستقبل لاقامة قاعدة قناة السويس على اساس ثابت من التعاون وحسن النية فى الشرق الاوسط ؟ وهما امران اساسيان اذا أريد أن تكون هذه القاعدة ذات فائدة لا عبئا ثقيلا فى الطوارئ التى يراد الانتفاع بها عند وقوعها ويجب أن تظهر مصر انها مستعدة للتسليم باهتمام بريطانيا بسلامة القاعدة وخطورة أهميتها للكومنولث بل للعالم الحر بأسره ولا تجرؤ بريطانيا على التخلي من تبعاتها فى منطقة القناة الا بعد أن تتحقق من ان هذه التبعات ستؤدى الى الوجه المطلوب فى المستقبل »

حقا ان الانجليز اليوم هم الانجليز بالأمس ! ... فبريطانيا لم تقدم وسيلة أو عذرا تتذرع بهما لاستمرار احتلال مصر قبل أن توجد قاعدة القناة بعشرات السنين وهى اليوم لا تجد سبيلا لاستمرار احتلالها لمصر الا بالتوصل للرأى العام الغربى وتشكيكه فى نوايا مصر ومقدرتها على الاحتفاظ بهذه القاعدة .

ومصر لم تفوتها هذه السياسة الماكرة ، فطلبت أثناء مباحثاتها الأخيرة والتى أوقفها الجانب المصرى بكل حزم وثبات وكان سبب توقفها سياسة العنت البريطانية ، فطلب الجانب المصرى ما يأتى : —

أولا : جلاء القوات البريطانية برا وبحرا وجوا عن الأراضي المصرية دون قيد أو شرط .

ثانيا : تسليم القاعدة للحكومة المصرية بحيث تكون معداتها ومحتوياتها تحت رعاية الحكومة المصرية .

ثالثا : لم تمنع في بقاء العدد الضروري فعلا من الفنيين الأجانب الذين لا يمكن توافرهم في المصريين للقيام بالأعمال الفنية اللازمة للاحتفاظ بالقاعدة في مستوى نشاطها العادى على أن يكونوا تحت السيطرة المصرية وأن يقوم هؤلاء الفنيين الأجانب بتدريب المصريين ليحلوا محلهم في فترة محدودة من الزمن يتفق عليها مع مراعاة مصلحة القاعدة .

على أن الحكومة البريطانية بينت لنا النوايا السيئة فهي تريد أن تستغل مسألة الفنيين اللازمين للقاعدة وسيلة لجعل الاحتلال البريطاني غير المشروع لمصر احتلالا شرعيا أبديا أى أنهم يوافقون على مبدأ السيادة الاسمية لمصر على القاعدة على أن تشرف عليها وتديرها لندن فالعقيلة التى تفاوض هى عقيلة الاستعمار البريطانى القديم الأزل .

ولأهمية هذا الموضوع فى الصراع العالمى عامة وفى الشرق الأوسط والعربى خاصة قد أفردت له بابا منفصلا ، ولكن قبل الانتهاء من هذه النقطة الحاسمة أود أن ألفت نظر الجانب البريطانى الى ما قاله أحد رجالهم البارزين فى مجلس العموم البريطانى وهو صوت مستر جون ستراتشى وزير الحرية فى حكومة العمال السابقة وهو يطالب بريطانيا بالاسراع فى جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس وتخفيف العبء الملقى على عاتق الميزانية البريطانية (٧٠ مليون جنيه فى العام) وقال بأعلى صوته :

((لامفر امام بريطانيا - اذا اصررت على عدم الجلاء - الا أن تحتل الاراضى المصرية كلها وهو أمر أن بدا ممكنا من الناحية العسكرية فانه خيال من الناحية المصلحية لبريطانيا والسياسية أيضا وسيكون وخيم العقابة عليها وعلى رجالنا فى المستقبل ٠٠٠ حيث اننا لا نستطيع أن نحتل قاعدة ما ونتحدى شعبا معاديا سيخرجنا منها اذا وجد الى ذلك سبيلا فان مثل هذه القاعدة

تصبح في هذه الحالة عديمة النفع فلاعمال يعملون بها والجنود الذين يحتلونها
ستشغلهم مهمة الدفاع عنها »

وهناك فاحية أخرى لا شك ان الانجليز قدروها وأدركوا أهميتها
وهي أن وجودهم بالقنال لن يثير شعور مصر ضدهم فحسب بل يثير
شعور الشرق العربي بأكمله اذ ترى كل دولة لها قضية مع بريطانيا أن
تصفية الخلاف أو النزاع بينها وبين مصر هو الأهم والأخطر وان كل
ما دون ذلك يمكن حله وتسويته بسهولة ، فان بريطانيا ستكسب مزيدا
من ثقة أهل الشرق العربي بما ستثبته من صدق نواياها اذا ساهمت في
تأمين هذه المنطقة باجلاء قواتها عن القنال وفقا لرغبة الشعب المصري ...
واذا قالت بريطانيا وما هو مصير القاعدة ؟ ...

فالرد حاسم كما جاء في شروط الجانب المصري فسوف تصلح
قاعدة القنال لتكون قاعدة عاملة للدفاع عن دول الضمان الجماعي وفي
هذا الدفاع المبني على رغبة الشعوب — وليس على رغبة ومطامع
الاستعمار — مصلحة أكبر وأجدي للدفاع عن شعوب العالم العربي
أولا وهي تتمشى مع مصلحة شعوب العالم الحر في الدفاع ضد خطر
الشيوعية في هذه المنطقة الحساسة

كما وان تطور الأسلحة الحديثة وخاصة في الأسلحة الجوية قد
ساعد كثيرا على ربط القواعد المتباعدة أو المتناثرة فلم يعد هناك ما يبرر
تركيز القوات أو تجاوزها وتلاصقها مما أصبح يتعارض فعلا مع أبسط
قواعد الوقاية الاستراتيجية بل أن اصرار بريطانيا على تقارب قواعدها
(كما لطة وقبرص وليبيا وكينيا والسويس الخ ...) لن يفسر الا بالرغبة
الكامنة للاستعمار الذي لم يعد له قيام في فلسفة الشعوب في العصر
الحديث

فمن الخير لبريطانيا أن تساعد على تطهير القناة المصرية من مصادر
القلق والعدوى الاستعمارية وان ما ستكسبه بريطانيا من صداقة شعوب
العالم العربي أضعاف ما تتوقعه من بقاء قواتها في هذه البقاع ..

ولتفهم بريطانيا جيدا ان الدفاع عن الشرق الأوسط أمر يعنى دول هذه المنطقة أكثر من غيرهم ولن يستطيع شعب يروح تحت نير الاستعمار أن يدافع عن استمرار بقاء الاستعمار فى وطنه بحجة تخويله من اعتداء آخر قد يتعرض له هذا الشعب وقد لا يتعرض له .

سادسا - الشرق الاوسط كقاعدة جوية للمعسكر الغربى :

ظلت الدعاية الغربية تتزعمها بريطانيا تصب على دول الشرق الأوسط الهلع والجزع من استعداد روسيا لغزو الشرق الأوسط ، وانها قد حشدت من أجل ذلك ٢٠٠ فرقة على حدود اذربيجان الإيرانية ، ١٥٠ فرقة أخرى على حدود القوقاز . وليس على الغرب لمقابلة هذا العدوان الخطير الا مقابلته بالعمل على توسيع نطاق القواعد العسكرية الجوية منها والبحرية فى دول الشرق الأوسط عامة وفى مصر بصفة خاصة ويدعون أن مثل هذا التحفظ ضرورى حتى لا يتخلخل التوازن الاستراتيجى فى هذه المنطقة الحساسة ، اذ قد بنى الغرب استراتيجيته على أساس الاعتماد على قواته الجوية والبحرية لمؤازرة شعوب وجيوش دول الشرق الأوسط نفسها فى صد العدوان . ولذلك نجد أن بريطانيا وأمريكا قد اتفقتا على تحسين المطارات وأراضى النزول فى تركيا واليونان وتعتمد على بعض المطارات المبعثرة فى الباكستان والكويت والمملكة العربية السعودية واسرائيل وشرق الأردن ولذلك ليس غريبا أن نجد فى محادثات بريطانيا الأخيرة مع مصر ان الانجليز يتمسكون بمبدأ الحصول على قواعد جوية أو بعض الامتيازات الخاصة فى المطارات المصرية ولكن الجانب المصرى وقف لهم بالمرصاد . والدليل على ذلك واضح فى بعض كلمات قائدها بطل من أبطال الثورة البكباشى (ا . ح) جمال عبد الناصر فيما يختص بهذا الموضوع بالذات :

((أما فيما يتعلق بالسماح للسلاح الجوى البريطانى باستخدام القواعد الجوية فى منطقة قناة السويس ... فماذا يسمونه ؟ ان لم يكن هذا هو الاحتلال رغم أننا بعد أن طالبنا بالجلء الكامل الناجز غير المشروط ...

فماذا يسمونه ؟ لعلهم يطلقون عليه وجود قوات جوية بريطانية ... وماذا
يعنى وجود هذه القوات المسلحة الأجنبية اذن ؟ اليس معناه هو استمرار
الاحتلال ؟ ... الى ان قال « اننا نريد جلاء كاملا غير مشروط ؟ ومتى
استأصلنا شأفة الاستعمار من بلادنا فليطمئن الغريب على اننا سنكون
أحرص منه مئات المرات بل آلافها على حريتنا واستقلالنا فاذا تعرضنا
لاعتداء أيا كان مصدره فسنقف جميعا وقفه رجل واحد للدود عن حريتنا
وفي هذه الحال لن نتردد في محالفة الشيطان نفسه ... »

ومن هنا بدأت الولايات المتحدة تتدخل بالمنطق العملى الصريح ولعل
بريطانيا تكون قد ادركت بنفسها ان لاخير فى أية حلول تقترح أو تفرض
على بلاد الشرق الأوسط — وعلى مصر بالذات — من أجل الدفاع
عن المنطقة جويا ... فان تسليم بريطانيا بهذا التفسير العملى قد يخلق
مستقبلا جديدا قائما على الثقة المتبادلة والرغبة الصادقة فى العمل
والتعاون مما يحقق معانى الديموقراطيات وأهدافها سواء فى المحيط
الإقليمى أو الدولى . وان تطور الاسلحة الحديثة وخاصة فى القوى الجوية
قد ساعد كثيرا على ربط القواعد الجوية المتباعدة والمتناثرة ... فعلى
الغرب أن يكتفى بمطارات غرب اوربا — وقد أذيع ان دول حلف
الاطلنطى أخذت فى اقامة سلسلة من المطارات تبلغ ١٣٠ مطارا على شكل
قوس يبدأ من الشمال عند النرويج ويتجه الى الجنوب مارا بالدانمرك
وهولندا وفرنسا وغرب المانيا وايطاليا — هذا علاوة على مطارات الجزر
البريطانية وتركيا واليونان وقبرص ومالطة وكريت ومطارات الغرب فى
اسبانيا وشرق افريقيا والاسكا وغيرها على ان تترك مطارات دول الشرق
الأوسط للاستخدام الشخصى لهذه الدول اذا ما حاول أحد أن يعتدى
على استقلالها ..

سابعا - الهيبة البريطانية :

مما سبق تتضح لنا المصالح البريطانية المختلفة فى منطقة الشرق
الأوسط ومنها نعرف أن فى يد الشرق العربى ميزان القوى وانه لن
يستطيع أحد مهما أوتى من الأسلحة المادية أن يرغم العرب على شىء . فلتعرف

بريطانيا بل والعالم أجمع ان ذلك الفراغ الاستراتيجى الذى تتحدث عنه فى الشرق الأوسط لن يملأه الا أهل الشرق الأوسط . ولكن ما الذى فعلته بريطانيا فى هذه المنطقة ؟ . وقفت موقف التعتت مع دول الشرق الأوسط كأنها ورثت سلطانا فى هذه المنطقة يؤلمها أن تتخلى عنه كما يزعمها فقدان ما وراء هذا السلطان فى البلاد العربية من يترول ومنافع وامبراطورية فى افريقيا السوداء فهى لذلك لا ترضى أن تعترف برغبة الشعوب العربية فى الحرية والسيادة الكاملة على أراضيها والسبب الوحيد فى ذلك يقع تحت بند الكرامة — أو بمعنى آخر الهوية البريطانية — تلك الكلمة التى أحبها الانجليز والتى كانت سببا فى جلب الكوارث على امبراطوريتهم فلا يتراجعون ولكنهم يبحثون عن الامبراطورية فلا يجدونها حتى الآن ... فاللانية طابع أصيل فى السياسة البريطانية وهى السبب الأول فى هذا العداء الذى تحاط به بريطانيا فى كل مكان لا سيما فى منطقة الشرق الأوسط ...

ان هبة بريطانيا فى هذه المنطقة الحساسة من الأرض قد أصيبت من قبل فى الصميم فى ايران بل طردت منها شر طردة عندما كانت القومية الوطنية فى ايران هى المسيطرة على الحكم فيها ... وقد طعنت بريطانيا فى كرامتها وهيبته فى السودان ... وأخيرا تنبته بعض الدوائر فى بريطانيا نفسها وطالبت الحكومة البريطانية أخيرا أن تعقد اتفاقات مع الشعوب العربية عامة ومع مصر خاصة تتمشى مع رغبة هذه الشعوب فى الحرية والاستقلال ...

وقد قالت احدى الصحف البريطانية أخيرا « ان مصر تغلبت وعلى بريطانيا أن تتراجع بشرف وكرامة بأن تتفق مع مصر بدلا من أن تتشدد ثم يفلت الزمام من أيديها كما حدث أن أفلت من قبل فى ايران والسودان » ذلك هو رأى الذى ينادى به كاتب بريطانى فى مجلة بريطانية يعبر صراحة عن تلك الحقيقة التى يجب أن تفهمها بريطانيا وتعمل على أساسها

وهو مقابلة الأمر الواقع ولتعلم أن شعوب الشرق الأوسط تقف على أرض صلبة .

والا فان السياسة البريطانية التى أطاحت بأكثر اجزاء امبراطوريتها فى مدى ربع قرن من الزمان أطاحت بالأجزاء الباقية حتما فى أقل من هذا الوقت ما دامت قائمة على الأناية والطمع واهدار حقوق الآخرين .

موقف بريطانيا ازاء الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط :

الا ان بريطانيا على ما يبدو من سياستها وتصريح زعمائها الدبلوماسيين — ترى أن مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط محصورة فى ايجاد القوة الكافية فى الشرق الأوسط لضمان سلامته وهى تعتبر أن الدول التى تتألف منها هذه المنطقة ضعيفة واستقرارها مقلقل بل يدخل فى مخيلتها أن هذه الدول لن تستطيع ضمان حماية نفسها وهى لذلك ترى ضرورة تقويتها من الخارج . وطريقة هذه التقوية من وجهة نظرها هى أن تأتى هذه الدول التقوية من المملكة المتحدة التى يجب أن تبقى محتفظة بقاعدة قوية فى قنال السويس ...

ومقتضيات الدفاع عن هذه المنطقة من وجهة نظرها تنحصر فى الآتى : —

١ — مساعدة تركيا مساعدة شاملة حتى تتمكن على الأقل من التمسك بجيادها .

٢ — وجود قوات بريطانية وقوات من الكومنولث فى الشرق الأوسط بحيث تكفى هذه القوات لدعم القوى المشتركة لدول هذه المنطقة مع اقامة حاجز هجومى دفاعى قوى لأى زحف روسى .

٣ — وجود قواعد حسنة التنظيم تقوم بالشئون الادارية وشئون العمليات فتوجه القوات المتحدة وتتعهدها بالامداد وهذا يتطلب منها أن تضمن رغبة الدول العربية فى التعاون .

ولكن هل تقبل الشعوب العربية الحرة مثل تلك الطلبات التي تتعارض مع حريتها؟ الجواب صريح بالنفي ظاهر في بلاد الاحرار وها هو على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر كلمة قائد النهضة المصرية وزعيم ثورتها المباركة الرئيس اللواء (ا . ح) محمد نجيب حيث قال « ان عقد ميثاق للدفاع من الشرق الأوسط مع الدول الغربية لا يمكن النظر فيه الآن كما اننا لا ولن نقبل أية مساومة بشأن جلاء القوات البريطانية عن أراضينا » والمبدأ كما هو معروف « بلاد الشرق الأوسط للشرق الأوسط » والدفاع عنه مسئول من أهله أولا وأخيرا .

مجمل الخلاصات :

من كل ما سبق نستنتج الآتى : —

١ — ان الخط الرئيسى للمواصلات البحرية البريطانية لن يكون البحر الأبيض عند قيام حرب عالمية ثالثة وقد يكون المحيط الأطلسى .

٢ — سوف تفقد بريطانيا آبار البترول فى العراق وايران فى الشهور الأولى من الحرب .

٣ — تعتمد بريطانيا فى نصرها على عامل الوقت فهى تحتاج الى فترة ليست بقصيرة لاعادة تنظيم قواتها الدفاعية فى مسافة بعيدة جدا عن الحدود المتاخمة للأراضى الروسية (أواسط افريقيا مثلا) بل وسوف تجبر على الانسحاب فى أراضى دول غاضبة لكرامتها من جراء احتلال أراضيتها وتنكر بريطانيا لها فى وقت السلم . وثؤكد ان هذه الدول لن تستمع ثانية لوعود خلافة فان آذانها امتلأت بالوعود الكاذبة ولم يبق مكان لوعود أخرى فقد طفح الكيل ...

٤ — ان اكتساب صداقة دول الشرق الأوسط ومساعدتها على الرقى وتكوين جيوشها لكى تدافع داخل حدودها ضد أى معتد أفضل لبريطانيا سياسيا وعسكريا واقتصاديا من الاحتفاظ بعدد قليل من

الجنود فائدتهم الوحيدة خلق روح الكراهية والحقد ضد بريطانيا وتكبيدها مصاريق يمكن الاستفادة منها في جهات أخرى . وأمام بريطانيا أمثلة واضحة على ثورة الشعور القومي ضدها في مصر وإيران والسودان .

الحلول المفتوحة أمام بريطانيا :

١ — الاصرار على استراتيجيتها العتيقة بالاحتفاظ بقواتها في هذه المنطقة على حساب حريات شعوب الشرق الأوسط . وإن سياسة السيطرة على المنطقة والاصرار على الاحتفاظ بمركز ممتاز فيها لم تعد ممكنة ، حيث أن مثل هذه السياسة تتطلب صلابة حربية تثير مقاومة الشرق الأوسط — الذي أصبح أكثر مقدرة على المقاومة العملية — وتضع بريطانيا في قفص الاتهام أمام الأمم المتحدة وتكلفها نفقات باهظة.

٢ — تعتمد بريطانيا الى الدخول مع دول الشرق الأوسط في معاهدات اقليمية تشركها في الدفاع عن المنطقة ولكن ذلك لا يلقى قبولا من هذه الدول وخاصة قبل أن تنال حريتها كاملة غير مقيدة .

٣ — اذن لم يبق سوى قبول انسحاب بريطانيا من المنطقة مع محاولة الحصول على خير اتفاق ممكن ونقل قواتها الى منطقة أخرى في أواسط افريقيا — غرب افريقيا — على أن تكون منطقة شرق افريقيا قاعدة تبادلية مع العمل على تقوية دول الشرق الاوسط عسكريا وعدم عرقلة قواها الاقتصادية .

وقد يقول البعض ان سياسة الانسحاب ليست أفضل من سياسة فرض التسليط بالقوة لأنها تتضمن الركون الى دول الشرق الأوسط بمعونة الأموال الأمريكية — وهي في رأيها ناقصة الكفاءة والاستعداد ولا يمكنها مقاومة النفوذ السوفييتي الذي يقف على أبوابها .

ولكني أعتقد أن هذا الرأي خاطيء فدول الشرق الأوسط عامة والشرق العربي خاصة قادرة على صد العدوان عنها ولذا فإن اتخاذ

بريطانيا هذا الحل هو الأوفق لاستراتيجيتها على ضوء التطورات العالمية الحالية فضلا عن أن في اتخاذها مثل هذا الحل يحقق لها المزايا الآتية بعد : —

أ — اكتساب صداقة دول الشرق الأوسط بعد طول عداء . وإذا قال قائل ان هذه الدول قد تعلن الحياد فهناك احتمالان اما أن تحترم روسيا هذا الحياد وهذا يتمشى مع المصالح البريطانية في منطقة الشرق الأوسط واما أن تخترق روسيا الحياد فتهدد الجيوش المحلية للدفاع عن كيانها .

ب — البعد عن منطقة التصادم وترك الثورات المعادية الروسية تتقدم في وجه مقاومات الدول التي تخترقها جيوشها فتطول خطوط مواصلاتها وتنهك قواها ثم تقوم بريطانيا بضربة مضادة في الوقت والمكان المناسبين .

ج — توفير جزء كبير من المجهود المادى والبشرى مع حشد القوات في مكان واحد آمن .

د — توفير العمق الاستراتيجى الكافى فى الدفاع .

الخلاصة :

من كل ما سبق يمكن القول بأنه على بريطانيا أن تعيد النظر في استراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط على أساس عملى سليم مبنى على أساس تقدير الشعور القومى لشعوب هذه المنطقة كافة وترمى بعرض الحائط سياستها التقليدية الاستعمارية المبنية على أساس الهيبة البريطانية وعلى بريطانيا أن تهتم بالسلام فى الشرق الأوسط عن اهتمامها بامبراطوريتها ...

فمن نافلة القول أن نردد أن السلام فى الشرق الأوسط مرهون برضاء أهله وفى مقدمتهم أهل هذه البلاد الذين صبروا طويلا حتى لم

يعد في قوس صبرهم منزع للسهام فاذا كانت بريطانيا تنشد الأمان وتبحث عن الاستقرار فعليها ادراك حقائق الأمور وهي أن دول الشرق الأوسط وحدها هي التي تملك زمام السلم كما تملك زمام الحرب وتستطيع هذه الدول بجدها وإخلاصها واتحادها أن تهب البشرية سلاما هي في أشد الحاجة إليه ، وإن عناصر الاستقرار والسلام هذه لا يمكن أن ترتبط أو تقوم على قواعد مادية فتلك قواعد من الرمال الخائنة التي تنهار تلقائيا ولكنها تقوم أولا وآخرها على صداقة الشعوب فهذه الصداقة هي التي تبقى عمادا للأمان .

وأختم كلمتي بأن بريطانيا التي اجتمعت أخيرا مع أمريكا وفرنسا في مؤتمر برمودا لم تغير من سياستها شيء فقد ظلت متمسكة بسياسة الاستعمار والهيبة ولكن عليها أن تعلم جيدا بأنه لم يعد في الشرق العربي من يؤمن بأن اجتماع الدول الكبيرة في أي مؤتمر قد يؤدي إلى حل قضايا الحرية ولا من يؤمن بأن إنجلترا وحدها قد تصل مع دولة إلى اتفاق ودي يحقق مطالبها ولا من يؤمن بأن في الامكان الاستعانة بأمريكا على بريطانيا أو بروسيا على الاثنين .

انحصر الايمان كله في طريق واحد : هو طريق الكفاح الذي به وحده ستتحرر الشعوب من الاستعمار البريطاني .

الباب الخامس

المصالح والسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط

« تؤمن سياسة الولايات المتحدة
بالحق الطبيعي لكافة الشعوب في
تقرير مصيرها وتحقيق الحكم الذاتي
لها. ولكن رغم ذلك نجد أن سياستها
في منطقة الشرق الأوسط تتحدد
باستراتيجيتها انحرية وسياستها
الحالية أزاء خطر الاتحاد السوفييتي
عليها مما يجعلها تحرص كل الحرص
على عدم قيام أزمة بينها وبين إنجلترا
الاستعمارية .. »

هل للولايات المتحدة سياسة خارجية فيما يتصل بالشرق الأوسط !

كلنا نعلم ان الولايات المتحدة بدأت برسم سياستها الخارجية على
أساس العزلة وعدم التدخل في الشؤون الدولية وعدم اشتراكها في
المعاهدات والتحالفات الأجنبية حيث أعلن الرئيس مونرو مبدأه المعروف
بأن شؤون أمريكا تخص الأمريكيين دون غيرهم .. وظلت هذه السياسة
عشرات السنين حتى تولى الرئيس ولسون الحكم قبل الحرب العالمية
الأولى فأنحرف عن تلك السياسة التقليدية — سياسة العزلة .

فبدأت الولايات المتحدة الدخول في حلبة ميدان السياسة الدولية
وبصورة خاصة بدافع اتساع تجارتها الخارجية ونمو اسطولها التجاري

وبذلك دخلت الحرب العالمية الأولى ولكنها لم تشترك فيها كحليفة بل كدولة صديقة متعاونة . وبعد انتهاء الحرب انغمست في الشؤون السياسية العالمية ، في مؤتمر السلام بباريس حيث عرض خلالها الرئيس ولسون سياستها المثالية المبنية على — سياسة حكم الشعوب نفسها .

وبتولى الجمهوريين الحكم ، حاولوا العودة بها الى سياسة العزلة مما دعاها الى عدم اشتراكها في عصبة الأمم ، ولكنهم لم يفلحوا في الاستمرار في هذه السياسة بسبب ضغط التطورات السياسية العالمية والحركات العقيدية واتساع تجارة أمريكا الخارجية ونمو مصالحها .. وبصفة خاصة قيام الخطر الياباني على تلك المصالح مع ظهور التطورات السريعة في الأسلحة الحربية الحديثة مما جعل وجود الولايات المتحدة في عزلة جغرافية أمرا بعيد المنال حيث قلت أهمية المحيطات كموانع استراتيجية بفضل تقدم السلاح الجوى والبحرى ..

ولما تولى الرئيس روزفلت الحكم صمم على الاشتراك في السياسة الدولية بما يتمشى مع مصالح الولايات المتحدة العالمية فهجر بذلك سياسة العزلة وساعده على ذلك حادث بيرل هاربور مما تسبب عنه دخول أمريكا الحرب وعقدها المحادثات والمعاهدات على اختلاف أنواعها وتعدد أوصافها ..

ولقد بدلت الحرب العالمية الثانية من طابع الصراع في البحر المتوسط والشرق الأوسط تبديلا كبيرا .. فقد رفعت ألمانيا وإيطاليا من قائمة الدول العظمى ، وضعفت مكانة فرنسا وتبدلت ودخلت الولايات المتحدة المنطقة بدافع أمله عليها مصالحها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية فتدخلت في شؤون دول المنطقة تدخلا متأرجحا بين تحقيق مصالحها الحيوية في المنطقة وبين سياستها القديمة المبنية على حق الشعوب في تقرير مصيرها ..

ولذلك ليس غريبا أن نجد الولايات المتحدة تعمل وترسم سياستها الخارجية الحالية على فرض أن ما يحدث في هذه المنطقة ذو علاقة حيوية

بمستقبل سلامتها . وليس غريبا أيضا ان المصالح والأهداف الخاصة بها في المنطقة قد ارتبطت وازدادت وثوقا بينها وبين بريطانيا فانفقت استراتيجية الدولتين على غرض واحد هو منع الشيوعية من الانتشار في هذه المنطقة مع عدم خضوع دول وموارد هذه المنطقة للاتحاد السوفيتي — ولو ان بريطانيا لم تنحرف عن سياستها التقليدية القديمة المبنية على الاستغلال والهيبة البريطانية .

جوهر السياسة الأمريكية في المنطقة :

لا شك في ان الشعب الأمريكي يميل الى الاعتقاد بأن الشعوب متى وهبت حق الحكم الذاتي والاستقلال والسيادة وأعطيت لها الفرصة المطلقة والظروف الملائمة لاصلاح مجتمعتها الخاص ، فانه بذلك يمكن تكوين أساس قوى لبناء نظام عالمي متآلف يمكن للشعب الأمريكي أن يعيش فيه محوطا بالسلام والطمأنينة .

وسياسة الحكم الذاتي هذه كما يراها الشعب الأمريكي ، متى طبقت على أحوال وبلاد معينة في الشرق الأوسط انما تعنى مثلا اتجاها وديا نحو رغبة الحكومة الايرانية في انهاء عقود شركة الزيت الانجلو ايرانية وتأميم ممتلكاتها ونحو آمال الشعب وجهود حكومته في سبيل تخفيف ضائقة الشعب الايراني .. وعلى غرار هذا الاتجاه ينظر الأمريكيون بعين العطف الى رغبة المصريين في السيادة التامة الفعلية — وليست الاسمية — على منطقة قناة السويس .. وفي الوقت نفسه الى تأييد أحلام اسرائيل في النهوض والفوز بتحقيق أهدافها كدولة ناشئة .. والى تصميم تركيا على التمسك بالسيطرة على المضائق .. والى آماني السودانيين والتونسيين والمراكشيين في الحكم الذاتي .. ثم الى رجاء العرب في تحقيق المساواة والعدالة لمواطنيهم ..

هذه هي سياسة الشعب الأمريكي .

ولكن سياسة الولايات المتحدة كدولة لها مصالحها وأهدافها واستراتيجيتها تقطع هذه السياسة العامة في الشرق قطعا تاما بسبب

صراعها الحالي مع روسيا السوفيتية ، فصراع ساستي الدولتين يمتد في الغالب الى أربعة أقطار المعمورة بل ومن المؤكد الى كل مظهر من مظاهر الحياة فيها .

ولذلك يمكن القول بأن هدف سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو عدم تمكين روسيا السوفيتية من السيطرة على أية بقعة من بقاع الشرق الأوسط سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر .. وهذا الاتجاه الحديث في السياسة الأمريكية يثير مجموعة من الأسئلة لبحثها :

هل هناك مصالح أمريكية في الشرق الأوسط ؟ ..

ما مقدار أهمية تلك المصالح وما هي صفاتها ؟ ..

كيف يمكن للولايات المتحدة الدفاع عنها ! وبأي ثمن ؟

ما هي النتائج التي قد تترتب على الجهود والتواني ؟ .. وما أثر سياسة

قوميات الشعوب عليها ؟

وأخيرا ما هي أوجه التوافق وأوجه الخلاف بين سياستها وسياسة

انجلترا في المنطقة ؟ ..

وفي الاجابة على هذه الأسئلة كشف عن خيوط وجوهر السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ولذلك نجدها تتمسك بأوضاع معينة ازاء كل بلد من بلدان الشرق الأوسط وبآراء معينة ازاء كل مشكلة من مشاكل المنطقة ..

أهمية الشرق الأوسط للولايات المتحدة :

وحتى يمكننا بحث المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط يجب علينا ابراز أهمية المنطقة للولايات المتحدة وما لهذه المنطقة من أثر بالغ في المصالح الأمريكية . فأبرز ما يوضح تلك الأهمية هي المحاضرة التي ألقاها بايرون مساعد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط أمام جمعية العلاقات الدولية في شيكاغو في ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، حيث مضى قائلا في تحليل أهمية هذه المنطقة ما يلي :

أولا : المركز الاستراتيجي للشرق الأوسط في النزاع القائم حاليا بين كتلتى الشرق والغرب . وهذا عامل واضح مفهوم لا يحتاج الى شرح :

فالتاريخ حافل بأسماء الغزاة ومن في حكمهم ممن اتخذوا من هذه البقعة التي تتوسط ثلاث قارات قاعدة لزخوفهم وتوسعهم . كما ان كل الخطوط الجوية الدولية الهامة التي تربط آسيا بأوروبا والولايات المتحدة تمر بالشرق الأوسط . أما قناة السويس فشريان حيوى للنقل المائى العالمى بما يهيئه من طريق سهل الى جنوب آسيا ذى الموارد الهائلة من المواد الخام والأيدى العاملة والى أفريقيا بما تحويه بطون أرضها من معادن اليورانيوم والمنجنيز والكروم والنحاس ..

والكل يوافق رأى ذلك السياسى الكبير على ان أهمية الشرق الأوسط فى الصراع العالمى المقبل تفوق أهمية كل مكان آخر فى العالم وعليه فلن يستطيع أحد الطرفين أن يسمح بسيطرة دائمة مستقرة للطرف الآخر فى هذه المنطقة الا مرغما .

ثانيا : كذلك يرجع اهتمامنا بهذه المنطقة الى أن تربتها تحوى ٥٠٪ من زيت العالم تقريبا فهى بذلك تسد نسبة كبيرة من طلبات أوروبا وآسيا وأفريقيا من البترول . فلو لا هذا الزيت لثلت صناعات حلفائنا الغربيين ولأنهكت صناعاتنا المحلية ، لذلك فنحن نساعد شركات البترول الأمريكية فى دائرة أعمالها المتسعة فى بلاد العرب كما اننا نساهم بنصيب كبير فى منابع الزيت الموجودة فى الكويت والبحرين والعراق ..

ولكن هل نرى هذا السياسى الكبير ان هذا المورد الكبير من الزيت يمكن أن يصبح مورداً قوياً لتصنيع دول الشرق الأوسط نفسها وأداة لرفع مستوى معيشة شعوبه . فضلا عن ذلك فهو فى الوقت الحاضر اما ملك فعال يخشى بأس مالكة أو احتمال خطير يتوقف على من فى وسعه مباشرة الوصول اليه واستخدامه .

ثالثا : ومضى يقول ان آخر هذه العوامل ولكن أولها أهمية هو عامل سكان الشرق الأوسط حيث يعيش أكثر من ١٠٠ مليون نسمة لا نفتأ نحن الذين نعيش فى نطاق العالم الحر أن نقدر صداقتهم ونرجو رفاهيتهم وصلاح أمرهم . وهم قوم تسود آراؤهم وسياساتهم القومية

الحديثه جميع أنحاء المنطقة العربية بشعوبها الجموحة . فرغبات هؤلاء ينبغي أن تحظى بقسط من جهودنا التي تهدف للعمل في وفاق مع شعوب العالم الحر من أجل الأخذ بناصرها .

حقيقة ان الولايات المتحدة تريد أن تصل الى ود أهل هذه المنطقة الحساسة ولكنها لن تجد السبيل الى ذلك لخلاف أصيل في سياسة الكتلة التي تنزعها :

فالفرنسيون مثلا تتعارض سياستهم الاستعمارية وأهدافهم مع رغبة أهل المغرب العربي في الحرية والاستقلال ..

والبريطانيون يرثون سلطانا في هذه المنطقة يؤلمهم أن يتخلوا عنه ، كما يزعمهم فقدان ما وراء هذا السلطان في البلاد العربية من بترول ومنافع وامبراطورية في أفريقيا السوداء. فهم لذلك لا يرضون أن يعترفوا برغبة الشعوب العربية في الحرية والسيادة الكاملة على أراضيها .

والصهيونية العالمية التي تؤيد وتؤازر اسرائيل عدوة العرب اللدود تفرع من ظهور العرب في ميدان السياسة الدولية مما قد يترتب عليه زوال دولة اسرائيل ان شاء الله .

ومن ناحية غير مباشرة فان الأحوال في كوريا والهند الصينية وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها .. ما زالت تجعل من المستحيل على الولايات المتحدة أن تتخذ في كثير من مظاهر سياستها الخارجية في الشرق الأوسط تكتيكا يؤدي بها في أسرع وقت الى غايتها المرجوه التي أوضحها زعمائها في كثير من خطبهم .

وهذا يدعونا أن نتساءل : اذا سلمنا بالحالة في غرب أوروبا وبمقاصد الولايات المتحدة فيها ثم بحساسية الميزان السياسي في فرنسا فالى أى حد ينبغي للولايات المتحدة أن تضغط على الفرنسيين فيما يتصل بأهداف الوطنيين في شمال أفريقيا ؟..

ثم لتأمل آراء الانجليز فى مشكلة كوريا وموقفهم ازاء الصين الشيوعية ولنتساءل بعدئذ : الى أى حد تستطيع الولايات المتحدة أن تضغط على انجلترا لاجابة مطالب مصر فى الجلاء عن أراضيها ؟ ..

وما هذان الموقفان الا بعضا من المواقف العديدة التى أصبحت مع سياسة الولايات المتحدة الخارجية المتضاربة فى غاية كبيرة من التعقيد .

خلاصة : لذلك ليس غريبا أن نجد ان هذه القوى وتلك العوامل تؤثر بطرائق شتى على السياسة القومية الأمريكية فتجعلها تتذبذب غير مستقرة بين أنصار الحرية وأنصار الاستعمار مما جعل منها فى السنوات الأخيرة سياسة انتهازية مؤقتة لا تستقر على حال وترتب عليها عدم الثقة فيها حتى من خصوم الشيوعية الالقاء فى الشرق العربى والاسلامى .

والآن يمكننا على ضوء هذه العوامل وتلك القوى أن نحدد أهداف سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة ..

أهداف سياسة الولايات المتحدة :

هذه الأهداف تبدو فى حد ذاتها مسائل بسيطة — وهى كما حددتها المصادر الرسمية الأمريكية فى مناسبات عدة : —

١ — الرغبة فى الاستقرار الداخلى وصيانة القانون الدولى والنظام فى المنطقة .

٢ — نشر السلام بين دول الشرق الأوسط ذاتها مع تهيئة حسن التفاهم بينها وبين الدول الغربية الكبرى .

٣ — خلق الظروف التى تمهد السبيل لزيادة الرخاء الاقتصادى العام .

٤ — المحافظة على النشوء الديموقراطى وتقويته بشكل يقر على الأقل نفس المبادئ الأساسية للديموقراطية الأمريكية .

٥ — تشجيع تدابير الدفاع الاقليمى ضد عدوان العالم السوفييتى .

وتدعى الولايات المتحدة ان الاضطرابات والميول الخفية السائدة اليوم فى الشرق الأوسط تقف عقبة كئود فى سبيل تحقيق أهدافها ، فهى تقول ان كثيرا من أهم هذه المنطقة حديثة العهد بالاستقلال الأمر الذى يجعلها شديدة الغيرة على سيادتها القومية ، اذ بعد أن قضت أعواما طويلة تحت الاحتلال — أو صنوف العراقل الأجنبية — تتوجس رية من كل تأثير أجنبى حتى لقد اتخذ مبدأ القومية فى بعض الحالات — على حد قولهم — اشكالا متطرفة (ايران مثلا ..)

ومما يدهش كثيرين من الأمريكيين ان التوسع والاستعمار السوفييتى غير معترف بها فى بعض أنحاء هذه المنطقة كخطر أساسى اذ ترى بعضها ان العدو أقرب اليها من حبل الوريد ومن ثم تتجه الأفكار والأعمال لا الى سلامة المنطقة كلها بل الى سلامة الدولة نفسها من خطر الأخرى مما أدى الى فراغ عسكرى وسياسى بينها — هذا الفراغ الاستراتيجى الذى ربما يغرى الاتحاد السوفييتى بالاندفاع اليه .

ومن الأسباب الرئيسية للصعاب هو شدة ما تعانيه المنطقة من فقر اقتصادى وانعدام التوازن الاقتصادى فيها ، بينما يمكن أن يكون الحال عكس ذلك فخلق بكثير من دول الشرق الأوسط أن تضبط زمام نفسها بنفسها لكى تتمكن من بلوغ مستوى أعلى من الرخاء العام .

لهذه الأسباب شرعت الولايات المتحدة منذ مدة فى السعى الى بلوغ أهدافها فى هذه المنطقة وكان أهم مسعى قامت به فى هذا الشأن توسطها لفض النزاع المصرى البريطانى حيث انها تؤمن بأن مصر الحديثة أهل للتأييد فى عهدها الجديد عهد القوة الذاتية والقوة الدولية . وهى تسعى فى كل مكان للتغلب على مشكلات الشرق الأوسط التى تقف عائقا أمام تحقيق الأهداف الأمريكية .

ومشكلات الشرق الأوسط ليست مستعصية على الحل . فالشيوعية هى أقل هذه المشكلات شأنا اذا قيست بمشكلة النضج الاقتصادى والسياسى فى المنطقة ..

والنزاع على قاعدة القنال يمكن تسويته والخلافات بين العرب واليهود يمكن حلها وفي مقدور الولايات المتحدة المعاونة على تسوية هذه الحلول اذا التزمت جانب النزاهة وابتعدت عن التجزب — فمساهمة الولايات المتحدة في انشاء الوطن القومي اليهودي ليس معناه انها لا تحترم العرب أو انها تهمل مصالحهم أو انها تشجع اسرائيل على عدم تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة .

ومن المشاكل الرئيسية التي تعتبر عقبة كأداء في سبيل عدم استقرار الشرق الأوسط — ومن ثم ترتب عليها أن اعتبرت منطقة الشرق الأوسط منطقة فراغ استراتيجي وجب على الولايات المتحدة أن تملأه في صورة منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط — هي المشاكل الحيوية الآتية : —

النزاع الانجليزي المصري .

الخلاف العربي الاسرائيلي .

مسألة الزيت الانجلو ايرانية .

ولأهمية هذه الموضوعات سوف أفرد لكل منها بحثا منفصلا مسهبا فيما بعد الانتهاء من مصالح الدول العظمى فيه .

استراتيجية وتكتيك السياسة الأمريكية في المنطقة :

ان الاستراتيجية — وبخاصة التكتيك — التي تستخدمها الولايات المتحدة لبلوغ أهدافها السياسية في منطقة الشرق الأوسط قابلة دائما للأخذ والرد موضوعا ونقاشا . فقليل من هذه الاستراتيجية يتعارض مع جوهر السياسة الأمريكية — حق الحكم الذاتي للشعوب . فكثرة المصالح المتناقضة تضع أمام وزارة الخارجية الأمريكية خليط من العوامل المتباينة مما يجعلها في أغلب الأحيان تتبع خطوطا للسير متناقضة أو باطلة في بعض الاوقات — هذا لو حالفها الحظ حقا واستطاعت أن تتبع خطة ما على الاطلاق !.

ويمكن سرد بعض هذه العوامل — على سبيل المثال لا الحصر —
والتي يعتبرها ساسة أمريكا من أهم الدوافع التي أوجدت ما يطلقون
عليه باسم الفراغ الاستراتيجي في المنطقة ، وهذه العوامل أو
المشاكل منها :

**شركات الزيت وأطماعها الاحتكارية - الصهيونية العالمية ودعاتها - العرب
ومطالبهم القومية - الانجليز وأغراضهم الاستعمارية - الاقليات في الشرق
الأوسط - تطاحن الاديان في المنطقة - مشكلة اللاجئين العرب - الشيوعية
في المنطقة - القواعد الامامية في المنطقة - أثر اقتصاديات الاقليم ...**

و كنت أود الخوض في هذه الموضوعات جملة وتفصيلا — ولكن
هذا قد يجعلنا نتوسع في الموضوع على حساب موضوع آخر قد
لا يسمح به هذا الكتيب الصغير — ولذلك سوف أناقش أكثر من
موضوع لتحليل الاستراتيجية الأمريكية نحوه وحتى يمكننا على هذا
الضوء تقدير ورسم خطوطها بما يتمشى مع أهدافها في المنطقة ..

١ - القواعد العسكرية في الشرق الأوسط :

بدأت الولايات المتحدة — نتيجة تطور الحرب وأسلحتها — تقدم
معاونتها حيثما تنتظر نفعا لها يساير أو يتفق مع أهدافها الرئيسية . فبذلت
في سخط مساعدات قيمة لبعض الدول المتاخمة لأسوار الكتلة الشرقية
كتركيا واليونان وغيرهما ، كل هذا حتى تطمئن الى امكان وقوف تلك
الدول ولو وقوفا جزئيا أمام أى تهديد منتظر يحتمل أن تقوم به
القوات السوفيتية .. فلم يكن العون الأمريكي اذن الا ثمنا لهذا
الوقوف أو الصمود المطلوب من شعوب تلك الدول . ولعل أهم ما تعنيه
أمريكا من تدعيم قواعد الشرق الأوسط هو ايقاف تدفق الخطر
الشيوعي لأطول مدة ممكنة حتى تتاح لقوات الكتلة الغربية — وكلها
تعمل وفقا لاستراتيجية أمريكا — فرصة الاستعداد والتحرك الى
مراكز الخطر القادم .

ويخطئ من يعتقد ان دول الشرق الأوسط عامة والشرق العربى خاصة فى حاجة الى أى عون أمريكى ، فالحقيقة هى انه بقدر حاجتنا الى الارتقاء الاقتصادى والسياسى بقدر ما هم فى حاجة الينا والى معوتتنا فى تحقيق وتأمين السلام الدولى فى هذه المنطقة المرفهة الحساسة من العالم .. فلقد ادرك ايزنهاور بخبرته وتقديره العسكرى السليم أن لا أمل فى سلامة أمريكا الا اذا اعتمدت على قواعد أوروبا الغربية لصد التيار الشيوعى من الوصول الى مشارف الأطلنطى . كما انه لابقاء لهذه القواعد الا اذا اتكأت على سلامة جناحها الايمن فى الجنوب بحلقات مرتبطة من القواعد التى تحف بساحل البحر الأبيض من شمال أفريقيا .. ولا فائدة من استغلال هذه القواعد الأفريقية والدفاع عن مواردها الخيالية ما لم تشد أزرها قواعد أمامية فى منطقة الشرق الأوسط تعمل كقواعد دفاعية هجومية وتؤمن موارد البترول التى ترى أمريكا أنها أهم ما يعينها فى المجال الاستراتيجى .

من هذا نرى ان سلامة أمريكا وسلامة أوروبا وسلامة أفريقيا — وكلها هام للدفاع عن الولايات المتحدة — مرهونة بمدى تكامل التناسق فى النظام الوقائى الذى تطلب اقامته للدفاع ضد الخطر السوفيتى . وهذا يتطلب ضمان عون كل شعوب المنطقة تعاونا كاملا ولا بد لذلك من معالجة كل مظهر من مظاهر القلق الذى يسودها سواء كان القلق نفسيا (مشكلة اللاجئين) أو اقتصاديا (مشكلة ايران) أو سياسيا (مشكلة النزاع المصرى البريطانى) أو عسكريا (الهدنة المقلقة بين العرب واسرائيل) .

هذا يتطلب مجهودات كبيرة من ساسة أمريكا تعتمد على ارضاء شعوب المنطقة ويتطلب أيضا تنسيق سياسة العون الأمريكى لهذه المنطقة بروح المساواة لا فرق بين الشعب الأسرائيلى أو الشعب العربى !..

٢ - سياسة أمريكا ازاء اسرائيل :

كلنا يعلم طبعا تلك العوامل الهامة التى مهدت لقيام اسرائيل وأهمها أن الشعب الأمريكى والحكومة الأمريكية قدما مساعدات جلية لليهود لعطفهما على قضية وطن اليهود القومى .. ولقد جأرت شعوب الدول العربية بالشكوى من هذه السياسة التحزبية ، ثم ظهرت مشكلة اللاجئين العرب فزادت الطين بلة بما أضافت من شعور المرارة العميق نحو الأمريكين فى جميع أنحاء العالم العربى ، تلك المرارة التى حلت — الى حد ما على الأقل — محل الثقة السالفة بالولايات المتحدة كدولة تحترم حريات الشعوب واستقلالها .

وإذا حللنا هذه القضية — كما سنطرقها فيما بعد بالتفصيل — لوجدنا أن الانفعالات التى تحيط بها قد بلغت حدا من التوتر تستحيل معه تسوية هذه المشكلة تسوية عاجلة أو تدريجية بل ان السير فى حل أى جزء من هذه المشكلة غالبا ما يكون فى غاية الصعوبة . فالعرب يعتبرون اسرائيل دولة دخيلة كانت وما زالت تنتهج سياسة قوامها التوسع والاحتلال وحشد السكان اليهود من كل حذب وصوب ليقوى صلبها ويشند ساعدها على حساب مليون عربى من أهل البلاد الاصليين ، حرموا من أوطانهم واملاكهم بسبب قيام هذه الدولة التى بلغ من اعتدادها بنفسها وتبجحها انها راحت المرة بعد الأخرى بل وفى كل مناسبة ترفض قرارات الأمم المتحدة التى تقضى بعودة اللاجئين الى أوطانهم والتعويض على من لا يرغب منهم فى العودة .

وأمریکا تعلم وتقدر خطورة هذا الموقف الذى يندر بأن السلام فى الشرق الأوسط مهدد بالانهيار اذا ما استمرت هذه الحوادث الاجرامية وتكررت واذا ما استمرت دول العالم الحر المعنية بالأمر فى تراخيها تجاه اسرائيل ، هذا التراخى الذى لن يكون الا أداة فعالة لاثارة شعور المرارة والاضطراب ثم الحرب فى هذه المنطقة الحيوية من العالم !

ومع ذلك نجد أن سياسة أمريكا نحو إسرائيل هي مساعدتها لتنهض كدولة قوية صديقة مستقلة اقتصاديا وفي الوقت نفسه ترى — لمصلحة أمريكا وسلامتها في هذه المنطقة — ضرورة تخفيف حدة التوتر بين العرب وإسرائيل وضمان استقرار السلم بين الطرفين .

فهي ترى أن هذه الدولة الناشئة واقعة في قلب الشرق العربي وأراضيها فرقايتها حالا واستقبالا تتوقف على تنمية روابط الصداقة مع جيرانها وعلى تأسيس جانب من الثقة بين هذه الأمم .

ولقد ولدت إسرائيل إبان حكومة ترومان وغذيت على حساب هيبة أمريكا واحترامها في البلاد العربية الا أن حكومة ايزنهاور جاءت وأعلنت تغيير هذا التكتيك ؟ فأعلن ايزنهاور عقب انتخابه لرياسة الجمهورية الأمريكية أن سياسته غير سياسة ترومان ، وأنه يدرك عظم الأضرار التي لحقت بالعرب من جراء أعمال سلفه وعطفه على اليهود .

ولكنه يعلم ان هناك مخاوف طبيعية بين إسرائيل والدول العربية : فإسرائيل وهي تحتل ضريبا من المراكز الساحلية العسكرية في العالم العربي تخشى اذا هي خفضت دفاعها أن تدفع بها الدول العربية الى البحر ويعتقد انها لا محالة مقدمة على هذا الأمر متى اشتد ساعدها وانتظمت أحوالها .

أما الدول العربية فهي على علم بمطامع إسرائيل المبنية على شريعتها الموسوية في العودة الى أرض الميعاد ولذلك فهي تفتح اليوم أبوابها على مصراعها لئلا ينقطع من المهاجرين اليهود مما يسبب ضغطا على أرض إسرائيل ومواردها الى حد يصبح معه زيادة التوسع في الاراضي المحيطة بها — مع معونة أمريكا — أمرا محتوما .

ولذلك ارسل المستر دالاس الى الشرق الأوسط لينشر فيه روح الطمأنينة من هذه المخاوف الطبيعية ولزيادة اطلاعه على أحوال الشرق الأوسط عن كثب ولقد نوه دالاس بتغيير الادارات وبالتحول الى

انصاف طرفى النزاع فى القضية الفلسطينية وقال : « ان معضلة ال ٨٥٠٠٠٠٠ من اللاجئين العرب تسير يدا بيد مع السلم فهى مشكلة سياسية واقتصادية وسيكولوجية مالم تكن معسكرات اللاجئين بيئة طبيعية لتفشى الشيوعية » .

ولم يكتف ايزنهاور بذلك بل بعث برسول خاص هو المسترجونستون — رئيس جمعية أصدقاء اسرائيل — الى العواصم العربية يحمل اليها السم الزعاف فى طى مشروع يرمى فى ظاهره الى انعاش البلاد العربية اقتصاديا واجتماعيا وفى حقيقته الى تقوية اسرائيل وتثبيت أقدامها وجر مياه الاردن وغيرها اليها لتحويل صحراء النقب الى مدن عامرة وحدائق غناء وترك البلاد الخصبة التى تروى هذه المياه منذ آلاف السنين صحارى قاحلة جرداء .. ولكن هذا المشروع قوبل بالرفض فى مختلف العواصم العربية .

وعندما بدأت اعتداءات اليهود تتوالى فى الشهور الأخيرة وتشتد على حدود البلاد العربية — ومنها قبة — وجدنا أمريكا فى أول الأمر هددت اسرائيل بقطع معونتها المالية عنها عقابا لها على اقتراف ذلك العمل الوحشى ولكنها عادت فى آخر الأمر واكتفت بتوجيه اللوم الشديد لاسرائيل . ليتها تجاهلت القضية كلها بدلا من قرار عاجز مريض كهذا القرار الذى تقدمت به فى مجلس الأمن تؤيدها انجلترا وفرنسا .

ويا ليتها اكتفت بهذا الوضع فما لبثت أمريكا أن أعلنت استئنافها لهذه المعونة التى تقدمها لاسرائيل بل واندرت بقطع الاعانات عن اللاجئين العرب اذا لم تتفق الدول العربية مع اسرائيل على عقد صلح .

وهكذا تعامل أمريكا اسرائيل — كدولة معتدية على حقوق العرب المشروعة — باسم العدالة والسلم فى هذا العصر . أما العدالة من وجهة نظرها فهى كل قوة تستند الى الأمر الواقع واما السلم فهو فى نظرها الحالة التى تمكن اسرائيل من أن تقوى وتنمو وتعظم وتتسع على حساب الدول المجاورة ..

ان أمريكا تنتظر الى الصلح من وجهة نظر اسرائيل وتريده من أجل اسرائيل وكأن اسرائيل هي أمريكا في الشرق الأوسط واما العرب فتعتقد أمريكا أنه يمكنها استرضائهم بابتسامة بسيطة أو وعد غامض وكلام طويل .

واذا كانت الحكومات العربية صابرة على هذه الحال الى الآن فصبرها لا بد من أن ينفذ آجلا أو عاجلا وان هذه الحكومات اليوم تطلب : -

١ - تدويل القدس تلك المدينة العربية المقدسة .

ب - قبول قرار الامم المتحدة بتعديل حدود اسرائيل الحالية .

ج - اعادة اللاجئين الى اوطانهم

هذا طلب الحكومات العربية ولكن الشعوب العربية التي بدأت تستيقظ لن تقبل من هذا شيئا ، بل تريد استرداد فلسطين كلها وحق اسرائيل فيها والقضاء على الصهيونية قضاء مبرما في الشرق كله . فالحل النهائي لمسألة فلسطين لن يكون الا على هذا الأساس — طال الزمن أو قصر ، ارادت أمريكا أم لم ترد — وتراخت الحكومات العربية أو تشددت ومن يعيش يرى .

٣ - أثر اقتصاديات الاقليم :

وأنتقل الآن الى عامل آخر جديد هو ذلك الأثر الذي تركته اقتصاديات اقليم الشرق الأوسط في أهداف الولايات المتحدة خاصة وفي حالة المنطقة عامة والصورة التي سأعرضها عليكم ليست بالصورة السارة . فان بعض بلدان الشرق الأوسط خلو من الأرض الصالحة للزراعة والمياه والموارد المعدنية وبعضها ذات اقتصاديات غير متوازنة فتارة تكون غنية بالبتروول ولكنها مفتقرة الى المياه والأرض الصالحة للزراعة ، وتارة تكون ذات أرض من الممكن أن تصير خصبة ولكنها تفقر الى المياه أو وسائل الري .

ومن المظاهر البارزة في المنطقة قلة السكان وانتشار المرض والفقر بينهم وضعف التوازن بين الصناعة والزراعة ففي حالة واحدة يعتمدون اعتمادا مذبذبا على أسواق التجارة الدولية الحرة وفي أغلب الحالات تتركز الثروة في ايدي أقلية على حين تعاني الأغلبية مرارة العوز والحرمان الأمر الذي يؤدي الى عدم استثمار رأس المال - لو وجد - استثمارا صحيحا - فضعف الانتاج وزيادة السكان وعدم كفاية المأكل والسكن والعناية الطبية والتعليم كلها مما ترزح الطبقات الفقيرة من الشعوب تحت ظله الثقيل ..

ومن الخطأ أن نصف المنطقة في بعض جهاتها بالتأخر والأصح وصفها من وجهة النظر الزراعية بأنها منطقة سيئة الاستخدام فهي بحاجة الى الإصلاح بقدر ما هي بحاجة الى العمران الحديث ولكن بعض شعوب المنطقة - وفي مقدمتها مصر التي نهضت بل وقفزت بعد قيامها بثورتها الناجحة - جادة في طلب حل هذه الصعاب وهي في سبيل التغلب عليها تدريجيا جملة وتفصيلا سواء وصلتها المعونة من الخارج أم لم تصل. وتعمل الولايات المتحدة - لمصلحتها الخاصة - على الاخذ بناصر ذلك التقدم الذاتي الذي أظهرته أمم الشرق الأوسط بما تقدم من برنامج النقطة الرابعة وبرامج الضمان الجماعي وقروض بنك التصدير والاستيراد والمؤسسات الخيرية الخاصة . كما يعمل المهندسون الامريكيون في مشروعات توليد الكهرباء والقوى المائية في لبنان من خزان فھر لیتانی . وفضلا عن ذلك فهي تمتد كل من العراق وشرق الأردن وغيرها بالفنيين لتدريب السكان على الفنون الزراعية وتربية المواشي والتعليم والطب .

على ان مبلغ مساعدات امريكا للشرق الأوسط في نواحي رأس المال والآلات الصناعية ليست كبيرة بما يتناسب والظروف الاقتصادية ومطالب الاقليم اذا ماقيست ببعض جهودها في اسرائيل أو تركيا واليونان فهي تريد أن تقبض الثمن اولا وهي العمل على تكوين منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط .

٤ - محاربة الشيوعية في الشرق الأوسط :

ان الاتحاد السوفييتى ذو اطماع فى الشرق الأوسط أمر لا يخفى على أحد ولا يخفى على امريكا بالذات اذ فضلا عن القلاقل والاضطرابات التى يجتهد الشيوعيون فى اثارتها بالمنطقة عمد زعماء الروس الى كشف نواياهم العدائية فقد كانت مضائق استانبول مثلا موضوع كثير من الدسائس القيصرية والسوفييتية وابان تحالف روسيا مع المانيا النازية سنة ١٩٣٩ سعى مولوتوف لضمان اعتراف المحور بأمانى السوفييت فى الاتجاه العام للخليج الفارسى - وقد اسردنا هذا فى باب سابق اوضحنا فيه مطاعم روسيا فى الشرق الأوسط

وتصبح هذه الحقيقة على قدر كبير من الأهمية متى فكرنا فيما تهدف اليه سياسة امريكا الخارجية من نجاح فى الشرق الأوسط . فمن الحماقة مع هذه الظروف العصيبة التى تحيط بدول المنطقة اقتصاديا وسياسيا ومعنويا وأديا أن تتفاعل كل التفاعل كما ان ذلك لايعنى أن تتعاسى تقاعسا تاما فهى تصرف على محاربة الشيوعية فى أقاليم أخرى خارج نطاق المنطقة ملايين الدولارات على محاربة الشيوعية

على ان هناك اسباب عديدة تبعث على تشجيع امريكا فى محاربة الشيوعية منها ولا ريب ذلك التطور القومى القائم الآن فى بعض دول الأقليم - وفى مقدمتها مصر - الذى اصبح الزعماء معه اكثر استجابة لمطالب رفاهية شعوبهم ولا ريب أن تنفيذ هذه المطالب سيحدث حتما تبديلا فى الأحوال يصل الى حد الانقلاب الفعلى فى الاقليم بأكمله ومن مصلحة امريكا أن تعطف على دوافع هذه الثورة ويجب عليها أن تعضدها بقدر المستطاع حتى تسير فى طريق منتظم مشر .

ولكن أمريكا تفكر فى هذا الموضوع - رفاهية شعوب الشرق الأوسط - على ضوء التوفيق بين الثلاث العوامل الاقتصادية والسياسية والحربية لتعمل معا دون أن يضر أحدها بالآخر . كما يتوقف مساعدتها

في محاربة الشيوعية على ضوء رد الفعل المحلي لنوع الضغط الذي يختاره الاتحاد السوفييتي لتشيده على الشرق الأوسط سرا أو جهرا كذلك يتوقف على كيفية تمييز شعوب الشرق الأوسط للاخطار الحقيقية التي تهددها وكيف تعمل في صواب على دفعها عنها .

٥ - تعليق :

سأكتفي بالعوامل السابقة فقط التي تواجهها أمريكا في الشرق الأوسط والتي يتوقف على حلها حلا سليما مدى نجاحها في تحقيق أهدافها وحماية مصالحها في تلك البقعة الحساسة من العالم .. واني أود أن أضرب لذلك مثلا عربيا أو بمعنى آخر قصة ذات مغزى يمكن مقارنتها بمدى معالجة أمريكا لتلك المسؤوليات التي تواجهها في الشرق الأوسط وهذه القصة هي : —

في ذات يوم أرسل أحد تجار بغداد خادمه الى السوق لبيتاع مؤنا ، فلم يمض برهة حتى عاد الخادم مرتعدا حيث بادر سيده قائلا « سيدى لما كنت الآن في السوق ارتطمت بامرأة وسط الزحام واذا التفت ورأى أدركت ان ما ارتطمت به لم يكن سوى « عزرائيل » في ثوب امرأة . ورمتنى المرأة بنظرة ثم أشارت الى متوعة فبرك أعرنى جوادك حتى أرحل عن هذه المدينة وأتقادي ملاقة حتفى سأقصد بلدة سمارا فهناك لن يلاقيني الموت .. وأعاره التاجر جواده فسرعان ما امتطاه الخادم واندفع به ركضا خارج المدينة في سرعة خاطفة . وبعدئذ ذهب التاجر الى السوق حيث رأى « عزرائيل » واقفا وسط الزحام فدفن وسأله « لم أشرت الى خادمى مهددا حالما رأيته هذا الصباح ؟ » فأجابه عزرائيل « انها لم تكن اشارة تهديد بل مجرد مفاجأة فقد عجبت لرؤيتى له في بغداد اذ كنت على موعد معه هذه الليلة في سمارا ..

وهاهى أمريكا ان تحاشت تلك المسؤوليات التي ألقيت على عاتقها على ضوء موقفها العالمى واستراتيجيتها العالمية فلن تكون أسعد حظا

من ذلك الخادم في سعيه لتفادي المحتوم .. على ان نجاح أهدافها في الشرق الأوسط سيتوقف على رغبتها في تحمل المسؤولية على ضوء الحقائق التي تواجهها ازاء شعوب الشرق الأوسط وعلى السير قدما دون محاباة للمساهمة في حل تلك المعضلات الكثيرة التي يضعها الشرق الأوسط أمام العالم الحر ..

وقد قال الرئيس اللواء (اح) محمد نجيب رئيس جمهورية مصر في هذا الخصوص مع ملاحظة أن أمريكا تعتبر بريطانيا حليفها القوية فأجاب « نحن نعتقد ان الولايات المتحدة تستطيع أن تفعل الكثير في هذا الشأن ففى وسعها أن تستفيد هى نفسها فائدة كبيرة اذ أزالَت المِراة التى تحس بها الدول التى عاشت ردحا من الزمن تحت نير الاستعمار ، لا سيما وان أمريكا تتمتع اليوم بمركزها الممتاز الذى يمكنها من تصحيح الاخطاء التى تهدد علاقاتها الودية بأقطار كثيرة — مثل مصر — وتستطيع أن تبذل وساطتها لدى بريطانيا وتقنعها بحل المشاكل المختلفة المعلقة بينها وبين الدول العربية فتؤدى بذلك أكبر خدمة لا للدول العربية بل لبريطانيا نفسها وستضمن لنفسها الاستقرار الذى تريده فى الشرق الأوسط اذا أمكنها الضغط على اسرائيل لتحقيق شروط العرب المشروعة .. »

ولكن أختِم هذا التعليق بأن أمريكا على ما يبدو من سياستها الحالية لم تنجح فى تحقيق أهدافها فى الشرق الأوسط بسبب انها تقيم وزنا كبيرا لاسرائيل ووزنا أكبر لغضب تشرشل بل ان خوفها منه هو الذى جعلها تقف من كفاح العرب موقف العداء الذى يقيد من حريتهم واستقلالهم .. ولقد وفق الأستاذ الصاوى اذ وجه الى الرئيس ايزنهاور متسائلا أالى هذا الحد يربكم هذا الشيخ (تشرشل) ولولاكم فى الحربين العالميتين السابقتين لكان الآن من المعتقلين ؟ ..

قوة مركز الزيت :

ومن جهة موارد الزيت فى الكويت والعراق والمملكة العربية السعودية فالحكومة الأمريكية متمسكة على الدوام بسياسة عدم التدخل ، ومرجع

ذلك في الغالب الى أن الشركات نفسها قد حسنت علاقاتها بحكومات المنطقة وشعوبها .. وعلى هذا المنوال اتبعت الحكومة الأمريكية سياسة عدم التدخل فيما يتصل بالمؤسسات الأمريكية العديدة المنتشرة في جميع أنحاء الشرق الأوسط من تعليمية وطبية وخيرية .

والزيت في هذه المناطق يعتبر قوة كامنة تمتلكها البلاد العربية والتي اذا حبستها عن أوروبا الغربية لتعطلت حركة الصناعات بها — وكان في هذا الخطر الأكبر على أمريكا وموضوع الدفاع عنها — وترتب عنها توقف جيوش الغرب عن التدريب والاستعداد في الحرب الباردة وعن القتال في الحرب الساخنة . ولهذا نجد أمريكا تتدخل في مشاكل الزيت وأكبر دليل على ذلك تدخلها الكبير في مشكلة البترول الإيراني .

أما سياسة أمريكا في البترول الإيراني — ولو اني سأعرض لهذه المشكلة بالتفصيل في باب منفصل — فهي نسخة طبق الأصل من سياستها في جميع بلدان الشرق الأوسط فهي : —

أولا : تريد أن تجعل من إيران قاعدة حربية أمريكية .

ثانيا : هناك أيضا رأس المال الأمريكي النشيط الى الاستغلال خارج الحدود الأمريكية وليس في العالم ما هو أربح من صناعة البترول وتجارته وبترول إيران أجود وأرقى أنواع البترول العالمي .

ثالثا : ان نسبة الاحتياطي الموجود في باطن التربة الإيرانية هي أعلى نسبة في العالم . هذا فضلا عن ضالة تكاليف الانتاج .

وقد يقول القارئ بأن كل هذه الثروة البترولية العظيمة كانت مستغلة بواسطة بريطانيا والاجابة على هذا القول بأنه أولا : ما أمريكا الا حليفة لبريطانيا ، فضلا على ان ذلك لم يمنع رأس المال الأمريكي من أن يدخل في صراع جبار مع رأس المال الانجليزي من أجل الاستحواذ على أكبر كمية من بترول إيران .. فلا زال العالم يذكر التضريح المشهور لمستر جرادي سفير أمريكا بإيران في عام ١٩٥١ خلال المفاوضات الدائرة

بين الشركة الانجليزية وحكومة ايران على رفع نسبة الأرباح المخصصة للحكومة الايرانية تشبيها لما تقوم به شركة البترول الأمريكية الخاصة باستغلال بترول الجزيرة العربية — ارامكو — فهي تمنح الملك عبدالعزيز آل سعود ٥٠٪ من أرباحها ..

كما ويجب علينا ألا ننسى الدور الذي قامت به أمريكا في عهدها الأخير في اسقاط حكومة مصدق ومساعدة زاهدي على الاستيلاء على الحكم والدليل على ذلك التجاء زاهدي الى أمريكا يطلب الغوث المالي السريع ومبادرة أمريكا — بعد التفاهم مع بريطانيا كما أعلنت في حينه — الى تقديم بعض المساعدات المالية لايران ..

كما أوفدت أمريكا المستر هوبرت هوفر مستشار وزارة خارجيتها لشئون البترول الى طهران تحت ستار الدرس والاستطلاع .. وهي تبغى بعد اتفاق إنجلترا مع ايران حول المشكلة البترولية ان تدخل ايران في منظمة الدفاع عن شمال الشرق الأوسط بانضمامها الى تركيا والباكستان — وتقول بعض المصادر العراق أيضا — وسوف يأتي الكلام عن هذه المنظمة المقترحة بالتفصيل فيما بعد ..

الا ان أمريكا فوق كل ذلك كله تؤيد ببعض التحفظ حركة التأميم كما ينادى بها آية الله كاشاني والكتلة الوطنية وذلك رغما على انه مازال باقيا على انتهائه أجل الامتياز عدة سنوات وكنتيجة لهذا الموقف لم تنكر الحكومة الأمريكية على ايران قط حقها في بيع زيتها أو مشتقاته — هذه النقطة من نقط الخلاف بين سياستي الحليفتين في الشرق الأوسط ..

أما فيما يتصل بموضوع تعويض الشركة البريطانية فقد اتفقت مع بريطانيا وايران على وجوب التعويض الا ان العقبة لا زالت هي نفسها في تقدير هذا التعويض وفي حصر الأشياء التي يتناولها هذا التعويض . فقد أصر البريطانيون على أن يكون شاملا للفوائد التي تتحصل في المستقبل مادام أجل الامتياز ساريا غير ان مصدق — في ذلك الوقت — تقاعس عند حد هذه النقطة السافرة ورفض الاستمرار في مفاوضات

جبرية وأشار الى وجوب تعويض ايران عما كان يجب أن يؤول اليها من رسوم زائدة وفوائد وضرائب مستحقة على الشركة عن الماضي ولم تعلن أمريكا قط سياستها الصريحة بصدد هذه النقطة ولكن يبدو من سياستها الأخيرة انها تساوّم بريطانيا على اشراكها في استغلال البترول الايرانى بدلا من أن يفقده الاثنان معا .

أمريكا والدول العربية :

قال فوستردالاس وزير خارجية أمريكا في إحدى المؤتمرات الدولية « ان انشاء هيئة لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط لا يعد مشروعا عمليا نظرا لأن دول تلك المنطقة ليست مستعدة ولا راغبة في المساهمة في هذه الهيئة » .. ما الذى يقصده الوزير بدول تلك المنطقة ؟.. لا يختلف اثنان في انه يقصد دول الجامعة العربية لأنه قال في هذا المعنى ان الأصل في انشاء قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط هو ان تساهم دول المنطقة مساهمة كبيرة فيها ولكن يظهر ان العرب واليهود مشغولون بالنزاع القائم بينهم أكثر مما هم مهتمون بأى شىء آخر .. ولما كنت قد أوضحت سياسة أمريكا التحزبية نحو اسرائيل فمن المعترف به ضمنا — من كلام الدبلوماسى الأمريكى رغم عداوته لليهود — هو أن العرب يعطلون رغبة أمريكا في انشاء المنظمة .

فهل معنى هذا ان أمريكا تخلت أو على الأقل يئست من تشكيل منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ؟.. اعتقد ان الكل يوافق على انه لا يمكن للغرب الذى تنزعجه أمريكا أن يتخلى عن الدفاع عن الشرق الأوسط .. ولذلك أردت قبل أن أحلّل لماذا اعتبرت أمريكا هذا المشروع نائما أن أسرد فى عجالة مختصرة العلاقات الأمريكية الدولية نحو دول العرب بصفة عامة ..

ان كل الدلائل توحى بأن الحكومة الأمريكية وخاصة الحكومة الجديدة راغبة فى تفهم القضايا العربية واتخاذ اجراء عادل فى حلها ولهذا

نجد الوساطة الأمريكية تبلغ ذروتها — أقول الوساطة وليس الضغط —
في حل القضية المصرية بما يتفق ومطالب مصر على انها دولة تتمتع بالسيادة
الكاملة على أراضيها .. ويرجع ذلك الى اهتمامها بتوفر عوامل الرخاء
والاستقرار والتقدم في منطقة الشرق الأوسط وادراكها ان تحقيق هذا
كله رهن بتحقيق أمانى مصر القومية ..

ولكن اذا كان من حق أمريكا علينا أن نقدر وساطتها الكريمة ونشكر
لها تأييدها فمن حق العرب عليها أن تطالبها بالعمل الصادق بمقتضى ميثاق
تصفية الاستعمار البريطانى فى الاقليم ، ذلك الميثاق الذى يعترف بحق
الشعوب فى الحرية والاستقلال والموقع فى عرض المحيط الأطلنطى فى
سنة ١٩٤١ بهذا الموقف فقط تستطيع الولايات المتحدة أن تكسب صداقة
العرب وتحسن سمعتها فى منطقة الشرق الأوسط اذا لم تتحيز ضد
قضاياهم مع اسرائيل الدخيلة فى المنطقة بما يتفق وقرارات الأمم المتحدة
وبهذه الوسائل فقط تستطيع أن تهيبء العوامل الكفيلة باقرار السلام
فى هذه المنطقة ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية .

ولأوضح سبب سياستها الفاشلة — الى الآن — فى هذه المنطقة
واتتصار سياسة بريطانيا الاستعمارية عليها أود أن أبين للقارئ أوجه
النزاع البريطانى الأمريكى فى المنطقة .. فالنزاع البريطانى الأمريكى فى
الشرق الأوسط يحدث اواره على مر الأيام الى حد ان مناهضة الدولتين
المشتركة للشيوعية تبدو وكأنها أمر غير ذى بال كاد يركن الى زوايا
النسيان ..

فسياسة البريطانيين كما توضحت من قبل أصلها يرجع لسياسة
المحافظين الأصليين والتي كانت ولا زالت تعمل دائما على مراعاة انقسام
الشرق الأوسط وضعفه سياسيا واقتصاديا حتى يتمكن التجار البريطانيون
من العمل فى ظروف مفيدة لهم بينما نجد ان الولايات المتحدة تعتبر
الشرق الأوسط (كما ترى كافة المشاكل الدولية تقريبا) جزءا من الصراع
ضد العالم الشيوعى ، اذ ان ضعف هذه المنطقة يخلق فراغا خطيرا لا يمكن

سده بمجرد انشاء قواعد عسكرية بريطانية وأمريكية . فاستراتيجيتها تدعو لتقوية هذه المنطقة سياسيا واقتصاديا حتى لو كان الأثر المباشر لهذه السياسة فقد بعض المكاسب التجارية .

ولكن يتضح لنا من نتائج المؤتمرات الدولية المختلفة والتي انتهت بمؤتمر برمودا على ان المسؤولين البريطانيين قد أوضحوا للدبلوماسيين الأمريكيين ان السياسة الأمريكية فاشلة لم يكتب لها النجاح بدليل ان التدخل الأمريكي والوساطات التي تقوم بها الولايات المتحدة بين دول الشرق الأوسط وبعضها البعض وبين بريطانيا وفرنسا (في المغرب الأقصى) لم تفلح في حل أى مشكلة من مشاكل هذه المنطقة بل انها على العكس من ذلك زادت تعقيدا وعاققت الوصول الى حلول حاسمة لهذه المشكلات كما انها — في زعمهم — أتاحت الفرصة أمام شعوب هذه المنطقة للصمود أمام بريطانيا وفرنسا والقيام بنشاط مضاد يفسد عليها مناوراتها .. فمن مصلحتها أن تترك شئون الشرق الأوسط لبريطانيا والمغرب الأقصى لفرنسا دون تدخل مباشر من جانب أمريكا واذا بدا لأمريكا اقتراح ما يتصل بالعلاقة السياسية العليا بين الدول الغربية الاستعمارية ودول الشرق الأوسط فمن الأفضل أن تعرض آراءها ومقترحاتها على بريطانيا وفرنسا لا على دول الشرق الأوسط .

والظاهر من السياسة الأمريكية الأخيرة انها قد اقتنعت بهذه الفكرة حتى لا يشتد النزاع بينها وبين زعماء العالم الغربي فتتفكك الوحدة الغربية وتنهار منظمة شمال الأطلسي .

ويرجع وقوف الحكومة الأمريكية هذا الموقف الآن — عدم التدخل المباشر في قضايا العرب العادلة — حتى ولو كان ذلك على عدم قيام منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط الى العوامل الآتية : —

١ - ان أمريكا تلاحظ ان خطر تعرض الشرق الأوسط للعدوان اخذ في النقصان بعد الميل الظاهر من ناحية بعض دول هذه المنطقة نحو الولايات المتحدة في الايام الاخيرة .

٢ - ان خطر وقوع ايران في قبضة الشيوعيين قد زال - ولو مؤقتا -
بتولى الجنرال زاهدى الحكم

٣ - ان قوة تركيا آخذة في الازدياد ، وخاصة بعد تشكيل حلف
البلقان الجديد .

٤ - ان بريطانيا قد عززت مركزها في ليبيا بالمعاهدة التى عقدتها معها
فى شهر يوليو الماضى

٥ - ان أمريكا تعمل على تعزيز مركزها أيضا فى ليبيا بشأن القاعدة
الامريكية وقد أنشأت لها قواعد استراتيجية فى اسبانيا .

٦ - ان لأمريكا خمس قواعد عسكرية فى شمال أفريقيا .

٧ - ان أمريكا تريد ربط دول شمال الشرق الاوسط فى صورة
كتل اقليمى يعوض الفراغ الموجود حاليا .

من هذا يتضح لنا ان أمريكا لا تعطف على العرب الا بقدر ما تنبض
به ديارها من حيوية وبقدر ما ترى فى ذلك من مصلحة لها .. فلو تبينت
ان من مصلحتها احترام رغبات الشعوب العربية احترامها وأيدتها وهى
لن تتراجع فى هذا ولو تعارض موقفها مع رغبات الانجليز ..

ولا شك ان أمريكا قدر ما تحرص على استتباب الأمن فى البلاد
العربية فهى تحرص على تحالفها مع بريطانيا حتى لا ينهار الحصن المعادى
للشيوعية .

فالمعركة بين الاستعمار والحرية لا زالت دائرة فى الشرق الأوسط
ونحن شعوب الدول العربية طلاب حق فنحن لا نريد الاعتداء على أحد
وانما نريد حرية واستقلال أوطاننا من كل مستعمر ناهب .. والمعركة التى
عقدنا النية على خوض غمارها ستكون صراعا عنيفا بين ارادتين .. ارادة
أهم وشعوب تنشد الحياة بعزة وكرامة و ارادة مستعمر جشع يعيش على
دماء الآخرين والله معنا والنصر مكفول لنا ان شاء الله .

موقف امريكا ازاء تركيا :

وسياسة الولايات المتحدة ازاء تركيا كانت ولا زالت على جانب كبير من الوداد والتعاون على أن السبب الرئيسى لهذه السياسة هى الدوافع الحقيقية التى تستتر وراء مطالب روسيا من تركيا ، فكثيرا ما وجدنا روسيا تردد مطلبها التقليدى فى المساهمة بنصيب فى الاشراف على المضائق ولو أن هذا المطلب فى حد ذاته قلت أهمية فى عصرنا هذا عصر السرعة وسيادة القوة الجوية ولكن روسيا تطمع فى أكثر من ذلك ...

فلدول البحر الأسود جميعا — ومن ضمنها روسيا — الحق فى استخدام المضائق فى وقت السلم ولا تحرم من هذا الحق على الأرجح الا ابان الحرب غير أن السيطرة على المضائق الآن من شأنها أن تقع تركيا على الفور فى أحضان روسيا ...

ولقد كانت السياسة الامريكية حازمة فى تأييدها للجمهورية التركية فى هذا الخطر وأصبح موقفها تجاه تركيا موقف المؤازر فى سعى تركيا لتصبح دولة ناهضة قوية ديموقراطية تعتمد على نفسها ولذلك ساعدت أمريكا تركيا فى الست سنوات الأخيرة بما تربو قيمته على ٥٠٠ مليون دولار من المعدات الحربية والآلات على كافة أنواعها وبمجموعة من الكفايات الفنية لهذا الغرض .. ولقد قدمت هذه المساعدة عوناً كبيراً للعرمان فى تركيا الى حد جعلها تتقدم خطوات واسعة سريعة الى الأمام فى كافة مظاهر الحياة فى بلادها حتى ليكاد الكل يجمعون على أن سياسة الولايات المتحدة لم تنجح فى جهة بقدر نجاحها فى تركيا .

امريكا والباكستان :

ولم يعد سرا خافيا أن واضعى الخطط فى وزارة الدفاع الأمريكية دعوا منذ وقت طويل الى عقد حلف عسكرى مع الباكستان والمعروف لديهم انه فى حالة نشوب الحرب يمكن أن تصبح الباكستان بعد اعداد

جيشها اعدادا حديثا حائلا يمنع تسرب السوفييت الى الجنوب ووصولهم الى المحيط الهندي فضلا عن أنها تستطيع أن تعطى الولايات المتحدة قواعد جوية تكون الأهداف الروسية في القوقاز على مرمى الاصابة منها ..

وفي رأيهم أيضا أن الباكستان بصفتها دولة اسلامية كبيرة من المحتمل أن تصبح النواة لحلف دفاعي لمنطقة الشرق الأوسط ..

وقد كثرت التكهنات حول هذا المشروع الجديد ، فأمریکا تراه خطوة جيدة من خطوات سد الفراغ في منطقة الشرق الأوسط والهند تحتاج عليه والدول العربية تقابل هذا المشروع باستياء عظيم لاتمامه قبل تحقيق مطالبها الوطنية .

ولكن ما هي سياسة الباكستان أزاء المشروع ؟ فمهما كثر الجدل حول الموافقة من عدمه فيتضح موقفها بصراحة من حديث لرئيس وزاراتها السيد محمد على في احدى المناسبات عن احتمال وقوع صراع مسلح بين الكتلتين فقط .

« ليس في استطاعة دولة ما تحتل مركزا جغرافيا كبلادنا أن تراقب مثل هذه التطورات بعدم اكتراث »

أى ان الباكستان تدعو الى العمل على تأمين سلامة العالم الحر بكل الطرق والوسائل الممكنة ومنها عقد الاحلاف والمواثيق والانتظام في سلك المنظمات الاقليمية .. (سيظهر هذا الموضوع بصورة أكثر تفصيلا في الباب التالي) .

الخلاصة :

مما سبق يتضح لنا أن استراتيجية أمريكا في الشرق الأوسط ترتطم بصخور قوية من العقبات قد تعرض مصالحها وسياستها للخطر في الحرب الباردة وقد تؤدي الى الانهيار في الحرب الساخنة .

ومن أهم المتاعب الرئيسية التي تواجهها المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط : —

١ - ما بدا من انقطاع المفاوضات المصرية الانجليزية بشأن قناة السويس

٢ - ما اثارته لندن من معارضاة ضد اقتراحات مستر هوفر الامريكى لتسوية النزاع الانجلو ايراني حول مشكلة البترول ومازالت محاكمة مصدق سائرة في بطء - حتى كتابة هذه السطور .

٣ - استمرار الدول العربية واسرائيل في تقاذف الشتائم في هيئة الامم كبديل مؤقت لمعاركها الدموية على الحدود استعدادا للجولة الثانية

هذا فضلا على أن أمريكا تواجه متاعب كثيرة بسبب سياسة التعتت البريطانية هنا وهناك في الشرق الأوسط رغم قيام القوميات وظهورها بشدة في كثير من دولة وأقرب مثل لذلك هزيمتها في السودان ..

ولذلك أصبح أمام الولايات المتحدة في اقليم الشرق الأوسط متاعب جمة تعوق استراتيجيتها فيه مما دعا ساستها على أن المنطقة أصبحت فراغا استراتيجيا من الواجب سده ..

فهل تسكت الولايات المتحدة على هذا الفراغ ؟ أم أن لديها خطط تبادلية أخرى ؟ وما هي هذه الخطط ؟ وهل هي كفيلة فعلا بسد الفراغ أم أنها كجزء من كل ؟ وما موقف أمريكا ازاء الباقي من الكل لسد هذا الفراغ في تلك البقعة الحساسة من الأرض ؟ ..

وبانتهاء هذا الباب يشبه بعض الخبراء الاستراتيجيات العظمى في منطقة الشرق الأوسط بمثل فارس يقول :
انه يوجد ثلاث أنواع من الاستعمار :

الاستعمار الأمريكى الذى يطعم البقرة وهو فى غنى عن حلبها ...
والاستعمار البريطانى الذى نادرا ما يطعمها ولكن غالبا ما يحلبها ..
والاستعمار الروسى الذى يأكل البقرة ...

فهل ستظهر أمريكا شخصيتها في قضايا الشرق الأوسط — بما يتلاءم مع استراتيجيتها ومصالحها في المنطقة ؟ أم تدفن تلك الشخصية في غبار الاستعمار الأوربي ؟ .. وتدفن معها المبادئ التي قامت عليها ثورتها المعروفة والتي ما تزال تدعى اعتناقها .. فهل تبدو أمريكا ضعيفة أمام السياسة البريطانية في المنطقة ؟ .. تناصرها على هذه الشعوب الناهضة المؤمنة بقضاياها إيماناً لا يضعفه تكتل الدول الغربية ..

لقد دعا بعض ساسة الرأي في أمريكا الى الاهتمام بآسيا وتفضيلها على أوروبا .. فإذا لم تتحرر أمريكا من عجلة الاستعمار الأوربي بكل حزم وسرعة فإنها لا بد فاقدة مركزها في آسيا عامة والشرق الأوسط خاصة ...

الباب السادس

الفراغ وتوازن القوى

في الشرق الأوسط

« ان الفراغ الذى يتحدثون عنه
في الشرق الأوسط لن يملأه الا أهل
الشرق الأوسط ، وان هذه القوى
الأجنبية التى تحتل الاقليم ضد ارادة
سكانه هى التى تخلق هذا الفراغ »

« اذا نظرنا الى مبدأ سيادة الدولة
وكأنه الصارى انذى يرتبط به شراع
السياسة فى العصر الحديث ، فان
مبدأ توازن القوى يكون بمثابة الرياح
التي تدفع سفينة الدولة عبر البحار
الهائجة - بحار السياسة الدولية » •

لقد أوضحنا فيما سبق الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط
بصفة عامة ، ولكل من روسيا وبريطانيا وأمريكا بصفة خاصة ، وظهر
من هذه العجالة أن أهمية هذه البقعة الحساسة من الأرض تفوق أهمية
كل مكان آخر فى العالم . واستخلصنا من الأبواب السابقة أن ثمة مصالح
ومسياسات متضاربة بين الدول العظمى فى هذه المنطقة فضلا عن وجود
خلافات عديدة بين أمانى وأهداف دول هذه المنطقة نفسها . وقد وجدنا
أن هناك من العوامل الخارجية والداخلية التى كانت ولا زالت لها أكبر
الأثر فى سلامة تلك المنطقة — تلك السلامة التى تعتبرها الولايات

المتحدة أن كل تهديد للسلام والأمن في هذه المنطقة بمثابة تهديد لسلامة أمريكا .

ولم يشد اهتمام الولايات المتحدة بسلامة المنطقة بسبب نمو الاستثمار الأمريكي فحسب بل أيضا بسبب ارتباط سلامة الشرق الأوسط بسلامة منظمة شمال الاطلنطي ، فقد كان مثلاً اهتمام الولايات المتحدة الجوهري بأوروبا الغربية حافزاً لها على اخراج مشروع مارشال كما كان نجاح هذا المشروع يتوقف الى حد كبير على ثبات تدفق الزيت من الشرق الأوسط الى أوروبا الغربية .

ولقد سبق أن أوردنا أن هناك من المشاكل والأمور المعقدة التي تواجه سلامة المنطقة وتخلق نوعاً من عدم الاستقرار يسميه الغرب — فراغاً استراتيجياً . وقد نشأ هذا الفراغ من ضغط السوقيات المباشر على المنطقة عامة والدول المتاخمة لها خاصة ، كما كان من ضمن أسباب وجوده تعقد المصالح الكبرى في المنطقة بأسرها وكذا تعقد واضطراب العلاقات بينها وبين معظم دول المنطقة، كما كان للتناحر الداخلي بين حكومات دول المنطقة في ميادين الاقتصاد والسياسة أثراً مباشراً في وجود هذا الفراغ

الا أنه يمكن اعتبار العوامل الرئيسية الآتية سبباً في نشوء هذا الفراغ وهي : —

١ - الاستعمار البريطاني في المنطقة عامة وحول النزاع المصري البريطاني خاصة .

٢ - مشاكل البترول في المنطقة عامة وفي المشكلة الإيرانية خاصة .

٣ - الصراع بين العرب وإسرائيل حول مشكلة فلسطين .

ولكن يجب أن نعلم جيداً سياسة الدول العظمى نحو هذه المشكلة — الفراغ في الشرق الأوسط ...

فروسيا تعمل دائماً على وجود هذا الفراغ لتسهيل استراتيجيتها الحربية في المنطقة

وانجلترا تقول أنه ليس هناك أى فراغ فى المنطقة لأنها تعتبرها كلها منطقة نفوذ بريطانية ، وهى تنسى بذلك حقيقة واضحة وهى أن مناطق النفوذ هذه لا تتماشى مع الاستراتيجية الحديثة .

والولايات المتحدة كثيرا ما تعمل على محاولة سد الفراغ فى هذه المنطقة مراعية كافة العوامل التى تواجهها ؟ أهمها القوميات الحديثة لشعوب المنطقة ومقارنتها ازاء صداقتها الوطيدة وارتباط استراتيجيتها مع بريطانيا كدولة حليفة قوية ضد الاتحاد السوفيتى . ولكن التدابير التى تستطيع الولايات المتحدة اتخاذها فى سعيها لحل مشكلة الفراغ تتحدد فى كل الأوقات بالتزامات أمريكا فى الجهات الأخرى من العالم وباعتبارات الأسبقية النسبية التى ربما استلزمت الظروف التفاوضى والجمود عن بعض المشاكل ، ثم بالموارد التى تستطيع الولايات المتحدة أن توفرها لتنفيذ سياستها كلها . فعلى سبيل المثال ...

هل يمكن للولايات المتحدة أن تتفق مع باكستان دون اغضاب الهند ؟ ...

هل يمكن للولايات المتحدة ارضاء شعور العرب دون اغضاب اسرائيل أو بالعكس ؟ ...

هل يمكن للولايات المتحدة الوقوف الى جانب مصر دون اغضاب انجلترا ؟ ..

وهكذا فالأمثلة عديدة ومعقدة مما يجعلنا نحكم على أن هذه المنطقة الاستراتيجية ستبقى دائما منطقة فراغ بجميع ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ — سياسى واقتصادى واستراتيجى .

ولكن هل يسكت المعسكر الغربى باستراتيجيته الموضوعة من أجل حصر الاتحاد السوفيتى فى مناطقه الحالية عن وجود هذا الفراغ ؟ .. أم هناك سياسة متبعة لسد الفراغ ؟ .. وما هو مدى قوة الاجراءات والسياسة التى وضعت لسد الفراغ وكيف يمكن تنفيذها ؟ ..

هذا من ناحية الغرب ، ولكن هل تقابل روسيا هذه السياسة بل هذا التحدى ، بالسكوت والانتظار حتى يصبح هناك نوع من الاستقرار فى المنطقة أم أن هناك سياسات مضادة تتخذها روسيا لمقابلة هذا العدوان ؟ وأخيرا ما هو موقف دول المنطقة نفسها — بعد ما ظهرت القوميات الحديثة فى معظمها ومظاهر نهضتها فى عصر القوة الذاتية — ازاء هذا الصراع العالمى ؟ .. وبعبارة أخرى ما هو موقف دول الشرق الأوسط ازاء الفراغ وتوازن القوى .. وهل لها أو لبعضها اتجاهات خاصة خلاف سياستى الكتلتين ؟ ..

فى الاجابة على هذه الأسئلة توضيح للخيوط الرئيسية لمشكلة الفراغ وتوازن القوى فى الشرق الأوسط ولكن قبل الخوض فى هذه السياسات سأحاول أن أوضح للقارئ ما هو المقصود بكلمة الفراغ وكلمة توازن القوى فى السياسات الدولية ؟ ..

معنى كلمة الفراغ :

ان معنى كلمة الفراغ (Power Vacuum) هى عدم القدرة على العمل وعدم القدرة على الثبات ، أى أن هناك نوعا من القوة ولكن هذه القوة لا تظهر بالمظهر اللائق بها وبالقدرة المناسبة لها .. ولكن هل هذا ينطبق على اقليم الشرق الأوسط ؟ ... حقيقة أن الشرق الأوسط قوة جبارة بمختلف أنواعها (اقتصادية وبشرية ومعنوية ..) ولكن الغرب وبالأحرى الولايات المتحدة تعتبر أن بهذه المنطقة فراغا استراتيجيا من الواجب سده .

وانجلترا لا تعترف بوجود فراغ فى هذه المنطقة لأنها تعتبرها منطقة نفوذ من السهل السيطرة عليها وقت الطوارئ — ولكن هيات لها أن تتمكن من ذلك وقد صحت الشعوب من غفلتها السابقة ..

ما هو المقصود بتوازن القوى :

لا شك في أن سياسة توازن القوى تعتبر ركنا حيويا من أركان السياسة الدولية وعاملا حاسما في الاستراتيجية العالمية .. وهى بمعناها الصحيح النضال من أجل المزيد من القوة لكى تتمكن الدولة من حفظ كيائها فى مجتمع دولى قائم على أساس القوة . وبعبارة أدق أن الدول تناضل بعضها البعض حتى لا تدع دولة واحدة أو عدد من الدول تصل الى درجة من النفوذ بحيث تصبح خطرا كامنا على المجتمع الدولى ..

« وان القوة مسألة نسبية ولا تقاس الا بقوة الطرف الآخر الذى يناضلها وينافسها . فالزيد من قوة جارك معناه حتما نقصا فى قوتك » .

وعلى هذا الأساس يجب على الدولة بأن ترقب عن كثب ما يطرأ على قوى جيرانها من تغير ، فاما أن تزيد من قواها ماديا أو تبقى هى فى حالة سكون بينما تحاول أضعاف الدول الأخرى وبذا تجد نفسها وقد أصبحت أقوى مما كانت .

فالمعاهدات الثنائية والتكتلات الاقليمية والحياد صور مختلفة من صور الحصول على توازن القوى .. وانجلترا من قديم الأزل وهى تدافع عن هذه السياسة وهى تقول أنه لولا سياسة التوازن لاستطاع نابليون وهتلر السيطرة على أوروبا وآسيا ..

ويقال اليوم أنه لولا سياسة التوازن التى ينتهجها المعسكر الغربى لتمكن الاتحاد السوفييتى من بسط نفوذه فى أوروبا وآسيا ولتحتّم على هذا المعسكر اما الخضوع لسيطرة روسيا أو الاشتباك فى حرب تبيجتها الهزيمة بسبب اهماله مبدأ توازن القوى . ولذلك يجد هذا المعسكر أن السبيل الوحيد لايقاف الخطر الروسى هو ايجاد خصوم له باتحاد عدة دول فى معاهدات وتسمى هذه السياسة بأنها محاولة للمحافظة على توازن القوى ..

ولكن ما هي سياسة أمريكا ازاء نظرية توازن القوى ؟...

دلت الأحداث الأخيرة أن الولايات المتحدة بدأت تلعب دورا مستمدا من نفوذها وقائما على القوى بكل مظاهرها ، وقد أعلنت صراحة أن سياستها الخارجية تنطوي على ايجاد التوازن الدولي في مناطق مختلفة من العالم . فأخذت تؤثر على الدول الصغرى وتستميل أصواتها مما أدى الى تكتلات اقليمية مثل حلف الباسفيكى وحلف الاطلنطى وحلف البلقان وهى تسعى لايجاد تكتل أو أكثر يعمل بجانبها في منطقة الشرق الأوسط . وذلك كله لايجاد مجموعة من القوى تكفى لموازنة قوى الاتحاد السوفييتى وتكفل للولايات المتحدة الحد من انتشار النفوذ الشيوعى .

فروسيا تسعى الى سياسة فرق تسد في دول العالم الحر ليكون توازن القوى في صالحها ...

وبريطانيا تسعى الى سياسة فرق تسد في مناطق نفوذها لتضمن لها حفظ التوازن ...

وأمرىكا تريد ربط الدول الصغرى وتوحيدها لتحافظ على التوازن الدولي ضد الخطر السوفييتى ...

والهند تحتج على تسليح الباكستان اعتمادا على نظرية التوازن .

والأمثلة عديدة على اختلاف نظريات التوازن ولكن كلها تتفق على أن كل دولة تضعها موضع الاعتبار الأول وعلى ذلك يجب على دول الشرق الأوسط أن تعمل على أساس نظرية توازن القوى وتفضيل مصلحتها على أساس الواقع بحيث لا تتورط في سياستها الخارجية مما قد يعود عليها بالفشل .

الحلول المقترحة لملاء الفراغ :

أعتقد أن الكل لا يعارض أن منطقة الشرق الأوسط تعتبر منطقة فراغ لعوامل عدة اجلت أسبابها من قبل وأهمها سياسة الاستعمار

البريطاني في المنطقة ووجود اسرائيل في قلب المنطقة العربية . وقد اختلفت وجهات النظر بخصوص الطرق المقترحة لسد الفراغ كالاتى :—

أولا : هناك من يرى في الدولار الامريكى أعظم الدواء فاذا أريد ملء الفراغ في الشرق الأوسط فما على الولايات المتحدة الا أن تنفق في هذه المنطقة من الدولارات ما يكفى لحل هذه المشكلة حلا نهائيا عن طريق النهضة الاقتصادية والثقافية والانتاجية .

ويفسر البعض بأن مشروعات النقطة الرابعة والمعونة الفنية ما هى الا وسائل لملء الفراغ .

ثانيا : يرى البعض الآخر أنه يمكن سد الفراغ بتسليح دول الشرق الأوسط فظالما أن الولايات المتحدة سبق لها أن سلحت تركيا وعاونت اسرائيل في معداتها الحربية وهى فى سبيل معاونة الباكستان فما المانع لها من تسليح الدول العربية وايران ؟ ...

الا ان بريطانيا — على ما أعتقد — قد همست فى أذن الولايات المتحدة بأن لا تقدم على هذا الاجراء وحذرتها من درس تسليمها للصين الوطنية فلم تتمكن هذه من الصمود أمام الشيوعية نتيجة للضعف والفساد الذى كان متفشيا فى الصين وبذلك انتقل السلاح الأمريكى الى أيدي أعدائها — الصين الشيوعية — وحاربتها به فى الحرب الكورية الأخيرة . وهى — بريطانيا — تدعى بأن الفساد فى ايران ليس بقليل وتقول أن هؤلاء الايرانيين الجياع المتوطنة فى أجسامهم الأمراض لا يمكنهم الصمود لمدة يوما واحدا أمام جيش حديث — تقصد الزحف السوفييتى . كما تقول عن العرب بأن حالتهم لا تختلف عن ايران وضربت لذلك مثل حربهم مع اسرائيل وادعت أن سبب الهزيمة لا يرجع الى سبب عدم قدرة العرب على السلاح ولكن لوجود الفرقة والتناحر بينهم مما سبب عدم قدرتهم على مقاومة اسرائيل ..

ولكن لتعلم بريطانيا اليوم أن الأمة العربية اليوم تختلف عن الأمس فهي اليوم تعبر عن ارادة وقوة الشعوب ولكنها كانت بالأمس تعبر عن تصرفات الحكام والطفیان وانفساد ولتعلم أيضا أن لهؤلاء العرب ماضيهم المجيد وهم الذين وصلت جيوشهم في يوم ما الى جميع أجزاء العالم المعروفة فمن أبواب باريس الى سهول الهند .

الأسس التي تبنى عليها خط ملء الفراغ .

وبمناقشة الحلول المقترحة السابقة نجد أن منطقة الشرق الأوسط تحتاج الى تطبيق الحلول مجتمعة اذ أن التاريخ أثبت أن السلاح وحده لا يمكنه ملأ الفراغ وان أى نظام دفاعى لا يمكن أن يكون هو الأساس لملا الفراغ ولكن يجب أن يكون غرضا تكميلى فالأساس يجب أن يكون الاقتصاد والثقافة والصحة العامة .. الخ

وقد دلت تقارير احدى المؤسسات الامريكية أن مصر الحديثة هي أقرب الى الغرب منها الى الشرق وهي أعظم تلك المنطقة تقدما وتعدادا للسكان والمؤهلات ..

كما دلت هذه المؤسسة على الفارق الكبير بين نسبة المتعلمين في المنطقة الى الأميين فمن ٢٥٪ أمى في لبنان الى ٩٥٪ أمى في اليمن وبلاد العرب .. كما أن نسبة دخل الفرد منخفضة جدا فهي من ٥٠ الى ١٠٠ جنيها سنويا في المتوسط بينما يرتفع دخل الأغنياء المعدودين الى الذروة ملتهمها أمامه دخل الفقراء . ولذلك فانه يجب تحسين الأموال الاقتصادية لهذه الشعوب فهي في حاجة ماسة الى مثل ذلك التحسين .

وها نحن نجد مصر بعد حركتها المباركة قد بدأت تنفذ هذه الاجراءات — تقريب الفوارق بين الطبقات — لزيادة دخل الفرد وتحسين الأحوال الاقتصادية داخل البلاد وما يترتب عنها من قدرة وقوة على الثبات في الأزمات والظروف الطارئة والحروب .. ولذلك نجد الولايات المتحدة فرحة بالانقلاب الذى تم في مصر بعدما توضحت أهدافه وهي أيقنت بأن هذا الانقلاب قد أنقذ مصر من تيار الشيوعية

وأثرها على البلاد . وهنا يجب الا يفوتنا نقطة هامة بأن دول المنطقة اذا أرادت حقيقة النهضة الاقتصادية فيجب عليها أن تتجه الى التصنيع بمشروعاته المختلفة حسب مقدرة البلاد وحسب مواردها الموجودة من حيث الفنين والمواد الخام والأسواق التي يمكن تصريف المنتجات فيها .. والشرق الأوسط كوحدة اقتصادية مرتبطة مندمجة لها قوتها في الاطار العالمى .

الحلول المقترحة لسياسة سد الفراغ من الوجهة الاستراتيجية :

وهنا تختلف وجهات النظر داخل الكتلة الغربية نفسها فبريطانيا تؤيدها فرنسا ترى وجهة خاصة مبنية على سياسة استعمارية وان هذه المنطقة تخضع لنفوذها ويمكنها السيطرة عليها وسوف أناقش هذا الرأى فيما بعد ..

وسياسة الولايات المتحدة المبنية على أساس اعطاء القوة الذاتية لدول المنطقة حرييا واقتصاديا حتى يمكنها الوقوف فى الأزمات والثبات فى الحروب بشرط أن تضمن وقوفها الى جانبها ضد الشيوعية وسوف أناقش أولا السياسة الامريكية لسلامة المنطقة وهى مبنية على نظرية توازن القوى وسد الفراغ .

أولا : السياسة الأمريكية :

ان مجرى الحوادث منذ عام ١٩٤٧ (مبدأ ترومان لمساعدة تركيا واليونان) قد أظهر تدريجيا أن تهديد سلامة أمريكا سواء كان نتيجة لعدم الاستقرار الداخلى لدول الشرق الأوسط وبينها البعض أو نتيجة تهديد خارجى من ناحية الضغط الشيوعى .

ولقد سبق أن أوردنا مختلف العوامل التى تواجه هذه السياسة الجديدة ، وهى بالاختصار ناجمة عن : ضغط السوقيت المباشر على اليونان وتركيا وايران — وتعقد المصالح الكبرى فى المنطقة بأسرها

— وتعتقد العلاقات الدولية الغربية وهذه الدول — وارتباط المصالح
البريطانية في الشرق الأوسط واصطدامها مع القوميات العربية — والصراع
اللانهاثى بين العرب واسرائيل .

ومن ثم كان على الولايات المتحدة أن تقتصر على تطبيق المبادئ
العامة لسياستها والتي تنحصر فى : —

١ — اما محاولة تكوين تكتلات اقليمية من دول المنطقة نفسها .

٢ — أو اذا فشلت هذه المحاولة فهى تعتمد على الاتفاقات الثنائية
مع بعض الدول التى تقبل التعاون معها . وذلك كله من أجل تطبيق
سياسة الحصر

وترى الولايات المتحدة أن الوسائل العسكرية التى اتخذت فى
منطقة الشرق الأوسط فى الوقت الحاضر غير كافية فموارد المنطقة
العسكرية — باستثناء حلف البلقان الجديد — متأخرة ومتباعدة التاثر
كما أن الاستعدادات العسكرية من حيث القواعد الاستراتيجية ليست
من الكفاءة بحيث يمكنها أن تواجه هجوما برياً واسع النطاق من القوات
السوفييتية على المنطقة .

هذا فضلا على أن مشكلة الحشد والامداد اللازمين لهذا الغرض
— الدفاع — تزيد من المشكلة العسكرية تعقيدا نظرا لعداوة شعوب
المنطقة للمعسكر الغربى نتيجة لسياسة الاستعمار المزمنة فى المنطقة .

وهى ترى أن المراكز الاستراتيجية أكثر ملاءمة لروسيا — بعد
تطورات الحرب الحديثة كالقوات المنقولة جوا — لأن المنطقة قريبة
جدا من قاعدة السوفييت الصناعية وبعيدة جدا عن القاعدة الامريكية
كما أن القاعدة التى تتركز عليها القوات السوفييتية مؤمنة مستتب فيها
النظام بعكس الشرق الأوسط فى حالة اتخاذه كقاعدة ضد رغبة شعوب
المنطقة نفسها .

وليس أمام الولايات المتحدة من الحلول الا الاتى :

١ — امتداد نشاطها العسكرى الى منطقة الشرق الأوسط وذلك
باعتمادها على قواعد جوية وبحرية فى المنطقة كلها عن طريق الاتفاقات
الثنائية .

٢ — مساعدة هذا النشاط من جانبها بمعاونتها فى تقوية دول المنطقة
عسكريا .

٣ — فضلا على الحلين السابقين تشجع دون أن تشترك لربط دول
الاقليم فى صورة منظمة دفاعية متناسقة .

٤ — اشتراكها فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط — وهو المشروع
الذى تقدمت به مع انجلترا وفرنسا وتركيا ١٩٥١ ورفضته مصر
وحذت حذوها الدول العربية .

٥ — محاولتها مد نشاط حلف الاطلنطى ليشمل بعض دول هذه
المنطقة أو كلها عن طريق منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط بمنظمة
حلف الاطلنطى .

وسوف لا أحاول مناقشة هذه الحلول المقترحة بالتفصيل فى هذا
المكان ولكن سيأتى مناقشتها عندما نعلم الخطوات التى اتخذت والأخرى
التي اقترحت من جانب الولايات المتحدة أو المعسكر الغربى لسد
الفراغ فى المنطقة .

ثانيا : السياسة البريطانية :

لقد أبلغت بريطانيا الأمريكيين والفرنسيين فى أكثر من مناسبة
آخرها مؤتمر برمودا الأخير ، أن بريطانيا وحدها هى الخيرة الضالعة
فى شئون الشرق الاوسط كما ابلغت خبراء الغرب بأن تجاربها — أى
بريطانيا — التى اكتسبتها فى الشرق الأوسط كانت غالبا تنجم عن توتر

أخف وطأة من التوتر الذى ينجم عندما يعالج الأمريكيون وغيرهم الأمور فى هذه المنطقة من العالم .

وضربت مثلا لذلك الموقف فى ايران فذكرت أنه فى الوقت الذى كان فيه الامريكيون يخشون فيه من أن ترمى ايران نفسها فى أحضان الشيوعية اذا ناوت بريطانيا مصدق وحاربه ، فان البريطانيين قد أكدوا أن فى وسعهم معالجة أمر مصدق وهم يقولون الآن أن رأيهم كان أجدر بالاعتبار من رأى أمريكا .

ويظهر جليا أن الخبراء الأمريكيون قد اقتنعوا بهذا التعليل ، حتى أنه عندما ابلغ تشرشل الخبراء فى وزارة الخارجية البريطانية بأنه سوف لا يتنازل عن أية امتيازات أخرى لمصر، توقف موظفو وزارة الخارجية الأمريكية عن بحث المشكلة المصرية على أن الولايات المتحدة اكتفت بأن يكون نشاطها من حيث التدخل فى حل المنازعات قاصر على « المساعى الحميدة » .

ولكن يجب على بريطانيا اذا كانت فعلا تريد أن تسد الفراغ الموجود فى هذه المنطقة أن تغير من هذه السياسة البالية وتعتبر أن وجودها ونفوذها فى الشرق الاوسط هو الذى يخلق الفراغ فى المنطقة . ويجب عليها أن تعيد النظر وتجرى تعديلات رئيسية فى توزيع قواتها المسلحة بالشرق الأوسط وضرورة انسحابها من قاعدة السويس الذى احتدم النزاع حولها وظهرت لها حقيقة قوة مصر الحديثة المستمدة من قوة الشعب المصرى وإيمانه بحريته واستقلاله .

وهاهو تصريح هام للجنرال كيتلى قائد القوات البرية فى الشرق الأوسط يقول فيه « ونحن نتوقع اننا يجب أن نرحل عن قناة السويس فى غضون سنة أو سنتين سواء كان اتفاق أم لم يكن » . وفى الوقت ذاته تقوم قيادة القوات الجوية للشرق الأوسط بتوسيع المنشآت والمطارات الجوية فى كل من عمان والمفرق بالاردن والحبانية فى العراق

وليبيا ومالطة وقبرص وشرق أفريقيا . ولهذا فإن مشكلة نقل القوة الجوية من قاعدة السويس أقل تعقيدا من الناحية السياسية من نقل مستودعات وذخائر ومعدات تزيد قيمتها ٢٥٠ مليون جنيه موزعة على مساحة لا تتجاوز ٥٠٠ ميل مربع من الأراضي المصرية .

ثالثا : رأى معظم دول المنطقة :

ترى معظم دول المنطقة قيام اتحاد اسلامى بين دول الشرق الأوسط على نمط الكومنولث البريطانى وقد صرح السيد غلام محمد حاكم الباكستان فى هذا المعنى بقوله : « ان التكتل بين الدول يزيد من قوتها وكلما اتجهت الدول الاسلامية نحو التكتل كلما زادت قوتها وقوى نفوذها . ولاشك فى أن الدول الاسلامية لو توحدت فى نظام يجمعها لأصبحت قوتها الدولية لا تقل عن قوة كل من الكتلتين الشرقية والغربية » .

ومصر حكومة وشعبا تؤيد بكل جوارحها هذا الرأى وستعمل له وستوفق بمشيئة الله مهما صادفها من صعوبات وعقبات .

تعليق :

نستخلص مما سبق أن هناك خلافا شديدا فى الرأى داخل المعسكر الغربى نفسه وبصورة أوضح أن هناك ميول متضاربة بين السياستين البريطانية والأمريكية . فبينما وجدنا بريطانيا تعمل دائما على مراعاة انقسام الشرق الأوسط وضعفه سياسيا واقتصاديا حتى يسهل عليها استمرار التحكم والسيطرة على دولة ، اذ نجد الولايات المتحدة تعتبر المنطقة (كما ترى كافة المشاكل الدولية تقريبا) وحدة متماسكة — أو على الأقل من الواجب توحيدها — لمناهضة الشيوعية وان ضعف هذه المنطقة يخلق فراغ استراتيجى خطير لا يمكن سده بمجرد انشاء قواعد عسكرية بريطانية . فهى — الولايات المتحدة — تسعى دائما الى محاولة

تقوية هذه المنطقة سياسيا واقتصاديا حتى يمكنها الاعتماد على القوة البشرية فيه بأن تقف بجانبها في الحرب المقبلة وهنا يبرز لنا صورة واضحة من موقف دول الشرق الأوسط نحو هذه الآراء ، وبعد تقديرها لمدى خطورة الزحف الشيوعي على كيان هذه الدول أولا ، وعلى ضوء هذه الاعتبارات ترسم الدول سياستها الخارجية واضحة موضع الاعتبار مصلحتها أولا حتى لا تتورط في صراع عالمي لا تعلم مدى نتيجته .

وعلى ضوء هذه العوامل يمكن لدول الشرق الأوسط التي لا تهدف الا الى حفظ استقلالها وحريتها ورخاء شعوبها بأن تحدد مركزها السياسى . وبصورة أوضح الى أى جانب ستتحاز أو تقف على الحياد في الحرب الباردة ثم تدخل الحرب الحارة ضد من يعتدى عليها أو تحاول ضم الدول التي تربطها مصالح مشتركة وأهداف مرتبطة في كتلة ثالثة يكون لها طابعها السياسى الخاص .

وعلى ذلك فضلت قبل الخوض في السياسة الخارجية لدول الشرق الأوسط وارتباطها بالصراع بين الكتلتين أن أوضح ماتم فيها أولا من مشروعات أو محاولات لسد الفراغ وما قدمته الدول الغربية من مشروعات بعد الحرب العالمية الثانية حتى وقتنا الحالى وما هو رأى دول المنطقة في هذه المشروعات أو بمعنى آخر في المنظمات الاقليمية المراد انشائها في المنطقة .

وسوف يكون ترتيب البحث أولا في الاحلاف أو المعاهدات التي تم الاتفاق عليها ثم في الوسائل الاخرى التي يريد المعسكر الغربى أن يتخذها لاقامة الاحلاف في باقى المنطقة لسد الثغرة الموجودة حاليا بين الدفاع عن غرب أوروبا والدفاع عن شرق آسيا .

أولاً : المشروعات الدفاعية التي تم إقرارها

١ - حلف البلقان الجديد .

رحبت الدوائر الغربية بحلف البلقان الجديد الذي تم إبرامه بين تركيا واليونان ويوغوسلافيا في ٢٨ فبراير ١٩٥٣ بمدينة انقره وقالت هذه الدوائر أن عقد هذا الحلف يعد مساعدة هامة لدول الغرب في جهودها لسد ثغرة الدفاع في جنوب شرق أوروبا . ويقول بعض خبراء السياسة والاستراتيجية بأن لهذا الحلف أثر كبير على سد جزء من الثغرة الموجودة حالياً في الشرق الأوسط .

ولكن ما هي الأسباب التي دعت هذه الدول الى عقد مثل هذا الحلف؟ . كيف اطمأنت الدول الغربية الى ضم دولة شيوعية الى جانبها - يوغوسلافيا - وهل الكسب ليوغوسلافيا أم للمعسكر الغربي ؟ . ما هي قوة هذا الحلف ككتل اقليمي من الوجهة الاستراتيجية ؟ . ما هو أثر هذا الحلف الاقليمي على مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط ؟ .

هذه الأسئلة وأمثالها تتردد كثيراً في المحافل الدولية عامة وفي دول الشرق الأوسط خاصة ولكن الأغلبية اتفقت أولاً على أن السبب الرئيسي في عقد هذا الحلف هو كما جاء في تعقيب أحد الدبلوماسيين .

« ان الاتفاق على اشراك قوات الدول المعرضة لضغط السوفييت بصفة مباشرة ، في الاضطلاع بمهمة الدفاع ، يقوم دليلاً على أن هذه الدول قد أدركت مدى الخطر الذي تتعرض له واتخذت التدابير التي تمكنها من مواجهته » .

وبذلك يمكن التعليق على هذا الحلف بأنه ليس وليد تضامن اقليمي حقيقي وانما هو وليد مؤثرات سياسية واملته ظروف خاصة هو الخطر السوفييتي فسيتمى هذا الحلف بانتهاء هذا الخطر وهذا ما تسعى اليه روسيا حالياً بمناوراتها السلمية مع دول الحلف عامة ومع يوغوسلافيا - بعد موت ستالين - خاصة ، حتى يمكنها التفرقة بين دوله فتقضى بذلك عليه وهذه هي سياستها ضد الاحلاف العدائية لها .

الظروف التي مهدت للحلف .

ولم يكن من المنتظر أن يقوم مثل هذا الحلف بين هذه الدول ، وخاصة إذا ما علمنا أن يوغوسلافيا نفسها هي التي كانت تمد ثوار اليونان بالمعونة العسكرية ضد القوات اليونانية . ولكن هناك ظروفًا خاصة مهدت للحلف أهمها :

- ١ - الخوف المشترك من الخطر السوفييتي قرب تركيا واليونان .
- ٢ - ساعد على هذا التقرب اشتراك الدولتين في الافادة من مشروع ترومان ثم قوى روح التضامن بينهما اشتراكهما في المجلس الاوربي في أغسطس ١٩٤٩ ثم قبولهما في حلف الاطلنطي في نوفمبر ١٩٥١
- ٣ - تحسن العلاقات بين كل من اليونان ويوغوسلافيا وذلك منذ انفصال الأخيرة عن الكومنفورم .

٤ - تدخلت الدبلوماسية الغربية لتقريب وجهات النظر بين تركيا ويوغوسلافيا ، وقد تم التقارب فعلا على أثر محادثات وتصريحات دبلوماسية كان آخر مراحلها زيارة وزير خارجية تركيا لبلغراد في أواخر يناير ١٩٥٣

٥ - عدم عقد حلف أو أي منظمة للشرق الأوسط أو شرق البحر الأبيض يجعل الولايات المتحدة قلقة على سلامتها ومصالحها في منطقة الشرق الأوسط ويجيز لنا القول بأنها تدخلت دبلوماسية بوساطة تركيا واليونان للاسراع من عقد هذا الحلف .

وأكثر ما صدر من وزراء الدول الثلاث من تعليقات على الحلف كان يدور حول الآتي : « تم الاتفاق على أساس مشروع الدفاع انجماعي بين الدول الثلاث على أن توضح التفاصيل فيما بعد على ضوء التزامات تركيا واليونان قبل حلف شمال الاطلنطي » .

ولكن ما هي أهم مبادئ الحلف وأهدافه ؟

يمكن القول اجمالاً بأن الحلف يقضى بتعاون الدول الثلاث في الدفاع عن أراضيها ضد أي اعتداء قد يقع عليها من جانب روسيا ودول

شرق أوروبا الضالعة مع روسيا ، والتشاور في كل ما يتصل بمسائل
الامن في القسم الشرقي من البحر الأبيض وذلك وفق مبادئ وأهداف
ميثاق الأمم المتحدة .

تسرى المعاهدة لمدة خمسة أعوام قابلة للتجديد .
وبتحليل هذه الاتفاقية نجد أن أهم ما تحويه موادها العشر يتلخص
فيما يأتي :

١ - **فض المنازعات بالوسائل السلمية** ، كما هو منصوص عنها
في المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

٢ - **عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة** ، وهذا أمر يخالف
جميع الاتفاقيات الإقليمية الأوروبية وربما يكون السبب : —

١ — اما رغبة يوغوسلافيا في حفظ نظامها الشيوعي الخاص من كل
مؤثر خارجي .. أو

ب — خوف اليونان نفسها من التأثير بالشيوعية التيتوية .

٣ - **مبدأ التشاور** ، كما جاء في المادة الأولى التي تقول « لتحقيق
التعاون الدائم بين الأطراف المتعاقدين ، يستشير بعضهم بعضا في جميع
القضايا التي تمس المصالح المشتركة ، ويجتمع وزراء خارجية الأطراف
المتعاقدين مرة سنويا أو أكثر اذا دعت الضرورة وذلك لدراسة الحالة
السياسية ولاتخاذ القرارات اللازمة طبقا لأهداف تلك المعاهدة » .

وبناء على الفقرة الأخيرة عقدت عدة مؤتمرات كان آخرها في شهر
ديسمبر سنة ١٩٥٣ حيث توثقت الروابط العسكرية بين الدول الثلاث
على اعتبار أن أى اعتداء خارجي يوجه ضد أى دولة من الأطراف
المتعاقدين يعتبر بمثابة عداء موجه لباقي الدول ولم يكن هذا النص
موجودا من قبل حيث كانت المساعدة المتبادلة جوازية كما سيأتي في البند
٤ التالي .

٤ - **المساعدة المتبادلة** : يصر الأطراف المتعاقدون على الاستمرار في

الجهود المشتركة لحفظ الأمن والسلام في منطقتهم وعلى الاشتراك في النظر معا في القضايا المتعلقة بأمن دولهم ومنها اتخاذ وسائل الدفاع المشترك الضرورية في حالة اعتداء يقع على أحد الأطراف بدون أن يكون هذا الطرف سببا له . ومعنى ذلك أن المساعدة اختيارية لأن الأطراف المتعاقدة في أول الأمر أرادت ألا تنقيد وأن تحتفظ لنفسها بالحرية المطلقة فيما يتعلق بمساعدة المعتدى عليه .

وربما يكون ذلك مرجعه الى احياء من منظمة شمال الاطلنطي حتى لا تتورط دول المنظمة في حرب لا تريد الدخول فيها اذا ما حدث اعتداء خارجي على يوغسلافيا . أو العكس صحيح بالنسبة ليوغوسلافيا نفسها حتى لا تتورط بالتزامات تركيا واليونان على اعتبار انهما دولتان مشتركتان في حلف الاطلنطي .

ملحوظة : من الملاحظة ان الاتفاقية دائما تنص على كلمة « الأطراف المتعاقدون » وليس الدول الثلاث على اعتبار أن هذه المعاهدة مفتوحة يجوز أن تنضم اليها فيما بعد دولا أخرى مثل ايطاليا أو ألبانيا .

قوة الحلف :

أولا : القوات البرية : من الطبيعي أن هذا من الأمور السرية لكل دولة الا انه يمكن أن نقرب من التقدير المعقول : —

فاليونان جندت في حرب العصابات التي استمرت من ١٩٤٦ الى ١٩٤٩ ما يقرب من ١٠ فرق قاتلت بنجاح على أراضيها كما أن سجل الجيش اليوناني خليق بالتمجيد أثناء الحرب العالمية الثانية في حربها ضد المحور وأيضا خلال الحرب الكورية . وقد تلقت القوات اليونانية تدريبها على أيدي الخبراء الانجليز حتى ١٩٤٧ حيث زودت هيئة أركان الحرب بنصائح البعثة الامريكية المشتركة لمساعدة اليونان كما هي مزودة حاليا بعناد مدفعية امريكية .

أما تركيا فجيشها في حالة تعبئة منذ الحرب العالمية الثانية ويقال أن مجموع قواته النظامية يدخل في نطاق ٣٠ فرقة منها ٦ فرق مدرعة

والجندى التركى مشهود له بالكفاءة وخاصة فى النواحى الدفاعية وقد قام بأعمال مجيدة فى الحرب الكورية وتقوم أيضا البعثة الامريكية المشتركة لمساعدة تركيا باسداء النصح والتدريب (يعتقد انه يوجد فى تركيا ١٤٠٠ مدرب أمريكى) .

أما الجيش اليوغسلافى فيقدره البعض بحوالى ٣٠ فرقة محاربة . وبذلك تكون مجموع القوات البرية النظامية للدول الثلاث ٧٠ فرقة أى حوالى ٧٠٠٠٠٠ مقاتل .

ثانيا: القوات الجوية والبحرية : ان مقدرة البلاد الاقتصادية لا تسمح لهذه القوى بالزيادة الى الحد المتناسب والملائم للعمل مع القوات البرية . ولكن ترجع أهميتها بالنسبة للمعسكر الغربى عامة وللدفاع عن شرقى البحر الأبيض خاصة الى القواعد الجوية والبحرية التى تمتلكها الدول الثلاث . وقد قيل أن انضمام تركيا واليونان الى حلف الاطلنطى لم يكن معناه ضم فرقة واحدة الى الحلف بل كان معناه أن أمريكيا تعسكر فوق مرتفعات تركيا واليونان . وهاتين البلدين بالنسبة الى روسيا تشبهان المكسيك بالنسبة الى الولايات المتحدة .

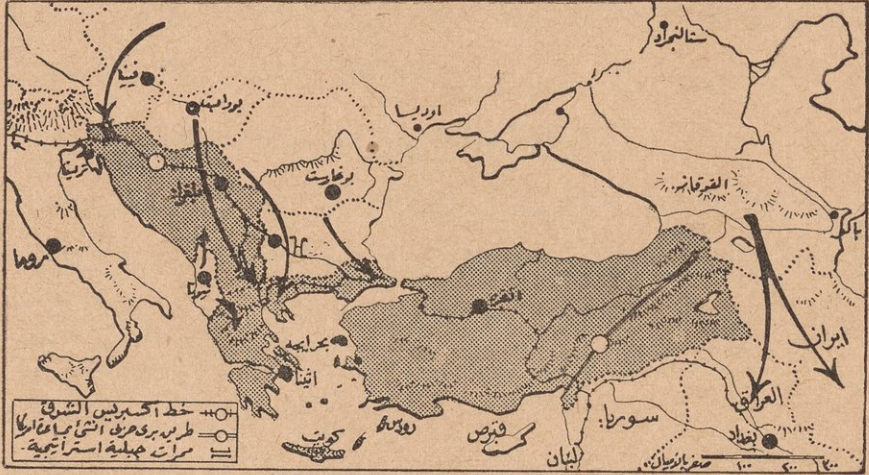
تعليق: اعتقد ان روسيا السوفييتية اذا ما وجهت عملياتها العدائية ضد هذا الميدان ، فيجب عليها أولا أن تدبر ما لا يقل عن ١٠٠ فرقة تدفع بها فى المراحل الأولى من العمليات خلاف ما يتبعها من امداد لاستغلال النجاح ، هذا اذا أرادت التغلب والسيطرة على هذا الميدان والاشراف على الجزء الشرقى من البحر الأبيض فى هذه المنطقة .

ولذلك يمكن القول بأن هذا الحلف من انقوة الحربية التى تمكنه من سد جزء من ثغرة الدفاع عن مصالح العالم الغربى عامة وعن جزء من فراغ الشرق الأوسط خاصة .

الحلف والخطر الروسى على شرق البحر الأبيض :

لما كان حلم روسيا الأزلى هو الاستيلاء على الدردنيل والبوسفور لتجد غواصاتهما مخرجا الى البحر الأبيض وتهدد الملاحة البحرية للمعسكر

الغربي فيه وبالتالي يمكنها استغلال النجاح في أعمالها البحرية على أوسع نطاق حتى تخرج الى المحيطات والبحار الواسعة ، لذلك يعتبر قيام هذا الحلف كما قلنا من قبل خطوة قوية أولى للدفاع عن المعسكر الغربي في شرق البحر الأبيض وله المزايا الآتية : —



حلف البلقان الحديد والدفاع عن الحكة الغربية

١ — أقام حازرا في وجه الدول الضالعة مع الاتحاد السوفييتي وعزل ألبانيا عزلا تاما فحرم روسيا من آمالها السلمية في تكوين حلف البلقان قائم على المبادئ الشيوعية .

٢ — القوة المشتركة لدول الحلف تهيبء مركزا استراتيجيا قويا كانت الحاجة ماسة اليه اذ أن دول الحلف شواطىء طويلة وموانىء صالحة وقواعد جوية مناسبة في موقع جغرافي له أهمية استراتيجية عظمى في الدفاع عن الشرق الأوسط .

٣ — يعطى للمعسكر الغربي فرصة تنظيم قاعدة وطيدة وقوية للهجوم على مراكز القوة في الاتحاد السوفييتي فضلا على أنه يمكن من هذه القاعدة توجيه قوات للهجوم المضاد اذا ما قامت روسيا بعمليات هجومية على غرب أوروبا .

٤ — ان خبرة جنود هذه الدول في حرب العصابات سوف تؤثر ولا شك على تقدير الموقف الحربى من جانب القواد الروس قبل أن يستقر رأيهم على الهجوم على دول الحلف لأنها ولا شك تتعرض لاستهلاك عدد كبير من قواتها الحربية قد لا تستهلكه اذا ما هجمت في ميدان آخر .

٥ — تعتبر قوات هذا الحلف شوكة في جنب أى هجوم روسى على الشرق الأوسط (ايران أو العراق) .

مظاهر الضعف الاستراتيجى لحلف البلقان :

على الرغم من المزايا الاستراتيجية التى حققها الحلف الجديد فى سد ثغرة فى شبكة الدفاع عن العالم الغربى — ألا وهى المنطقة الخاصة بشرق البحر الأبيض المتوسط — كما انها تعتبر تأمينا للجنب الشمالى لفراغ الشرق الأوسط ، الا ان هناك بعض مظاهر الضعف الاستراتيجى لهذا الحلف تتلخص فى الآتى : —

١ — لو نظرنا الى خريطة المنطقة لوجدنا أن هذه الكتلة محاطة جنبها الأيمن بفراغ استراتيجى له أثره الخطير فى الدفاع عن مصالح العالم الغربى وسيبقى هذا الفراغ موجودا طالما أن هناك استعمارا فى المنطقة وطالما أن هناك اسرائيل التى لا تحترم مصالح العرب ولا قرارات هيئة الأمم المتحدة .

٢ — أما الحد الغربى لهذه الكتلة فنجد الفراغ الآتى : —

١ — مشكلة تريستا والنزاع حولها بين يوجوسلافيا كدولة صديقة جديدة فى الحلف وبين ايطاليا كدولة عضو فى حلف الاطلنطى ..

وهنا يتبادر الى ذهن البعض سؤال دقيق : ما هو موقف كل من تركيا واليونان فى الحرب التى قد تنشب بين ايطاليا ويوجوسلافيا على اعتبار أن تركيا واليونان دولتان مشتركتان فى حلف الاطلنطى وعليها التزامات ازاء ايطاليا كما أن عليها شئ من الالتزام ازاء يوجوسلافيا بموجب حلف البلقان ؟ ..

ألا يمكن القول بأن هذه المشكلة — تريستا — تسبب خلل سياسى فى شرق البحر الأبيض وتؤثر على مبدأ توازن القوى فى صالح الاتحاد السوفيتى لأنها توجد تفرقة داخل المعسكر الغربى ؟ ..

ب — موقف ألبانيا بين يوغوسلافيا واليونان وأثرها على الخطة الدفاعية لحلف البلقان حيث يمكن إمدادها بسهولة جويًا من المنطقة السوفيتية فتصبح بذلك تهديدًا مباشرًا لمؤخرة القوات اليوغوسلافية . كما أن ميناءها يمكن استخدامه لحرب الغواصات فى البحر الأبيض .

٣ — أما فى المنتصف فتوجد الحدود الطويلة الضيقة بين اليونان وبلغاريا على امتداد جبال رودوب وهى حدود من الصعب الدفاع عنها وإن كانت اليونان قد نجحت فى ذلك ببعض قواتها ضد الثوار الشيوعيين ..

٤ — كما وأن تناسق الجبال فى جنوبى الصرب لن تكون منها فائدة كبيرة ضد عدو قادم من الشمال (روسيا) أو الشرق (رومانيا أو بلغاريا) . فقد أثبتت حربان وقعتا فى هذا القرن أن من الصعب منع هجوم نحو الجنوب فى اتجاه سالونيك عبر سهل الفردار ، إلا أنه من الصعب التجمع غربى النهر (القوات اليوغوسلافية) والهجوم شرقًا .

تعليق : من كل ذلك يستنتج أن بلاد الحلف عبارة عن ممر — وليست كمانع قوى — بين الشمال والجنوب ولذلك قيل فى الأوساط الاستراتيجية العسكرية أنه من السهل على الكتلة الغربية عمل خطط للهجوم المضاد عبر هذه الدول أى أن تستخدم أراضيها وموانئها ومطاراتها كقاعدة وطيدة للهجوم وذلك بدلا من عمل خطط لوقف الهجوم السوفيتى عليها ... وهذا هو السر فى شدة تمسك الولايات المتحدة بتقوية كل من تركيا واليونان والتقرب الشديد الى يوغوسلافيا الشيوعية .

وروسيا تسعى فى تطبيق مبدأ توازن القوى لخلخلة هذه المنطقة بسياستها التقليدية فرق تسد وحملاتها السلمية ومناورات التفرقة التى تترقبها بين كل وقت وآخر .

أثر حلف البلقان على فراغ الشرق الأوسط !

قلنا من قبل أن عقد مثل هذا الحلف بعد خطوة قوية لتعزيز خطط الدفاع الغربية عن شرق البحر الأبيض المتوسط . وهذه المنطقة على اعتبار أنها جزءا حيويا من منطقة الشرق الأوسط وتمر بها عدة طرق محتملة للتقدم والهجوم السوفييتي ، فيمكن القول بأن هذه الاتفاقية تعتبر بمثابة خطوة أولى شجعت على اتخاذها الكتلة الغربية لسد جزء من فراغ الشرق الأوسط .

كما انها تعتبر بمثابة منطقة دفاع قوية لتأمين الجنب الشمالي لشقرة الشرق الأوسط .

الا ان أهم ما في الموضوع من الوجهة الدفاعية هو مدى الامدادات التي يمكن للغرب ارسالها بطريقي البحر والجو الى هذه المنطقة في حالة الحرب العالمية الثالثة وأثر تدخل الطيران الروس (المقاتلات من القواعد الجوية في بلغاريا) على مسألة الامدادات هذه ..!

وأخيرا فان هذا الحلف وحدة لا يكفى لمشكلة سد الفراغ الموجود حاليا في الشرق الأوسط فما الذي قامت به الدول الغربية — وبمعنى أدق الولايات المتحدة — لتعزيز الدفاع القوى عن هذه المنطقة الحساسة ؟ . هذا هو موضوع ما سيأتى شرحه بعد .

٢ - الكتلة الغربية تعقد ميثاقا عسكريا مع اسرائيل

كثيرا ما أعلنت أبواق السياسة الانجليزية والامريكية في كل مناسبة رغبتها الأكيدة في استرضاء العرب واكتساب صداقتهم ، بعد أن شعرت بما اقترفته ضدهم من اخطاء جسيمة في الماضي . فانجلترا تحاول التملص من تبعاتها الهائلة في فلسطين ؟ ووقف ايزنهاور عقب توليه رئاسة الجمهورية فأعلن أن سياسته غير سياسة ترومان ...

ولكن لو نظرنا الى الأعمال لوجدناها على تقيض من الأقوال ، فالسلم والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط — أو بعبارة أدق سد الفراغ

الاستراتيجى فى هذه المنطقة — فى نظر أمريكا وانجلترا ، هو الحالة التى تمكن اسرائيل من أن تقوى وتنمو وتعظم وتتسع على حساب الدول المجاورة وتمهد لها السيطرة على الشرق العربى وأضعافه لاختضاعه الى سياستهما واستراتيجيتهما .

فالدول الغربية — كما لاحظنا فى جميع مشاكل الدول العربية مع اسرائيل — تعمل دائما بوحى اسرائيل فهى تحاول بكل قواها فى هذا الوقت — وقت كتابة هذه السطور — أن تكره الأردن على عقد الصلح مع هذه الربية المدللة ولو كان الصلح هذا معناه الموت للأردن أولا والانهيار للجامعة العربية ثانيا والقضاء عليها أخيرا .

وفى الوقت نفسه عرضت الولايات المتحدة مشروعا لتحويل مجرى الأردن بالاتفاق بين العرب واسرائيل ، وهذا المشروع يرمى الى تقوية اسرائيل عسكريا واقتصاديا وسياسيا على حساب الدول العربية التى سبق لها أن رفضته .

ولنا أن نسأل الدول الغربية التى تتزعمها الولايات المتحدة اذا كانت راغبة حقا فى اقامة سلام دائم فى الشرق الأوسط وسد الفراغ الاستراتيجى فى المنطقة . ما الذى يمنعها من الضغط على اسرائيل لتجعلها تستجيب الى قرارات المنظمة الدولية العالمية فيما يخص بالتقسيم واعادة اللاجئين؟ .. فانها — اسرائيل — لو نفذت هذه القرارات ، فلن تكون هناك حاجة لعقد مؤتمرات مشتركة للصلح بينها وبين الأردن كما لن تكون هناك حاجة الى بقاء اتفاقيات الهدنة وما ينتج عنها من مشاكل متعددة تساعد على زيادة حالة التوتر بين الطرفين .

الا تكون الاجابة المنطقية لهذا السؤال هو أنه لا يمكن لأمريكا أو انجلترا أن غضب اسرائيل حتى ولو كانت على حساب عدم الاستقرار فى هذه المنطقة الحساسة وذلك لأنه يحتمل أن يكون هناك ميثاقا عسكريا معها ؟؟

اعتقد أن عددا كبيرا من أقطاب السياسة فى الشرق العربى قد يؤيد

الرأى القائل بالايجاب فهو كبير الاحتمال . . .

فلاسرائيل موقع جغرافى ممتاز يكسبها شأننا استراتيجيا فيما لو
نشبت الحرب بين العالم الغربى والكتلة الشرقية . . . فيمكن للعالم الغربى
بموجب هذا الميثاق المحتمل أن يحصل على المزايا الآتية فى سد الفراغ عن
الشرق الأوسط .

١ - الاستفادة من الجيش الاسرائيلى كقوة بشرية فى الدفاع ضد
الهجوم السوفييتى على المنطقة وقد استفادت الكتلة الغربية من هذه
القوات فى الحرب العالمية الثانية . . . ولكن هل ينسب أقطاب الاستراتيجية
الغربيون أن بالجيش الاسرائيلى عددا كبيرا من المجندين البولنديين والروس
والمجر وكلهم لاجئين من الدول الخاضعة للنفوذ الشيوعى فضلا على أن
زعماء اسرائيل قادمين من الدول الضالعة مع روسيا .

٢ - تجديد القواعد الجوية فى فلسطين على أحدث النظم بحيث
تصلح لقاذفات القنابل الأمريكية وبذلك يضمّن المعسكر الغربى قواعد
جوية جديدة وكثيرة قريبة من مناطق الصناعة فى داخل روسيا (الصناعات
فى أوكرانيا والبتروى فى باكو) .

٣ - استخدام الأساطيل البحرية الغربية للموانى البحرية - حيفا وتل
أبيب - ومنها تستطيع هذه الأساطيل التزود بالمؤن والوقود عدة شهور فى
حالة نشوب الحرب فضلا على أن هذا الاتفاق يعد تعزيزا لموقف الكتلة
الغربية فى الدفاع عن شرق البحر الابيض .

٤ - يعتبر هذا تأمل الاتفاق كخطوة جزئية وتبادلية لسد الفراغ عن
الشرق الاوسط فى هذه المنطقة طالما أن الدول العربية لا تقبل الى الآن
الدخول فى منظمة للدفاع عن الشرق الاوسط .

والدول الغربية تأمل فى هذا الاجراء وسيلة جديدة من وسائلها فى
توازن القوى وهى الضغط على الدول العربية لقبول الصلح مع اسرائيل .
ولكننى اعتقد أن الجامعة اليوم غيرها بالامس وتعلم مدى مناورات السياسة
الغربية بهذا الخصوص .

ولتعلم الكتلة الغربية أن مثل هذا الاتفاق يعد مخاطرة ومجازفة
القائم ضد رغبة شعوب المنطقة والحكومات العربية خسارة لامريكا لا كسبا
لها .

ومن يعيش حتى الحرب العالمية المقبلة سوف يرى صدق هذا القول .
الا اذا غير الغرب اتجاهاته العدوانية ازاء العرب واستخفاف دعاة الاستعمار
بقوة الوحدة العربية .

٣ — المعاهدة الليبية البريطانية

وهذا نوع جديد من الاتفاقات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط
ولسد الفراغ الناشئ في المنطقة ولكنه اتفاق من نوع جديد يعبر عن
مؤامرة استعمارية لجأ إليها الاستعمار البريطاني ووافقت على عقده
الولايات المتحدة .

فأما لماذا دبرته إنجلترا ؟ ...

فالرد الطبيعي هو لأنها تهدف إلى تحويل القارة الأفريقية إلى شبكة
من المستعمرات الجديدة عوضا عن امبراطوريتها التي فقدتها في الشرق
الأقصى فضلا عن أهمية موقعها الاستراتيجي في الصراع العالمي المقبل
أما لماذا أيدت الولايات المتحدة هذا الاتفاق ؟ ...

فالأيام قد كشفت لنا أسباب سكوت أمريكا عن هذه المعاهدة حيث
لم يكن سكوت أمريكا بلا ثمن . وهذا الثمن يتلخص في أن الحكومة
الأمريكية كانت قد اتخذت قاعدة جوية لها في مطار الملاحة بمقتضى
اتفاقية مع الحكومة الليبية كانت تخول لها أن تكون قواتها في مطار
الملاحة تتراوح بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ جندي . ثم أخذت الحكومة الأمريكية
وعملت هذه الاتفاقية وأصبح لها الحق في زيادة قواتها في منطقة الملاحة
إلى ١٢٠٠٠ جندي .

هذا في وقت السلم ، أما في وقت الحرب فإن الحكومة الأمريكية
لها أن تزيد هذا العدد بحسب حاجتها وبحسب تقديرات العسكريين
للموقف وعلى ليبيا في هذه الحالة تقديم الأيدي العاملة التي يحتاج
إليها عمل القوات .. وما أشبه هذه البنود بما جاء في معاهدة ١٩٣٦
المصرية التي ألغيت .

فموقف أمريكا طبيعي - حسب مصالحها - تحده الاستراتيجية التي
تتفق مع أهدافها والتي تتلخص في ضرورة وجود قواعد لها ولحليفها
بريطانيا في هذه البقعة الحساسة من الأرض وفي شمال أفريقيا أيضا لصد
العدوان الشيوعي ولشد أزر الدفاع عن دول غرب أوروبا ... لذلك فهي

تشجع جميع الاتفاقات التي تعترف بوجود قواعد حربية للقوات العسكرية الغربية في وقت السلم وخطر الحرب وقيام الحرب ! ...

والآن وجب علينا تحديد أهمية موقع ليبيا الاستراتيجية .

١ - تشغل ليبيا من ساحل البحر الأحمر مساحة طولها ١٢٠٠ ميل وتمتد أراضيها جنوبا الى مداخل السودان ووسط القارة الأفريقية ... فهي بذلك تجاور مصر والسودان وأفريقيا الفرنسية الاستوائية وتونس ..

٢ - وتشرف عبر البحر الأبيض المتوسط على إيطاليا والبلقان .

٣ - كما أنها تطل على جزر مالطة وصقلية ومالها من أهمية استراتيجية .

٤ - ولذلك يمكن القول بأن ليبيا جسر استراتيجي يصل الشرق الأوسط بشمال أفريقيا وجنوب أوروبا الشرقي بأواسط أفريقيا الخام مما يعطيها أهمية استراتيجية عظمى في الصراع العالمي .

٥ - هذا فضلا على أن ليبيا تصلح لتعمل كقاعدة حربية - بدلا من منطقة القنال ولو أنها ليس في جودتها - خصوصا أن بها مجالا يتسع لانشاء القواعد الجوية والبحرية ومراكز التموين والتخزين فضلا عن مراكز التدريب ومناطق الحشد للقوات .

٦ - ولقد اختص الله ليبيا باتساع رقعتها طولا وعرضا مما يتيح الفرصة لانشاء هذه المراكز وتلك المنشآت بطريقة تضمن تأمينها بأن توزع هذه المنشآت العسكرية على رقعة البلاد حتى يصعب الهجوم عليها جوا .

٧ - وهناك عامل آخر هو أن هذه القاعدة الحربية تخلص من القوى المناهضة للاستعمار التي يمكن أن تخشاها بريطانيا كما تخشى قاعدة القنال حيث يتأجج الوعي القومي .

٨ - وقد قيل في بعض الأوساط الغربية أن هذه القاعدة تصلح لتوجيه عمليات الهجوم المضاد منها عبر البحر الأبيض فالبلقان ضد القوات السوفييتية في أوروبا الشرقية .

أهم نصوص المعاهدة الليبية :

فالمعاهدة تبدأ بنص معاهدة التحالف ، تعقبها الاتفاقية المالية ، تعقبها الاتفاقية العسكرية بملحقها الثلاث ، كما أن هناك مذكرة تفسيرية أعدها رئيس الحكومة الليبية عن هذه المعاهدة . وكل ما يهمننا في هذا الموضوع أن بريطانيا أفلحت في فرض مستشار مالى انجليزى على الحكومة الليبية وانتهى مهمته باعلان عجز الميزانية الليبية ولذلك فهو ينصح الحكومة الليبية بأن تسد هذا النقص من بريطانيا (اعانة مادية) ...

ألا ما أصدق المثل السائر الذى يقول أن التاريخ يعيد نفسه .. هذا فى مقابل أن ربطت بريطانيا ليبيا فى الفلك الجديد الذى تسير فيه الاستراتيجية البريطانية الجديدة (الامبراطورية الافريقية) ووافقت عليها الولايات المتحدة بالسكوت فالتأييد لأنها تعتقد أن هذه الاتفاقية تعتبر كوسيلة من وسائل سد الفراغ فى الشرق الأوسط واعادة توازن القوى المخلخل فى المنطقة .

١ - أهم نصوص معاهدة التحالف

المادة الأولى : يسود سلم وصداقة وتحالف وثيق بين الفريقين الساميين المتعاقدين توطيدا لتفاهمهما الودى وصلاتهما الطيبة .. يتعهد كل من الفريقين بعدم اتخاذ موقف ازاء البلاد الأجنبية يتنافى مع التحالف أو يخلق مصاعب للفريق الآخر .

تعليق : دول الجامعة العربية المشتركة فيها ليبيا تعتبر اجنبية بالنسبة لهذا الاتفاق .

المادة الثانية : اذا اشتبك أى الفريقين فى حرب أو نزاع مسلح يهب الفريق الآخر لنجدته كتدبير للدفاع الجماعى مع مراعاة دائما أحكام المادة ٤ .. (حالة الحرب) .

فى حالة خطر اعمال عداوية داهم محقق بأى من الفريقين يتفق الفريقان فورا على تدابير الدفاع اللازمة . (حالة خطر الحرب)

تعليق : أى أن بريطانيا ربطت ليبيا في حالة الحرب وخطر الحرب .

المادة الثالثة : يعترف الفريقان بأنه من مصلحتهما المشتركة الاستعداد لدفاعهما المتبادل والتأكد من أن بلاديهما في حالة تمكنهما من القيام بدورهما في صيانة السلام والأمن الدوليين . ولهذه الغاية يقدم كل منهما للآخر كافة التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه بشروط يتفق عليها .

وفى مقابل التسهيلات التى تقدمها ليبيا للقوات البريطانية المسلحة بليبيا بشروط يتفق عليها ، تقدم بريطانيا مساعدة مالية لملك ليبيا بشروط يتفق عليها كما سبق ذكره .

تعليق : وفى هذا مخالفة صريحة لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ولروح قرارات الجمعية العامة التى لا تريد دخلا من دولة ما فى شئون ليبيا المستقلة .

المادة الرابعة : ليس فى هذه المعاهدة ما يرمى الى الاخلال أو يخل بأى حال من الحقوق والالتزامات التى تترتب أو قد تترتب على أى من الفريقين بموجب ميثاق الأمم المتحدة أو أى اتفاقات أو معاهدات دولية قائمة بما فى ذلك فيما يخص ليبيا ميثاق جامعة الدول العربية .

تعليق : فى هذه المعاهدة مخالفة للميثاق لأنها نوعا من المعاهدات الغير متكافئة وهى تتعارض كل التعارض مع روح ميثاق الجامعة العربية لأن الضمان الجماعى ما هو الا مكمل لميثاق الجامعة ولا يمكن لليبيا بعد أن وقعت هذا الميثاق أن تدخل الضمان الجماعى بأى حال من الأحوال .

المادة ٦ — تظل هذه المعاهدة نافذة لمدة ٢٠ سنة الا اذا عدلت أو أبدلت بمعاهدة جديدة أثناء تلك المدة باتفاق كلا الفريقين ويعاد النظر فيها على كل حال فى نهاية عشر سنوات .

ب - أهم نصوص الاتفاقية المالية .

وهذه بدورها تحتوى على ٥ مواد أهمها المادة الثانية وهى كما يأتى :

« لغرض ادراك هذه الاتفاقية تقدم حكومة المملكة المتحدة ، بعد الأخذ بعين الاعتبار حاجة ليبيا بالتشاور مع حكومة ليبيا مساعدة مالية سنوية لحكومة ليبيا لمدة دوام هذه الاتفاقية .

ويدفع في الخمس سنوات المالية من ١٩٥٣/٤/١ حتى ١٩٥٨/٣/٣١ مبلغ مليون جنيه استرليني سنويا لمنظمات التنمية الليبية القائمة في أول ابريل ١٩٥٢ أو لمنظمات التنمية الأخرى المؤسسة بعد ذلك حسب ما يتفق عليه بين الحكومتين من وقت لآخر .. ومبلغ مليونين و ٧٥٠.٠٠٠ جنيه استرليني كمساعدة مالية لميزانية ليبيا .

وستتعهد بريطانيا قبل نهاية كل فترة من فترات السنوات الخمس التالية أثناء سريان هذه الاتفاقية بأن تقدم ، بعد الأخذ بعين الاعتبار حاجة ليبيا بالتشاور مع حكومة ليبيا ، مساعدة مالية سنوية حسب ما تتفق عليه الحكومتان لمدة السنوات الخمس التالية » .

تعليق : بما أن للمساعدات المالية التي تقدمها بريطانيا لليبيا صلة مباشرة بالتسهيلات العسكرية التي تمنحها ليبيا لبريطانيا في الاراضي الليبية ، كان من اللازم أن يعاد النظر في الموضوعين بعد كل خمس سنوات لا في موضوع المساعدة المالية وحدها ، إذ من الممكن أن تتحسن اقتصاديات ليبيا فتتقصر على ضوئها المساعدات المالية البريطانية كما أنه من المحتمل أيضا أن يخف التوتر الدولي فتتقصر ليبيا من التسهيلات العسكرية التي منحتها لبريطانيا

كما أنه لو حللنا باقى هذه الاتفاقية في المادة ٣ حيث توجد فيها جملة تقول « تزود ليبيا الحكومة البريطانية بنسخ من تقديرات الميزانية السنوية الكاملة » ؟ لوجدنا أن هناك معنى دقيقا جدا لاشراف بريطانيا على ميزانية ليبيا مع عدم تعهدا بالدفع صراحة حيث أن المساعدة المالية لا تدفع الا اذا اتفقت الحكومتان على ذلك ، فاذا لم يتفقا أو على الاصح اذا لم تتفق بريطانيا على احتياجات ليبيا ولم تصلق على مستنداتها فأي قوة تجبرها على الدفع ؟ لا حجة لليبيا على الاطلاق ...

ج - أهم نصوص الاتفاقية العسكرية .

وهذه الاتفاقية مؤلفة من ٣٥ مادة وثلاث ملاحق . ولو أن حقيقة الحال لا يوجد أى نص صريح أو ضمنى في الاتفاقية يلزم القوات

الليبية المسلحة بالخدمة خارج الأراضى الليبية الا انه بمراجعة بعض
نصوص المعاهدة العسكرية نجد أن هذا هو الاحتلال بعينه كما
سيأتى بعد :

المادة ١ : تمنح حكومة ليبيا مساهمة منها فى اقرار السلم والأمن
الدوليين وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه حكومة بريطانيا
الأذن بالتمتع داخل أراضى ليبيا بالتسهيلات المنصوص عليها فيما
بعد لأغراض عسكرية طول مدة هذه الاتفاقية وبموجب أحكامها
وشروطها .

المادة ٣ : تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة بأن تستعمل
استعمالا مقصورا عليها غير منقطع للأغراض العسكرية الأراضى
والمباني وكل شئ فيها أو عليها المبنية فى الملحق رقم (١) لهذه
الاتفاقية .

المادة ٤ : (١) يجوز لحكومة بريطانيا أن تمارس مراقبة تامة على
الطائرات والسفن والمركبات التى داخل المناطق القريبة من الأراضى
المتفق عليها والتى تدخل اليها وتخرج منها حسبما تتفق عليه الحكومتان
من أنه لازم لتنفيذ أغراض هذه الاتفاقية ولضمان سلامة القوات
البريطانية وممتلكاتها بليبيا .

(٢) تتخذ حكومة ليبيا التدابير .. الخ ولضمان سلامة القوات
البريطانية وممتلكاتها بليبيا .

تعليق : ان هذه المعاهدة عبارة عن استعباد دولة ضعيفة من جانب دولة
قوية لا تكافؤ بينهما فى القوة الخربية وهى تمس سيادة واستقلال ليبيا
باحتيال أراضىها جميعها وموانئها ومطاراتها وحدودها وذلك صريح من
جميع مواد الاتفاقية التى تخول للجنود المحتلة الاستيلاء على مساحات
غير محدودة وقابلة لامتداد معقول وهذه المساحات تتخلل كافة أجزاء
البلاد .

ولا يدخل أى لىبى الا باذن الضابط المحتل .

وأدهى من ذلك أن الحكومة الليبية مجبرة على أن تحافظ على سلامة
الجنود المحتلة !! .

وباختصار اذا ما قرأنا جميع نصوص الاتفاقية بندا بندا لوجدنا بها الكثير من العيوب والتي نخرج منها بخلاصة بأنها معاهدة احتلال وليست تحالف ولو أن بريطانيا والدوائر الليبية التي أهدت هذه المعاهدة تقول غير ذلك .

فلجنة الدفاع والشئون الخارجية بليبيا بررت عقد هذه المعاهدة بصيانة بلادها من خطر الغزو الايطالى وهذا اعتقاد يجسمه الانجليز ويجعلون منه حقيقة واقعة ولو أن هذا هراء فى هراء .. فقد قالت هذه الدوائر بأن هناك اعتبارات دولية وعوامل سياسية هامة حتمت على حكومة ليبيا عقد معاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا .

فما هى هذه الاعتبارات الدولية والعوامل السياسية الهامة من وجهة نظر الدوائر الليبية

تقول هذه الدوائر أن هذه الاعتبارات تتلخص فى خطر الغزو الحربى الايطالى بعد خطر الغزو الاقتصادى ، فى حين أن ليبيا لا تملك جيشا تدفع به خطر أية غارة موجهة ضدها فلا بد لها من حليف يدفع عنها الشرور والعدوان .

كما ويعتقد الليبيون أن الأمم المتحدة لا تستطيع أن تدفع عن ليبيا خطر هذا الغزو ويشهدون على ذلك بما حدث من قبل فى فلسطين وبما حدث أخيرا فى مراكش عندما أقدمت فرنسا على خلع السلطان فى حين أن الأمم المتحدة أصدرت قرارا فى العام الماضى يقضى بضرورة تسوية القضية المراكشية وتحقيق أمنية المراكشيين فى الحكم الذاتى .

تلك هى احدى الحجج لمحاولة تبرير عقد المعاهدة ولكن الذى لاشك فيه أن كل محاولة من ايطاليا لغزو البلاد عسكريا أمر شكوك فيه ، فعندما بحث مصير المستعمرات الايطالية تقرر منح ليبيا استقلالها التام وأكدته الدول الكبيرة ووافقت ايطاليا نفسها على أن تتمتع ليبيا بسيادتها الكاملة المطلقة .

عيوب المعاهدة الليبية

وهناك عدد كبير من الشعب الليبي لا يعرف من المعاهدة شيئا لأنهم لم يطلعوا عليها وهم لا يقررون أى تحالف أجنبى مهما تكن الدوافع اليه والغاية منه ، انهم يرون فى كل تعاقد استمرارا لسنين الاحتلال التى رسفوا فى اغلالها تلك الحقبة الطويلة من الزمن .

وتتلخص عيوب هذه المعاهدة فيما يلى :

١ - تنص المادة ٦ من المعاهدة على أن تظل نافذة المفعول لمدة ٢٠ سنة ولم تنص على وجوب جلاء القوات البريطانية فورا من ليبيا عند انتهاء المعاهدة وعدم تجديدها .

٢ - ورد فى المادة الأولى من الاتفاقية العسكرية أن بريطانيا تستعمل وساطتها لتسهيل تزويد القوات الليبية بحاجتها من الأسلحة والذخائر من بريطانيا حسبما يتطلبه نموها الطبيعى وهذه الجملة غير واضحة وغامضة اذ لا تبين بوضوح هذه التسهيلات ونوعها ومداهها .

٣ - ان النص على عدم الزام القوات الليبية الخدمة خارج الاراضى الليبية تنقضه المادة الثانية من المعاهدة لأنها تنص على أن يهب الفريق المتعاقد لنجدة الآخر .

٤ - مناطق غير محددة للتدريب : ان بنود المادة ٣ من الاتفاقية العسكرية تعتبر شديدة لانها تلزم ليبيا منح مناطق غير مذكورة فى الملحق العسكرى لتستخدمها بريطانيا فى تدريب جنودها بدون أن تحدد هذه المناطق بالرغم من انها تشمل الأراضى الحكومية والخاصة على السواء .

٥ - وهناك المادة الخامسة من الاتفاقية العسكرية تنص على أن تمنح حكومة ليبيا للاغراض العسكرية الحكومة البريطانية حق مد الانابيب والسكك الحديدية وجعلت مصير هذه المنشآت مجهولا بعد انتهاء المعاهدة ، فاذا سلمتها وطالبت بثمنها كان ذلك سببا لتحصيل

ليبيا ديونا مقدارها ملايين الجنيهات تتخذ منها بريطانيا مبرر للبقاء الدائم في ليبيا (احتلال أبدي) .

٦ — القوات البريطانية المسموح بتواجدها : لم تحدد الفقرة الأولى من المادة ٢٢ عدد القوات البريطانية المسموح لها بالبقاء في ليبيا .

٧ — اعفاءات جمركية مبالغ فيها : ان الاعفاءات الجمركية الواردة في المادة ٣٩ و٣٠ تعتبر كثيرة ومبالغ فيها اذ لم تقتصر على المواد العسكرية بل شملت المدنيين وعائلاتهم وأثاثهم وسائر كمالياتهم وفي ذلك غبن كبير لخزينة الدولة وتجارته اذ لا بد وان تتسرب هذه المواد المعفاة الى غير أعضاء القوات البريطانية .

٨ — المساعدات المالية : كان من الأصوب أن تدفع بريطانيا المساعدة المالية التي حددتها وحددت جهات الصرف بخصوصها أن تترك لليبيا الحرية الكاملة للتصرف فيها حسب ما تراه .

٩ — مساعدات تدل على غرم ليبيا : وان هذه المساعدات المالية ضئيلة جدا ولا تتناسب مع التسهيلات الكبيرة التي يحصل عليها الجنود البريطانيون من قواعد جوية وبحرية وبرية .

١٠ — فصل منطقة فزان الى الأبد : قامت المعاهدة بهذه الكارثة بالنسبة لليبيا وفي هذا الاجراء تحقيق عملي لمشروع ينفذ سفورزا . وان تجزئة الوطن الواحد وتقسيمه بين دولتين بمعاهدتين لم يحصل في تاريخ أى دولة على وجه الأرض .

١١ — كان يمكن لليبيا ولديها مطار الملاحة أن تأخذ من أمريكا ملايين الدولارات مما لا يدعوها الى طلب المساعدة المالية من إنجلترا . أليس لها أمل في قرار المجلس الاجتماعى الاقتصادى التابع للأمم المتحدة وقد قرر مساعدة ليبيا ؟ .

١٢ — ويمكن ايجاد عشرات أخرى من العيوب ولكن يمكن القول بأن المعاهدة ما هى الا احتلال عسكري شامل وأبدي .

كل هذه العيوب من قبل مقارنة المعاهدة بين بريطانيا وليبيا
واثرها على حرية واستقلال ليبيا

ولكن ما هي عيوب هذه المعاهدة بالنسبة للجامعة العربية ؟

تتلخص هذه العيوب في الآتي :

أولاً : ان ليبيا لم تخطر الدول العربية بتطورات المحادثات التي
دارت حول المعاهدة قبل عقدها .

ثانياً : ان ليبيا عقدت المعاهدة دون أن تستشير الدول العربية
الاعضاء في الجامعة .

ثالثاً : ان المعاهدة تفتح ثغرة واسعة في بيان الجامعة العربية
وتقتضى على الحياد الذي ينبغي أن تتمسك به الجامعة باعتبارها هيئة
اقليمية غير ذات أغراض عدوانية .

رابعاً : ان بقاء ليبيا في الجامعة العربية يشجع الدول الأخرى على
عقد معاهدات فردية بدون استشارة الجامعة الأمر الذي يؤدي الى
تفكك وحدة الدول العربية (مثلاً العراق ومشروع الدفاع عن شمال
الشرق الأوسط بين تركيا والباكستان وايران) .

خامساً : ان المعاهدة لا تخدم أغراض ميثاق الجامعة العربية على الوجه
الأكمل (بخصوص الضمان الجماعي) فليبيا مضطرة بموجب هذه
المعاهدة الى وضع أراضيها تحت سيطرة بريطانيا في جميع الأوقات كما
انها مضطرة الى تعبئة قواتها لخدمة بريطانيا في حالة الحرب أو خطر
الحرب . وهذا الوضع لا يتماشى مع مقتضيات ميثاق الضمان الجماعي ،
والا فان الارتباط بين الدول العربية وليبيا على هذا الوضع سوف يضطر
العرب الى أن تقف من بريطانيا نفس الموقف الذي تقفه ليبيا .

أثر المعاهدة الليبية على الدفاع عن الشرق الأوسط وتوازن القوى •

١ — انى اعتقد وأظن ان كل بصير بالشئون العسكرية يشاركنى
هذه العقيدة وهى أن بريطانيا بحكم هذه المعاهدة ستحتل ليبيا وتتسلط
على الحكومة الليبية وذلك نتيجة طبيعية لكل تحالف ثنائى بين دولتين

غير متكافئتين في أى ناحية من نواحي القوة معنوية كانت أو مادية ،
عسكرية كانت أو سياسية ، فالحليف الصغير ينتهى دائما في مثل هذا
التعاون الى تابع مسخر ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون هذه
المعاهدة الا بمثابة قواعد جوية وبرية وبحرية أبدية لقوات الغرب في
منطقة استراتيجية وموارد بشرية تعمل ولو على الأقل في أعمال الاعاشة
والامداد والايواء والانشاءات الخ ..

٢ — ان هذه المعاهدة وطدت مركز الكتلة الغربية في شمال أفريقيا
حتى ولو جلت القوات البريطانية عن منطقة قنال السويس :

٣ — ان هذا الاحتلال البريطاني لا يفقد الكتلة الغربية توازن
القوى حتى اذا ما سقطت دول البلقان وايطاليا في أيدي القوات
السوفيتية في بدء مراحل العمليات .

٤ — قواعدهما تصلح لضرب القواعد الروسية بالقاذفات الثقيلة
متعاونة مع القواعد الأخرى في مالطة وقبرص وكريت الخ ..

٥ — في هذا الاحتلال مع القواعد البريطانيين في أفريقيا الاستوائية
والجزر البريطانية في البحر الأبيض ومع وجود اسرائيل ، كل ذلك يعتبر
تهديدا وحصارا لوادي النيل .

خاتمة :

ان مصر العربية التي تعرف واجباتها نحو شقيقاتها تحرص على
استقلال الشعب الليبي قدر حرصها على استقلالها وتأبى أن يدق
في قلب الجامعة العربية أسفين أجنبي جديد يزيد أهلها تفريقا
ووحدها تمزيقا .

على أن جهد مصر لا يكفي وحده فلا بد أن تبذل معه الجهود من
جميع الشعوب والحكومات العربية ومن الشعب الليبي بوجه خاص
فالقضية قضيته والسيادة سيادته وهو عليها ان شاء الله من الحافظين .

وكل ما يقال من أن بريطانيا تنشر قواعدها في شمال أفريقيا
وغرب آسيا لتسد فراغا لا بد منه لصيانة مصالح العالم الغربي هو

خرافة يقصد بها تمكين نفوذها في هذه المنطقة واستمرار سيطرتها لمنع الدول العربية فرادى أو مجتمعة من الظهور في هذه الساحة — الشرق الأوسط — بمظهر القوة والخروج عن ارادة المستعمرين فيها .. ولكن الحكومات والشعوب العربية تقف لها بالمرصاد .

فالسبيل الوحيد لملء الفراغ الموجود في الشرق الأوسط ليس بالاحتلال البريطاني بل يجب أن تتحرر بلدان الشرق الأوسط ومن ضمنها ليبيا من النفوذ الأجنبي . وهنا يصبح الدفاع المنبعث من ارادة الشعوب والمتفق مع مصالحها الحيوية وسيلة فعالة لتحقيق السلام والحرية والرفاهية للبشر جميعا لا لفريق منهم فقط بصورة تخدم مصالحه وأهدافه الذاتية .

ملحوظة :

أوردت تفاصيل بنود الاتفاقية الليبية البريطانية في الملحق المرفق وذلك حتى اذا أراد أحد البحث في تفاصيل هذا الموضوع ليعلم مدى خضوع الحكومة الليبية الى سيطرة واشراف جنود الاحتلال يراها واضحة في جميع بنود الاتفاقية بأقسامها الثلاث .

ثانياً : الاقتراحات العربية لسد الفراغ في الشرق الأوسط

الاستراتيجية الغربية العالمية

حتى تتمكن من معرفة أسس المشروعات الغربية للدفاع عن الشرق الأوسط وبمعنى أدق الوسائل العملية لسد الفراغ الموجود حالياً في المنطقة وجب علينا أن نلقى نظرة اجمالية على الاستراتيجية التي رسمتها الولايات المتحدة زعيمة المعسكر الغربي في دفاعها الكامل ضد روسيا السوفيتية .

وتتركز هذه الاستراتيجية في ضرورة انشاء نطاق من التكتلات الاقليمية والأحلاف العسكرية والمعاهدات الثنائية حول روسيا والدول الضالعة معها بحيث يتضمن دول غرب أوروبا (حلف الأطلسي) ودول

جنوب شرق أوروبا (حلف البلقان) ودول الشرق الأوسط ودول الشرق الأقصى بما فيها اليابان .

ويبدو لأول وهلة انه من المشكوك فيه امكان ادخال دول متباينة المشارب فى اتفاق اقليمى وشبيه بحلف الأطلنطى — وقد أيدت التجارب الصعوبات التى تواجهها دول ميثاق الأطلنطى والتى لعبت دورا خطيرا فى قوة الحلف وعدم تشكيل الجيش الأوروبى للآن . كذلك يمكن القول بأن هناك عقبات كبيرة وعديدة حالت ولا زالت تحول دون تحقيق مثل هذه الأحلاف فى الشرقين الأقصى والأوسط .

ولذلك وجدنا الولايات المتحدة والمعسكر الغربى شجعت من كل خطة تهدف الى تعزيز استراتيجيتها الدفاعية فى منطقة الشرق الأوسط ، فقدمت ما قدمت من المشروعات ولا زالت تقترح وتسعى بكافة الوسائل العملية وتغرى بكافة الامكانيات حتى تقوم فى هذه المنطقة منظمة دفاعية متناسقة يمكنها أن تقف ككتلة واحدة للدفاع عن الشرق الأوسط .

وقد نجحت الكتلة الغربية فى بعض الأماكن ومع بعض الدول كما سبق الإشارة اليه فى الجزء الأول من هذا الباب . بينما حاولت وفشلت فى أكثر من مشروع للدفاع عن المنطقة ولو أنها لم يبلغ بها حد اليأس فهى تضع خططها وتغيرها حسب الظروف والأحوال ، وهذا هو ما سوف أناقشه فى الجزء الثانى من هذا الباب .

١ - المشروع الرباعى لقيادة الشرق الأوسط (مشروع بريطانى)

مقدمة :

سبق أن قلنا انه ما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى هبت شعوب الشرق الأوسط تعلن الكفاح من أجل حقها فى الحرية .. وخلال عامى ٥١ ، ١٩٥٢ أمكن لهذه الشعوب أن تحصل بكفاحها على عدة انتصارات ولو أنها لم تكن انتصارات نهائية الا أنها تعتبر بمثابة نهضة وضربات موجعة للاستعمار البريطانى فى هذه المنطقة أهمها تأميم

البتروال الايرانى والغاء المعاهدة الانجليزية المصرية أعقبتها الثورة
المصرية المباركة ..

● الدول الغربية تقدم المشروع

حاولت الدول الغربية صد هذا التيار التحريرى ، فقدمت فى اكتوبر
١٩٥١ هذا المشروع الى حكومات دول الشرق الأوسط - عدا
اسرائيل وفى هذا تأييد لرأينا السابق الخاص باحتمال وجود معاهدة
عسكرية معها من قبل وكانت معظم بنود هذا المشروع تنصب على مصر
باعتبارها احدى دول العالم الحر والدفاع عنها وعن سلامتها باعتبارها
زعيمة الدول العربية أمر يهم الدول الغربية كما تعرض المشروع الى
اشراك مصر فى القيادة على شرط احتفاظ الدول الغربية بقاعدة قنال
السويس باعتبارها مركزا لتلك القيادة الا ان هذا المشروع بعد رفضه
لا زال حتى اليوم مجرد حبر على ورق .. (وسوف أتعرض الى تفصيلات
هذا المشروع مناقشة القضية المصرية فى الكتيب الثانى ان شاء الله)

وقد كانت العقبة الرئيسية فى قبول هذا المشروع الاستعمارى هى
المقاومة الشعبية التى قوبل بها هذا النوع الجديد من المشروعات
الاستعمارية من شعوب الشرق الأوسط .. وحاولت قوى الغرب عبثا
أن تضعه فى الشكل الملائم لاقاراره الا انها لم تستطع أن تخفى ما له من
أغراض استعمارية ...

أسس المشروع :

وقد كان اساس هذا المشروع تحويل القوى المسلحة لدول الشرق
الأوسط الى قوة متحالفة مع الغرب تأتمر بأوامر القادة الغربيون ...
كما يكون مع هذه الدول بمقتضى هذا المشروع أن تقبل اقامة القوا
الغربية فى أراضيها - الامر الذى يعنى الاحتلال الجماعى الصريح للشرق
الأوسط .. كما أن هذا المشروع يهدف الى ربط دول الشرق الأوسط
باستعدادات الغرب الحربية باعتبار هذا المشروع مكملا لحلف الاطلنطى
وخاضعا لقيادته ..

ومن الاهداف الرئيسية لهذا المشروع أيضا ، حماية استثمار رؤوس

الاموال الانجلو امريكية من اية اعمال أو قرارات مضادة قد تتخذها الحكومات
كما تؤكد هذه الحكومات ضمان الارباح المتدفقة لرؤوس أموال هذه ٠٠٠

● رفض المشروع :

ومصر أول ما رفضت هذا المشروع رفضا قاطعا وفسخت المعاهدة
من قبل التقدم به وبادرت الدول العربية بقيادة مصر الى تعزيز منظمة
الضمان الجماعى ومن أولى أهدافه اتخاذ تدابير وقائية ضد اسرائيل
لا ضد الاتحاد السوفيتى ..

ورغم أن شعوب الشرق الأوسط تقاوم باصرار ولا تقبل الدخول
فى أية مفاوضات مع قوى الغرب ترمى الى هذا المشروع أو ما يماثله
فان بريطانيا وأمريكا بقيتا تصران على هذا المشروع ، اذ قدمت فى ١٤
مارس ١٩٥٣ الى الحكومة المصرية مقترحات مشتركة لجلاء القوات
البريطانية عن منطقة القنال خلال اثنى عشر شهرا مقابل ارتباط مصر
بحلف قيادة الشرق الأوسط ووضع قاعدة القنال تحت اشراف الخبراء
الانجليز والأمريكان ..

ولكن الحكومة المصرية رفضت هذا المشروع وأكدت مطالب
شعبها فى الجلاء غير المشروط .. وفى ٢٧ ابريل عادت بريطانيا الى المفاوضات
من جديد ، ولكن المفاوض المصرى كشف ما يدور حوله المفاوض البريطانى
مما نعتة بالمساومات أو الحلقة المفرغة وسرعان ما توقفت هذه المفاوضات.
وأعقبت بعد ذلك تصريحات من المفاوضين المصريين تؤكد طلباتهم
فى الجلاء غير المشروط ، كما سارعت الدول العربية بتأييد مصر فى مطالبها
الوطنية ومرة أخرى شعر الاستعمار بمرارة الهزيمة طالما كانت هذه
المشروعات تهدف الى استبعاد شعوب الشرق الأوسط .

والذى يبدو ان هذا المشروع ان لم يكن المشرفون عليه انصرفوا كلية
عن التفكير فيه ، فانهم أطرحوه ، وأعلنوا سنة ١٩٥٢ عن مشروع جديد
— يسمى قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط — تنتظم فيها الدول الأربع
صاحبة المشروع الذى رفضته مصر ، مضافا اليها استراليا ونيوزيلندا
وجنوب أفريقيا ، على أن يكون مقر هذه القيادة جزيرة قبرص ..

ولكن هل معنى هذا انه من المحتمل أن تشترك قوات الشرق الأقصى وجنوب أفريقيا — أو بمعنى آخر دول الكومنولث — في الدفاع عن الشرق الأوسط ؟.. أعتقد ان رأى الخبراء فى المحافل الدولية ويؤيد هذا الرأى قادة الحرب الاستراتيجية بأن هذه القوات ستثبت فى الحرب المقبلة بسبب تهديد الصين الشيوعية مما لا يمكنها من ارسال امداداتها الى هذا الميدان — الشرق الأوسط .

فما الذى فكرت فيه الدول الغربية للتغلب على هذا الاشكال ؟.. ادخال مشروع جديد يسمى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط يشمل معظم دول المنطقة تؤيده وتؤازره أمريكا وبريطانيا وتقوم بامداد قوات هذه الدول من عتاد وأسلحة الولايات المتحدة . و لو ان هذا المشروع سوف أناقشه أيضا بحثا وتفصيلا فى الكتيب الثانى — ان شاء الله — عند مناقشة مشكلة العرب واسرائيل ، الا انى سوف أتكلم عنه وعن أهدافه وصعابه باختصار فى هذا الباب على اعتبار انه احدى وسائل سد الفراغ فى الشرق الأوسط ..

٢ — مشروع منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (مشروع امريكى)

● المقصود بتلك المنظمة

المقصود بتكوين هذه المنظمة هو تطبيق السياسة والاستراتيجية الأمريكية — بعد فشل مشروع قيادة الشرق الأوسط للأسباب الموضحة فيما سبق — فى منطقة الشرق الأوسط ، تلك السياسة المبنية على تكوين الأتحاف والتكتلات الاقليمية ليست على أسس عسكرية فقط ، ولكن أيضا على أسس سياسية واقتصادية واجتماعية .

ومعنى هذا ان هناك خلافا ظاهرا بين سياستى أمريكا وانجلترا فى الشرق الأوسط وهو كما أوضحته من قبل . وهذا الخلاف يبدو فى ناحية أخرى غير الميدان الاقتصادى هى ناحية الميدان السياسى . فما من حركة وطنية ترمى الى التخلص من النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط

الا وتأييدها أمريكا .. فما من شك ان أمريكا لم تعارض تأميم البترول في ايران ، بل شجعت في سبيل أن ترث بريطانيا في ايران ، ولكن الخطة نجحت في شقها الأول فقط ، ولما أخفقت في الشق الثاني بسبب تدخل الشعب الايراني عادت انجلترا وأمريكا تتفاهمان من جديد في سبيل تحقيق الاستراتيجية العامة .

ولكن لما وجدت الولايات المتحدة انه لا زالت هناك عوامل قلق في معظم بلاد الشرق الأوسط ترجع الى : —

أولا : تدخل الاستعمار في سياسة هذه الدول بما يحقق استغلالها واعدادها للمعونة في الحرب المقبلة .

ثانيا : وجود نظم سياسية رجعية في بعض هذه الدول تحرم في ظلها الشعوب من كل الحقوق وتساق الى الفقر والعوز .

لذلك رأت الولايات المتحدة أن تطبق ما طبقته في دول حلف الأطلسي على دول الشرق الأوسط ولكن الفرق شاسع بين الحالتين لأسباب عدة تتلخص معظمها في عوامل عدم الاستقرار ..

وعلى كل حال حتى يمكن للقارئ أن يعرف ماهية هذه المنظمة من جميع وجوها أود أن أبين ما هي المقومات الأساسية لتكوين أى منظمة في هذه المنطقة أو بصورة أخرى أى تكتل اقليمي في الشرق الأوسط .

● مقومات وعناصر التكتل الاقليمي

عمد بعض الشراح الى ترك معنى الاتفاق الاقليمي بدون تحديد لغرض معين وهو أن يكون واسع النطاق عند التطبيق ولكن لا يدع مجالا للتفريق بين المعاهدات الخاصة باقليم معين أو التي تربط بين دول من اقليم معين .

وخير تعريف لهذا الاتجاه هو ما يفسرها بأنه كل تكتل بين دول أساسه الموقع الجغرافي لتلك الدول أو المصالح المشتركة بينها .

وأهم مقومات الاتفاق الاقليمي هي ما جاءت في التعريف التالي :

« تعتبر اتفاقات اقليمية ، الهيئات الدائمة التى تضم - فى منطقة جغرافية معينة - عددا من الدول تجمع بينها روابط التجاور ، والمصالح المشتركة ، والتقارب الثقافى واللغوى والتاريخى والروحى ، وتتعاون جميعا على حل ما قد ينشأ بينها من منازعات حلا سليما ، وعلى حفظ السلم والامن فى منطقتها ، وحماية مصالحها ، وتنمية علاقاتها الاقتصادية والثقافية » .. « وتزويدها توطيدا وقوة معاهدات دفاعية »

أما أهم العناصر الرئيسية لقيام التكتل الاقليمى هى :

- ١ - أن يكون الاتفاق بين دول متلاصقة جغرافيا .
 - ٢ - أن يكون الاتفاق يتولد منه هيئات دائمة تعمل لتنسيق مبادئ وأهداف المنظمة الاقليمية .
 - ٣ - أن تكون الدول الأعضاء متساوية من حيث السيادة .
 - ٤ - أن يكون الاتفاق جماعى لا ثنائى (بمعنى ان معاهدة ليبيا ليست اتفاقا اقليميا بمعنى الكلمة) .
 - ٥ - احترام النظام السياسى القائم فى مختلف الدول (كما هو الحال فى حلف البلقان الجديد) .
 - ٦ - أن تكون الدول الأعضاء قادرة على تنفيذ الالتزامات قبل المنظمة نفسها .
 - ٧ - أن تكون مجموعة الدول الأعضاء من القوة المادية ما يمكنها من توجيه السياسة الدولية حسبما يتفق ومصالح المنظمة نفسها .
- وهذه العناصر أساسية لقوة المنظمة الاقليمية ومن تحليلها يمكن معرفة - حتى اذا ما تغلبت الدول الغربية على العقبات التى تعوق قيام المنظمة - مدى قوة منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ..

● حالة دول الشرق الاوسط والمنظمة المقترحة

اننا لو نظرنا الى خريطة الشرق الأوسط لوجدنا أن هناك كثيرا من الدول الواقعة بين الباكستان وليبيا وهذه الدول متلاصقة جغرافيا ولكن

لكل منهما صفات وخصائص تنطبق عليها وحدها . فمنها ما يتمتع بالاستقلال الكامل وبعضها نال استقلاله تدريجيا أو هي في سبيل ذلك وكان ولا يزال بعضها خاضعا للاستعمار أو تنقصه السيادة .. الا ان أكثرها قد بلغ النضوج ونيل الاستقلال السياسى ومعظمها فى الواقع لا يزال ينقصه الاستقلال التام أو السيادة التامة ولذلك فان هذه البلاد فى شغل شاغل لادراك هذه السيادة أولا .

ومعنى ذلك عدم توفر عنصرى المساواة فى السيادة والقدرة على تنفيذ الالتزامات قبل المنظمة ..

كما ان دول هذه المنطقة أو بينها البعض لا تتمتع بمواصلات داخلية جيدة — وقد يجوز أن يكون سبب هذه السياسة هو الاستعمار بذلك حتى لا ترتبط الدول ببعضها وتكون قوة — وهذا مما يضعف أهمية التجاور الجغرافى وتبادل المصالح المشتركة .

من هذا يتضح انه اذا أريد فعلا تكوين منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط يجب أولا توفر المصالح المشتركة وهذه لن تتأتى الا اذا أخرج الاستعمار نهائيا من المنطقة وهنا يمكن لحكومات هذه الدول تؤيدها شعوبها أن تجتمع وتعتد بينها اتفاقا اقليميا على أساس سليم .

ملحوظة : يعتبر ميثاق الجامعة العربية أصلح اتفاق تتوفر فيه عناصر الاتفاق الاقليمى خاصة بعد تقويته بمعاهدة الضمان الجماعى وبعد ان أصبح شعائر شعوبها ان لا استعباد بعد اليوم وهو شعار دائم لن يموت ...

● المراحل الغربية لتكوين منظمة الشرق الأوسط

كما سبق القول بأن الولايات المتحدة هي صاحبة هذا الاقتراح وأول ما بدأت فى الاشارة اليه بوسيلة الاتصال الدبلوماسى عن طريق سفرائها فى دول الشرق الأوسط أعقبتهما بعدة زيارات لهنرى بايرون ثم زيارة حول تكوين هذه المنظمة المقترحة ..

وقد صرح دلاس فى أكثر من مناسبة « بأنه من الضرورى انشاء منظمة اقليمية للدفاع عن الشرق الأوسط ، فلا شك ان مما تنوء به كل دولة

بمفردها في هذه المنطقة أن تنشئ بنفسها الإدارة الدفاعية الكافية ، والنظام الجماعي أقل ثقة وأكثر مدعاة الى الاطمئنان ، وليس لدى أية فكرة محددة عن مثل هذه المنظمة ، على انى آمل أن يكون هناك نوع من التقدم في طريق الأمن الجماعي » .

وهو يقول ان السبيل الأمثل لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط أن تقتنع شعوب هذه المنطقة بأهمية ذلك الدفاع وضرورته وان تتحمل هذه الشعوب وحدها وفي حرية مطلقة مسؤولية هذا الدفاع ..!

وهذه أقوال جديرة بالتأمل والتمعن فنلاحظ : —

أولا : ان الاقتناع بأهمية الدفاع وضرورته لا يتحقق الا اذا عرف الآخذون بأسبابه المغرض منه ..

ثانيا : كانت هناك مصلحة مشتركة حيوية تعود عليهم من ورائه في اجتلاب خير أو دفع ضر ..

وعلى ضوء هذه الاعتبارات مثلا وقعت الدول العربية ميثاق الضمان الجماعي العربى .

ولكن افكره قد تنقلب الى مبعث خطر اذا كان من المشتركين في المنظمة الدفاعية اعضاء عليهم التزامات محدوده نحو منظمة اخرى بحيث اتخذوا موقفا خاصا ازاء السياسة الدولية يجعلهم يميلون الى جانب على حساب الآخر ...

ونحن نوافق وزير خارجية امريكا اذ يرى ان تتحمل شعوب الشرق الاوسط وحدها وفي حرية مطلقة مسؤولية هذا الدفاع وذلك يتطلب في رأينا شروطا لا بد منها ، في مقدمتها ان يقتصر تنظيم الدفاع على اهل الاقليم وحدهم مع التحفظ المشار اليه عاليا ، اذ انه لا معنى لاشتراك دول خارج المنطقة الا بعد أن نعرف تحديدها بصورة واضحة وعلى أساس التجانس في الاهداف القومية بصفة خاصة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فالحرية المطلقة التى يتحدث عنها الوزير لاغنى عنها مطلقا ، والسبيل لذلك ان تتحرر بلدان الشرق الاوسط تماما من النفوذ الاجنبى ، وأن ادعاء الدول الغربية بانها على استعداد للتفاهم

على مواجهة الاهداف الوطنية للعرب اذا أمكن الاتفاق على تنظيم الدفاع
شرط ينطوى على ضغط تنففى فى ظله الحرية الواجبة

فاذا ما فهمنا المسألة على هذه الوجوه المتعددة التى أوضحناها بايجاز
أصبح الدفاع المنبعث من ارادة الشعوب والمتفق مع مصالحها الحيوية
وسيلة فعالة لتحقيق السلام والحرية والرفاهية للبشر جميعا ، لا لفريق
منهم فقط بصورة تخدم مصالحه وأهدافه الذاتية ..

● انهيار مشروع منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط :

نتيجة لكثرة العقبات الحالية — وقد تكون منها عقبات مزمنة
كمشكلة إسرائيل واللاجئين — سلم رجال السياسة الدولية وخبراء
الاستراتيجية فى الحكومة الأمريكية بأن فكرة عقد ميثاق الدفاع عن
الشرق الأوسط قد ماتت وقضى عليها أو على الأقل وضعت على الرف
الآن وذلك لمسألتين حيويتين من وجهة نظرهم هما : —

١ — شدة النزاع القائم بين مصر وبريطانيا حول مشكلة قناة
السويس .

٢ — شدة النزاع الأبدى بين العرب واسرائيل .

وعلى هذا فقد قرروا بذل الجهود فى المحافظة على سلامة المنطقة
وذلك بواسطة البحث عن مشروعات أخرى جديدة قد تؤدى فيما بعد
— بفضل سياسة توازن القوى — الى الوصول الى منظمة الدفاع عن
الشرق الأوسط وهذه المشروعات الجديدة تتلخص فى الآتى بعد :

أولا : مشروع الدفاع عن شمال الشرق الأوسط يضم دول النطاق
الشمالى وقد تشمل العراق .

ثانيا : محاولة عقد موثيق ثنائية منفصلة مع الحكومات صاحبة
الشأن تظهر هذه الحكومات بمقتضى هذه الموثيق بقدر من الأسلحة
والمعونة الاقتصادية وهذه الدول المعنية بالأمر بعضها مرتبط بميثاق
الجامعة العربية بل ومعاهدة الضمان الجماعى .

ولذلك سوف أناقش هذين المشروعين فى الأجزاء الباقية من الكتيب .

٣ - مشروع الدفاع عن شمال الشرق الأوسط

من الأخبار العالمية التي دوت دويها وأقلقت أكثر الدول الآسيوية (الهند والصين) وتقلقنا هنا في مصر وفي سائر الدول العربية تلك الأنباء التي ذاعت عن قرب عقد حلف جديد يضم دول شمال الشرق الأوسط وذلك بغرض انشاء خط دفاعي خارجي يضمن سلامة حقول البترول في الشرق الأوسط وقناة السويس .

وقد بدأت الدوائر الغربية وتتزعما الولايات المتحدة ، وذلك بعد ان يئست من موافقة دول العرب على حلف الشرق الأوسط ، بدأت هذه الدوائر التفكير في انشاء حلف جديد يضم الباكستان وتركيا وايران وربما العراق على أن يكون هذا الحلف كخطوة أولى لتكوين منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وقد بدأت فعلا تركيا تتقرب الى ايران بصورة أكدت ان هناك فكرة الى تدعيم العلاقات بين البلدين وأعلن بايار رئيس تركيا عزمه على زيارة ايران ورحب زاهدي به بعد أن بدأ يتعاون مع أمريكا تعاونا ملحوظا وبعد أن ظهر جليا ان زاهدي يرحب بهذا الاتجاه الجديد لتدعيم مركزه ومنع الكارثة الاقتصادية .

ويرى المراقبون الدبلوماسيون انه وان لم يبرم بعد اتفاق بين الولايات المتحدة والباكستان حول هذا الحلف المقترح — وذلك على اعتبار أن تكون الباكستان نواة لهذا الحلف — الا ان الظواهر تؤيد الواقع اذ لا دخان بلا نار . فليس بخاف أن الولايات المتحدة تود ضم الباكستان بجيشها الممتاز وقواعدها الجوية ذات الموقع الاستراتيجي الى بنيان الدفاع عن الشرق الأوسط أو بصورة أدق على جزء من نطاق دول العالم الحر كما تعتقد أمريكا بذلك . وهذا ينطبق على غرب الباكستان فقط فالنصف الشرقي من البلاد يعتبر ضمن استراتيجية جنوب شرق آسيا . أما المحادثات والاتصالات الدائرة حتى وقت كتابة هذه السطور فيقال عنها انها غير رسمية وتدور حول البحث في امكان وضع برنامج كبير لمعونة الباكستان عسكريا على غرار المعونة التي قدمت لتركيا .

● سبب تركيز سياسة الولايات المتحدة في الباكستان

ويؤيد دنو الولايات المتحدة من الباكستان رأى كبار الخبراء الأمريكيين في ان الدفاع عن الشرق الأوسط ضد الشيوعية لا يمكن تركيزه — على الأقل في الوقت الحاضر — في الدول العربية حيث انها مشغولة حاليا بنضالين أولها نزاع مع بريطانيا والآخر صراع ضد اسرائيل . وبالإمكان حسم المنازعات القائمة بين الدول العربية وبريطانيا أما كفاحها المبرر ضد اسرائيل فيبدو ألا نهاية له .

وأمام هذا فان جمع الدول العربية في دفاع مشترك عن الشرق الأوسط ضد الشيوعية أمر عسير ازاء هذه الظروف ان لم يكن مستحيلا وعليه فمن الضروري أن تبني المنطقة على بلاد تقدر الخطر الأحمر تقديرا في محله ، أى تركيا وايران والباكستان . فتركيا وايران ذات حدود مشتركة مع حدود الاتحاد السوفيتي . كما تقع الباكستان مباشرة وراء سلطان روسيا عبر ممر خيبر ، ويظهر ذلك واضحا في التصريح الأخير لرئيس وزراء الباكستان الذي قال :

« اذا كانت الباكستان ترغب في الحصول على عون عسكري فما ذلك الا لانها تريد الدفاع عن حريات ثلاث ترى انها ضرورية لكيانها وهي حريتها الاقتصادية وحريتها السياسية وحريتها المذهبية ... وان ذلك يقتضي ان تكون اقوياء ، لان ضعف اية دولة يؤدي الى الشعور بوجود فراغ ويشير رغبة المعتدين في احتلال هذا الفراغ » .

ولقد صار تقوية قوات تركيا المسلحة الى حد كبير بفضل معونات الولايات المتحدة المستمرة . أما جيش الباكستان الذي يتألف من ربع مليون جندي منظم في ١٣ فرقة فيعتبر ذا درجة ممتازة الا انه في حاجة الى تجهيز حديث .

ويوجد على مقربة من كراتشي ميناءان جويان من الدرجة الأولى أحدهما عسكري والآخر مدني وكلاهما على استعداد لاستيعاب الطائرات النفاثة . وهذان المطاران قد يصبحان امتداد لشبكة القواعد الجوية البريطانية — الأمريكية الحالية .



الحلف المقترح لدول شمال الشرق الاوسط

وبذا يصير في الامكان تحويل الباكستان سرعيا الى برج زاوى مقابل
لتركيا . على ان ايران تعتبر نقطة الضعف في تلك الفكرة القائلة بايجاد
جبهة دفاعية على الخط الخارجى للشرق الاوسط وستظل ايران ضعيفة
الى حين . غير انه مع تقوية تركيا والباكستان في الجناحين تستطيع قوات
من هاتين الدولتين ان تخف الى نحدة ايران عند الضرورة .

وهنا يمكن القول بأن الباكستان في قيامها بهذا الدور تعتبر انها وقد قامت بدور تاريخي ، فلقد طالما كان الجيش الهندي موردا للاحتياط الاستراتيجي في الدفاع عن الشرق الاوسط لما كانت هذه المسؤولية تقع على عاتق بريطانيا وحدها ...

ولكن مثل هذا الاجراء يثير عديدا من الأسئلة تتلخص في : —

ما هو موقف روسيا ازاء هذا الاتجاه الجديد ؟

ما هو موقف الهند تطبيقاً لمبدأ توازن القوى ؟

هل حقيقة ان العراق ستقبل الانضمام لهذا المشروع ؟ وهل التزامها

قبل الضمان الجماعي العربي يسبح لها ذلك؟..

ألا يعتبر قبول الباكستان هذا المشروع أو ما يماثله من أى مخالفة

عسكرية وسيلة لضمها الى حلف الأطلسي؟

ما هو موقف الدول العربية ازاء هذا الاتجاه وازاء أملها في الباكستان

كدولة صدقة اسلامية ؟

أى كفة ترجح فى منطقة الشرق الأوسط : الحىاء أم التحالف مع الغرب ؟

وهذا جزء من كثر من الأسئلة سأحاول الاجابة عنها بكل اختصار :

● موقف الباكستان من المشروع :

تقوم النظرية التى تعتقها دولة الباكستان على أساس العمل على تأمين سلامة العالم الحر بكل الطرق والوسائل الممكنة ومنها عقد الاحلاف والمواثيق والانتظام فى سلك الاتحادات الاقليمية . وهذا هو مادعا الولايات المتحدة ، ازاء الظروف العصبية التى تعترض سياستها وأهدافها فى منطقة الشرق الأوسط ، فى أن تطمع فى انشاء حلف عسكرى على مشارف الشرق الأوسط تشترك فيه الباكستان ويضم فيما بعد تركيا وايران وربما بعض الدول الشرقية الأخرى حتى تتماسك لها حلقة الدفاع عن العالم الحر ..

ومما يؤيد هذا القول هو التصريح الذى أدلى به حاكم الباكستان السيد غلام محمد عندما وجه اليه السؤال الآتى :

« ما رأيكم فى قيام اتحاد بين دول الشرق الاوسط الاسلامية على نمط الكومنولث ؟ ... فأجاب قائلاً

« ارى أن التكتل بين الدول يزيد من قوتها ... ولا شك أن الدول الاسلامية لو توحدت فى نظام يجمعها لاصبحت قوتها الدولية لا تقل عن قوة كل من الكتلتين الشرقية والغربية ... »

ولكن ما يدعونى الى القول بأن الباكستان تؤيد فكرة الدفاع عن العالم الحر هو أن حريتها السياسية والمذهبية التى صرح بها رئيس وزرائها تتعارض تمام التعارض مع مبادئ روسيا السوفيتية ، فهى دولة اسلامية لا يمكن أن تميل الى كتلة الدول الشيوعية التى تقوم على تدعيم الاتحاد .. وقد يكون ذلك سببا فى أن الباكستان قبلت التفاوض فى معونة الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا على أساس المبدأ القائل بأن عدو عدوى يعتبر بمثابة صديقى ..

وقد صرحت معظم الدوائر المسؤولة في الباكستان في أكثر من مناسبة بأنه ليس ثمة محل في الوقت الحاضر لقبول الباكستان فكرة التنازل عن قواعد لأمريكا وأن زيارات وزير خارجية الباكستان الأخيرة لمعظم دول الشرق الأوسط ، أخطرت بها الدول العربية على انها ذات طابع اقليمي .. ولكن ماذا يمكن استنتاجه من هذه الزيارات وخاصة انها بدأت بتركيا فايران ثم انتهت بسوريا ولبنان وشرق الأردن !..

حقيقة قالت الباكستان أن تلقى العون الأمريكي لا يعنى اعطاء الولايات المتحدة قواعد جوية أو عسكرية في الباكستان مقابل هذا العون أو عقد حلف عسكرى معها .. هذا على أساس الباكستان دولة حرة مستقلة ذات سيادة .

ولكن ما معنى قول السيد ظفر الله خان أثناء زيارته الأخيرة : «أستطيع أن أؤكد بأنه ليس لدينا أى خطة لمنح قواعد عسكرية لأية دولة أجنبية وعلى كل حال فالباكستان دولة حرة مستقلة ومشاكلها تعنيها وحدها وليس لأحد حق التدخل في السياسة التي تراها لازمة لمصالحها الخاصة » فهل هو يقصد الرد على احتجاجات الهند وموسكو والصين على المشروع الأمريكي والمعونة الأمريكية للباكستان ؟.. أم هو يؤيد تقوية الدفاع الباكستاني ضد احتمال العدوان الروسى في هذه المنطقة التي تعتبر بوابة لشبه القارة الهندية .. قد يمكن للقارئ أن يخرج بخلاصة أقرب الى الحقيقة حينما يتمعن التصريح الذى أدلى به رئيس وزراء الباكستان الذى قال فيه بأنه لم يدر أى تقاش عن التزامات من جانب باكستان أكثر من التعهد بأننا سندافع عن بلادنا ..

ومن الطبيعى أن هذا التعهد كان لأمريكا وإن الدفاع عن البلاد هو ضد العدوان السوفييتى المحتمل ..

● موقف روسيا ازاء هذه السياسة

اتهمت روسيا الباكستان بأنها تتفاوض مع الولايات المتحدة لمنحها قواعد عسكرية في بلادها ، وقالت انه من الواضح ان منح قواعد

عسكرية على بعد آلاف الكيلومترات من أمريكا لا يمكن أن يحمل الطابع الدفاعي . وان قيام باكستان بمثل هذا الاجراء لا يمكن الا أن يسىء الى الجو الدولى والى مبدأ توازن القوى فى المنطقة واستشهدت روسيا بتصريح الرئيس ايزنهاور الذى قال فيه « ان مسألة المساعدة العسكرية والاقتصادية للباكستان نظير استخدام القواعد العسكرية فى بلادها ، لم تبحث بالتفصيل » .

وفى هذا التصريح — كما تدعى روسيا — دلالة واضحة على ان المسألة قد بحثت !.. وأعلنت رأيها بهذا الخصوص بأن أى بلديمنح أمريكا قواعد عسكرية سيفقد بالتدريج استقلاله وسينتهى الأمر به الى أن يصبح خاضعا للمصالح الأمريكية — وتركيا أقرب مثل ذلك .

وكان رد الباكستان على هذا أنها تعرض قواعد على أية دولة أجنبية وان أى قرار تتخذه فيما يختص بفكرة التحالف فسيقوم على أساس انها دولة تتمتع بالسيادة المقامة .

ولكن روسيا أرادت أن تستغل هذا الموقف فى صالح سياستها باثارة جارة الباكستان — الهند — وعرضت على حكومة الهند التفاوض معها بشأن برنامج التزويد الهند بالأسلحة السوفيتية وأن أفضل طريقة لحماية حدود الهند ضد المعاهدة الباكستانية هى عقد معاهدة للامن المتبادل بين الهند وروسيا ، وذلك تطبيقا لمبدأ توازن القوى فى منطقة الشرق الأوسط .

● الهند تهدد وتنفذ

ترى الهند ان اهتمام الولايات المتحدة بمركز الباكستان الاستراتيجى من شأنه أن يؤدى الى تعزيز وسائل الدفاع فى هذه البلاد التى توترت علاقاتها بالهند منذ استقلالها ، وتقول بأنه ليس فى الامكان الاحتفاظ بالصلات السلمية بين الدولتين ما لم يظل ميزان القوى العسكرية بينهما متعادلا نسبيا ، وان تنفيذ العون الأمريكى يؤدى الى الاخلال بهذا التوازن الحالى .

وكان رد الولايات المتحدة على هذا الادعاء أن الغرض من عقد ميثاق عسكري مع الباكستان — اذا حدث ذلك — سوف يكون تأمين سلامة العالم الحر لا تهيئة الجو للاعتداء على سيادة دولة مجاورة .

وهنا وقف نهرو يقول ان الهند ترقب الموقف باهتمام وحزم . وهو يرى ان مشروع الميثاق الحربى الأمريكى لن يزيد الفرص التى تتاح أمام الشعوب لتوطيد أركان السلام العالمى ، بل ينقصها فى هذه المنطقة الهامة من العالم . وان هذا الاتفاق سيغير من روح ونصوص وأهداف الاتفاق الذى عقد فى أغسطس الماضى بين الدولتين حول كشمير .

وهكذا اصطدمت نظريتان متعارضتان فى شبه القارة الهندية ، فالنظرية التى تعتنقها الهند وتروج لها فى آسيا والشرق الأوسط تدعو الى الحياد والابتعاد عن السير فى ركاب أى من المعسكرين ، على حين تدعو النظرية السياسية التى تعتنقها الباكستان الى العمل على تأمين سلامة العالم الحر .

ولكن الهند تعلم ان أمريكا لا تجرؤ على المخاطرة بمعاداتها بدون مبرر ، وأن الباكستان لن تستخدم قواعدها فى العدوان عليها . ورغم ذلك فهى قلقة وهذا القلق له ما يبرره الى حد ما ، فهى تخشى أن يؤدى هذا الميثاق الى خلق حالة من التوتر لأن المعسكر الشرقى سوف يعتبر هذا الاجراء عملا عدائيا موجها ضده ، وعندئذ قد يضطر هذا المعسكر الى اتخاذ خطوات واجراءات مضادة فتتعرض سلامة الهند للخطر .

موقف العراق ازاء هذا المشروع

كثرت الشائعات عن ان دول الغرب ترغب فى ضم العراق الى هذا الحلف والوقوف الى جانبها ضد الشيوعية ، ولكن اعتقاد كل عربى حر يجزم بأن العراق لن تشترك فى هذا الحلف اذا بقيت دول الجامعة العربية بعيدة عنه . لأن العراق دولة عربية بدمها وروحها وتستمد من عروبتها حياتها وكيانها وقواتها ولا يسعها التنصل منها الا اذا أرادت الانتحار وما من أحد فى العراق يريد هذا المصير واذا وجد جرفه الشعب

أمامه جرفا . فقد آمن الجميع ، حكومات وشعوبا ، بأن طريق العرب وسبيلهم الى نيل كل حقوقهم في وحدتهم وتضامنهم وتماسكهم واتحاد كلمتهم .

ولذلك فان ما ذكرته هذه الاشاعة الخطيرة مستحيل الوقوع وان الغرض الوحيد من ذكرها هو بلبلة الخواطر واثارة المخاوف والشكوك بين العرب ، خاصة وانها أثبتت أثناء انعقاد اللجنة السياسية للجامعة العربية في بيروت لاعلان كلمة العرب الموحدة حول عدم تفاوض الأردن مع اسرائيل .

وأخيرا أود الاشارة بأن العراق مرتبطة مع دول الجامعة في الميثاق الخاص بالضمان الجماعي فارتباطها مع دول اجنبية غير مباح الا باستشارة الدول الأعضاء في الجامعة والا ارتبطت الجامعة العربية بأكملها في هذا الحلف بالتبعية هذا اذا سكنت على هذا الاجراء . اما اذا لم تسكت فهي اما ان تمنع العراق من هذا الاجراء او تضطر ازاء ذلك الى اخراجها من الجامعة العربية .

ولكن العراق دولة عربية وان الدول العربية جميعها كتلة واحدة تربطها أكثر من رابطة وتجمعها جامعة الدول العربية وليس من المعقول او الحكمة أن تقوم حكومة عربية او يرضى شعب عربى بعمل من شأنه ان ينال من هذه الرابطة او يجعل للتفرقة سبيلا الى صفوفها .

فسياسة العراق الخارجية تستند الى ميثاق الامم المتحدة من ناحية العلاقات الدولية وبميثاق الجامعة العربية والضمان الجماعي من ناحية السياسة العربية والتحالف العسكرى .

● النتائج التى تترتب على عقد المحالفة العسكرية مع الباكستان

قد يجول بخاطر القارئ سؤال بعد هذه المناقشات فى أى طريق تسير الباكستان ؟ . . والاجابة المؤكدة أن هناك نوعا من العون الاقتصادى والعسكرى الأمريكى سوف يرسل الى الباكستان فى القريب العاجل . ولكن هل سيكون ذلك بلا ثمن يعود على امريكا ؟ المنطق يجيب بأن

الباكستان اذا قويت وتحالفت مع تركيا فيمكن من قواعد البلدين تهديد المصانع السوفيتية في المناطق الوسطى والجنوبية من سيبيريا ، كما انها تعتبرها ردا على المطارات التي قام الروس بانشائها في آسيا الوسطى والتبت ••

أما من جانب الباكستان فبعض الدوائر المسئولة فيها تسخر من الآراء القائلة بالتزام الحياد في هذا العالم المتشابك الذي أصبح بعضه معتمدا على البعض الآخر كما تقول بأنه من المرجح كثيرا أن لا يتمكن بلد ما من البقاء على الحياد ولذلك لا معدى من الانضمام الى العالم الحر •

والنتائج المترتبة على هذا المشروع - لو تحقق - تتلخص في الآتي :

● انشاء جبهة جديدة معادية لروسيا في صميم الشرق الاوسط ولا ينقص تكملة هذه الجبهة الى بضم مصر وهي رأس المثلث - الباكستان - تركيا - مصر - الى الحلف وهذا ما لن تقبله مصر ازاء السياسة العدوانية التي تقابلها بها الدول الغربية •••

● لذلك تصر مصر وتتبعها سائر الدول العربية على سياسة الحياد التي أعلنتها او اندرت بها أخيرا •••

● تحس الهند انها في عزلة او انها مهددة من جارتها الباكستان ويغلب على الظن انها تتمادى - حين ذلك - في التزامها سياسة الحياد ، بل ربما تجاوزتها الى تمكين وتنمية علاقاتها مع جارتها الخطيرة الصين الشيوعية وكذلك روسيا وربما اثر ذلك على علاقتها بالكوهونولث البريطاني •••

● تحفر امريكا بهذا الشكل هوة بين الدول الشرقية الاسيوية وبين الدول العربية ••••

ومن الطبيعي أنه اذا كان هذا هو اتجاه امريكا فما لا شك فيه أن بريطانيا ليست الا شريكة في هذا الاتجاه الجديد ••

وبالرغم من هذا كله ، وعلى فرض أن هذا الاتجاه يمكن للدول الغربية أن تحققه في صورة معاهدة ثنائية مع الباكستان بأية صورة من الصور • فإن تجاهلها للاماني القومية العربية يخلق ثغرة خطيرة في قلب

الشرق الاوسط وفي شرق البحر الابيض تظل مهددة لخطوط الحلفاء
ولن تسد هذه الثغرة الا اذا تحققت مطالب الدول العربية •
والا فلن تظهر جبهة الديموقراطية بأية مساعدة او نجدة أو محالفة
أو معاهدة مهما كانت الظروف ومن يعيش يرى .

٤ - الاتفاقات الثنائية

مقدمة :

هكذا وجدنا الولايات المتحدة تحاول اقامة حلف عسكري تكون
باكستان نواته ويضم دول شمال الشرق الاوسط • ورغم أن هذه
المحاولة كذبت اكثر من مرة ، الا أن أدلة كثيرة قامت تؤيدها منها الهياج
الذي أحدثته كما ظهر لنا في روسيا والهند والتكذيبات التي صرح بها
ساسة الدول المعنية بالامر • ثم زيارات ظفر الله خان الاخيرة لم تجيء
مصادفة بل لابد من وجود مسببات لها ••

نعم أن ظفر الله خان أعلن أن دولته لن تنضم الى أى حلف الا بعد
استشارة العرب ولكن زيارته لدمشق وعمان ألا يمكن أن تكون مقدمة
لهذه الاستشارة او لجس النبض على الاقل ؟ ••

وكما ظهر لنا من خيوط هذا المشروع أن أمريكا وضعت خطتها على
ضرورة تدعيم القوة العسكرية في تلك الرقعة الاستراتيجية التي يطلقون
عليها أطول وأخطر ثغرة في جبهة العالم الحر وهى تلك الرقعة الفسيحة
التي يتحكم فيها النفوذ الاسلامى والتي تمتد على شكل نصف دائرة من
تركيا الى الباكستان •

ويمكن وصف الخط الدفاعى الأمامى بخط جناحه الأيمن في
الباكستان واليسر في تركيا وتود الكتلة الغربية أن تعطى هذا الخط
عمقا مناسباً يسمح بالمناورة فيتغلغل في العراق والمملكة العربية السعودية
وربما باقى أو بعض البلدان العربية اذا قبلت المساعدات الأمريكية ••
وبذلك يعتبر هذا الخط امتدادا لخط الدفاع البلقانى وتصبح تركيا
حلقة الاتصال بين أوروبا وآسيا •

فلما وجدت الدبلوماسية الأمريكية أن مساعيها أخفقت بسبب معارضة حكومات البلاد العربية لاي ارتباط في دفاع مشتركة الا اذا حلت قضاياها وتحققت امانها القومية أولا ، صممت هذه الدوائر على تغيير الخطة وذلك عن طريق محاولة التفاهم مع كل دولة على جدة وعقد معاهدات ثنائية معها ♦♦

● نقض الاتفاقات الثنائية

ان اقتناع الولايات المتحدة بهذه السياسة الجديدة يعتبر ايمانا منها بنجاح السياسة البريطانية التقليدية المبنية على هذا النوع من الاتفاقيات فهي تعتقد أنها بهذه الخطة يمكنها أن تجعل المنطقة منطقة نفوذ لها ولحليفها في الحرب المقبلة ♦ ولعل بريطانيا تكون قد اقنعتها بهذا الرأي في اجتماع برمودا الاخير وضربت لها مثالا في أنها كيف تمكنت من السيطرة على المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية بموجب هذا النوع من الاتفاقيات ♦ ولكن الوقت تغير والشعوب تطورت والعقول تنورت والدول العربية متحدة ♦♦

ومن عيوب هذا النوع من الاتفاق أن الغلبة فيها للاقوى وتعتبر بمثابة معاهدات الحماية ♦♦

ألا يكون لهذا الاتجاه الجديد فكرة ترمى الى تمزيق وحدة العرب وجرف كل من حكومات الدول العربية في اتجاه مخالف للآخرى بحيث تتفرق اشتاتا وبذلك يمكن للكتلة الغربية أن تفرض سيادتها من جديد .. وهل الثمن الذي ستدفعه أى دولة من الدول العربية — اذا ما اتفقت مع الولايات المتحدة فرادى — يساوى ما ستقبضه منها ؟ ♦♦

وعلى كل حال يمكن تفسير هذا الاتجاه بأن الكتلة الغربية تريد قواعد جديدة لها في المنطقة لسد الفراغ الموجود بها كخطوة أولى يتبعها فيما بعد الضغط على الدول الاخرى لتكوين منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ♦♦♦

قررت الولايات المتحدة محاولة عقد موثيق منفردة في منطقة الشرق الاوسط بمفاوضة بعض دول المنطقة لتقبل توقيع موثيق منفصلة لاعانتها بالأسلحة الأمريكية .. وهذه الدول على أنواع كالآتي :-

١ - إيران : اتخذت أمريكا قرارا عاجلا للمبادرة بارسال الاسلحة الى ايران لوقوعها ضمن المنطقة التي تعتقد أنها مهددة بالغزو الروسي المفاجيء ولسابق ارتباطها مع أمريكا باتفاقية للمساعدة العسكرية .

٢ - الباكستان : ترى أمريكا أن الباكستان هي مفتاح الموقف لان برنامج مساعدتها سيكون برنامجا كبيرا أساسيا بسبب حاجاتها ومقدرتها الكبيرة على تعبئة الايدي العاملة ولاعتقاد الولايات المتحدة بأن الباكستان تعد بمثابة حاجز ضد الشيوعية . والدلائل تجزم بعزم أمريكا الاكيد لملء الفراغ القائم حتى ولو خاطرت باثارة غضب الهند .

٣ - العراق والمملكة العربية السعودية : فأمریکا تعتقد أن الدولتين مهددتان تهديدا مباشرا ، والاولى مرتبطة بمعاهدة دفاعية مع بريطانيا والثانية على علاقات جيدة مع أمريكا نفسها . فقد تتقبل هذه الدول العون الامريكى . ولذلك قدمت الولايات المتحدة الى المملكة السعودية مشروع البرنامج العسكرى المراد تنفيذه ، وهى فى الوقت نفسه واثقة من امكان الوصول الى اتفاق فى هذا الشأن مع العراق وربما تكون زيارة ظفر الله خان تمهيدا لذلك .

٤ - مصر وسوريا ولبنان : وليست فى الولايات المتحدة الآن مشروعات عاجلة بارسال معونة حربية الى هذه الدول لانها ليست فى طريق أى غزو روسى مفاجىء ولهذا لا يهتم بحاجتها الساسة الامريكيون كما يهتمون بحاجات البلاد الاخرى ، وقد يكون البترول وكشرفته فى العراق والمملكة السعودية هو سبب اهتمام امريكا بهما عن باقى الدول العربية . وقد يكون عدم الوصول الى تسوية النزاع بين مصر وبريطانيا

سببا في عدم ارسال المعونة الامريكية (وعلى كل حال فسوف اناقش هذا الموضوع تفصيلا في الكتيب الثاني باذن الله) •

٥ — اسرائيل : يقول رجال الحكومة الامريكية ان أى مساعدة أمريكية جديدة بالاسلحة الى اسرائيل سيثير اعتراضات العرب وتعرض المفاوضات الدائرة الآن مع بعض الحكومات الاسلامية للخطر ، هذا فضلا على أنهم يدعون ان قوات اسرائيل مسلحة تسليحا جيدا الى حد ما •• ويمكننا أن نستخلص من هذا الموقف عدة حقائق أهمها : —

أولا : أن الكتلة الغربية تسعى الى التفرقة بين دول الجامعة العربية •
ثانيا : اذا ما نجحت في خطتها يمكنها ضم هذه الدول وتنسيق مجهوداتها في حلف اقليمي •

ثالثا : تأمل بعد هذه الخطوة أن تجد الدول الباقية من الجامعة العربية نفسها امام الامر الواقع فتقبل الاتفاق مع الغرب •

رابعا : أن الدول العظمى مجمعة على التضحية بأرواحنا وأموالنا وبلادنا في سبيل أغراضها الخاصة تحت ستار الدفاع عنا •
ولكنني آمل عدم الازعان لهذه الارادة ولا نضحي بأى شيء في سبيل الغرب الا اذا كانت لنا مصلحة في تلك التضحية •

وسبب اهتمام الولايات المتحدة بهذه الخطوة الجديدة ، قد يرجع الى أن بريطانيا همست في أذنها بأن هناك دول قد تقبل أن تقوم في أراضيها قواعد عسكرية وقد تقبل هذه الدول أن تساعد في العناية بتلك القواعد فضلا عن تقديم تسهيلات في موانئها ومطاراتها للقوات الغربية •• فالمسألة اذن تطورت لتكون أولا مسألة قواعد فحسب •

موقف قواعد الشرق الاوسط من مشروعات الغرب الدفاعية :

قلنا ان امريكا تمكنت من السيطرة على تركيا والتدخل في توجيه سياستها الخارجية وهي ترغب في استمالة الباكستان اليها على اعتبار أنها ستكون نواة منظمة الشرق الأوسط وقد ينضم اليها عدد من دول

المنطقة لانها أول دولة نادت بالكتلة الاسلامية • ورأس المثلث الباقي
هى منطقة قناة السويس •

وداخل هذا المثلث توجد ينابيع الزيت الوفيرة وهى أكبر ثروة بالنسبة
للشرق الاوسط •• وترى الاوساط الغربية اعادة النظر فى مشروعاتها
الدفاعية عن منطقة الشرق الاوسط على ضوء هذه الاعتبارات الموضحة
بعاليه وعلى ضوء التعاون القائم حاليا بين دول حلف البلقان .

وهى ترى فى دول هذا الحلف قواعد صالحة لشن هجمات مضادة
من جبالها فى القسم الجنوبى من أوروبا وفى أوكرانيا ومنطقة بحر قزوين ••
كما ترى أن هنالك من القواعد الوفيرة فى دول سوريا ولبنان واسرائيل
وشرق الاردن والعراق وهى تقول ان هذه البلاد ربما تكون أقل فائدة
كقاعدة من مصر وذلك لانها ليست بها قواعد هجومية (لقربها من
القواعد الروسية) ، ولكن وجود قواعد امامية فى القسم الشرقى من البحر
الابيض وعلى سواحل الشمالية لا يقتضى الاعتماد على قاعدة قنال
السويس الى درجة كبيرة • فهى ترى أن بريطانيا لا يمكن أن تفيد كثيرا
فى حالة نشوب حرب من منطقة القنال ولا حتى من البحر الاحمر •• كما
تذكر أن منطقة قناة السويس من حيث اتخاذها كقاعدة عسكرية ومخزن
كبير للذخيرة واقعة فى مكان ملائم للغاية ولكن أهميتها بدأت تتضاءل
وتقل لان الثقل الاستراتيجى بدأ يتركز فى المناطق الواقعة شمالها فى
مواجهة سواحل البحر الابيض •

الا أن اعتراض كبير على هذه الآراء خاصة من جانب أمريكا
التي ترى أن نجاح مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط يتوقف على
اتفاق بريطانيا ومصر زعيمة العالم العربى وعلى اساس ان مصر تتحكم
فى قنال السويس والاحتفاظ بها كطريق مائى دولى أمر ضرورى للدفاع
عن المنطقة •

وعلى هذا الاساس يمكننى أن أقول ، حتى تنجح أمريكا أو الكتلة
الغربية فى محاولاتها فى خلق قواعد جديدة فى المنطقة لست اظن الحرب

وشبكة الوقوع • فيوم تنشق الارض في الشرق الاوسط عن قواعد عسكرية جديدة سأعترف بأن الحرب وشبكة الوقوع •• ولكن يمكن القول أيضا بأن العجلة التي تدور بالعالم تقترب من الحرب كلما ابتعدت عن السلام وآية فقدان السلام واضحة لهذا السباق العسكرى بين المعسكرين حول القواعد العسكرية وسياسة توازن القوى •

الرد الإيجابي على هذا المشروع هو تدعيم الوحدة العربية

الآن وقد انتهت من توضيح تفاصيل هذا المشروع الأخير لسد الفراغ في الشرق الاوسط من جانب الكتلة الغربية أود أن أختتم هذا الكتيب بكلمة صغيرة فيها الدليل الكافي على العلاج الجاسم والنافع للعرب أولا وإذا اقتنعت بها الدول الغربية فقد تصبح في مصالحها المشتركة ثانيا •

وهذه الكلمة سأنقلها بالحرف عما قاله احد اقطاب الثورة المصرية المباركة وقائد قواتها المسلحة اللواء (ا.ح) عبد الحكيم عامر عندما وجهت الى سيادته أسئلة حول هذا الموضوع ما يشابهه فقال :

((قلت للسائلين عن العراق ان الدول العربية جميعها كتلة واحدة تربطها اكثر من رابطة وتجمعها جامعة الدول العربية وليس من المعقول او الحكمة ان تقدم حكومة عربية او يرضى شعب عربى بعمل من شأنه ان ينال من هذه الرابطة او يجعل للتفرقة سبيلا الى صفوفها • فقد آمن الجميع حكومات وشعوبا بأن طريق العرب وسبيلهم الى نيل كل حقوقهم فى وحدتهم وتضامنهم وتماسكهم واتحاد كلمتهم •

اما عن باكستان فايمانى انه لا يمكن ان تقدم دولة اسلامية على عمل من شأنه التأثير على جميع الدول الاسلامية الا بعد التأكد من مدى الضرر او النفع الذى يعود على الشعوب الاسلامية عامة من جراء هذا العمل •

واننى أؤكد ان تنسيق سياسة الامم العربية والامم الاسلامية اصبح امرا لا مناص منه اذا كان يراد لشعوب هذه الامم العزة والكرامة وان أية موثيق أو ارتباطات لا تقدم على هذا الاساس تسيء الى هذه الدول والشعوب جميعها)) •

ولذلك فإن الحديث عن ارتباطات باكستان أو أية دولة عربية بحلف
غربي أم بعقد ميثاق حربي مع أية دولة أجنبية أمر بعيد الاحتمال لأن
اعتقادي أن الحكومات الحالية للبلاد العربية وهي تمثل رغبات الشعوب
لا يمكن أن تقدم على مثل هذه الخطوات التي تباعد بينها وبين التطور
الطبيعي نحو التعاون الكامل والتآزر الوثيق والاتحاد المتين الذي يجعل من
العرب قوة تستخلص لهم حقوقهم وتجعلهم طاقة كبيرة مؤثرة في ضمان
السلام العالمي وتطور الحضارة . . . »

أليس هذا هو السلام العالمي وتلك القوة التي تنادي بها الكتلة العربية
لسد الفراغ في منطقة الشرق الأوسط . فلماذا إذن تحاول أن تهدم
هذه القوة ؟ • ألا يمكن القول بأنها إذا تمادت في خططها الاستعمارية
العدوانية أن النتيجة ستكون وخيمة العقبات على الغرب •

وأن النصر سيكون بجانب المؤمنين بعون الله . والله ولي التوفيق
والله أكبر والعزة لمصر •

فبراير سنة ١٩٥٤

الملحق (١)

المرفق بالباب السادس

النصوص الكاملة للمعاهدة الليبية البريطانية

نص معاهدة التحالف

المادة الأولى : يسود سلم وصداقة وتحالف وثيق بين الفريقين الساميين المتعاقدين توطيدا لتفاهمهما الودى وصلاتهما الطيبة .

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم اتخاذ موقف ازاء البلاد الأجنبية يتنافى مع التحالف أو يخلق مصاعب للفريق الآخر .

المادة ٢ — اذا اشتبك أى الفريقين الساميين المتعاقدين فى حرب أو نزاع مسلح يهب الفريق السامى المتعاقد الآخر لنجدة كتدبير للدفاع الجماعى مع مراعاة دائما أحكام المادة ٤ .

فى حالة خطر أعمال عدائية داهم محقق بأى من الفريقين الساميين المتعاقدين يتفق الفريقان فورا على تدابير الدفاع اللازمة .

المادة ٣ — يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان بأنه من مصلحتهما المشتركة الاستعداد لدفاعهما المتبادل والتأكد من أن بلاديهما فى حالة تمكنهما من القيام بدورهما فى صيانة السلام والأمن الدوليين . ولهذه الغاية يقدم كل منهما للآخر كافة التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه بشروط يتفق عليها . وفى مقابل التسهيلات التى يقدمها صاحب الجلالة ملك ليبيا للقوات البريطانية المسلحة بليبيا بشروط يتفق عليها ، تقدم صاحبة الجلالة البريطانية مساعدة مالية لصاحب الجلالة ملك ليبيا بشروط يتفق عليها كما سبق ذكره .

المادة ٤ — ليس في حالة هذه المعاهدة ما يرمى الى الاخلال أو يخل بأى حال بالحقوق والالتزامات التى تترتب أو قد تترتب على أى من الفريقين الساميين المتعاقدين بموجب ميثاق الامم المتحدة أو بموجب أى اتفاقيات أو عهود أو معاهدات دولية قائمة بما فى ذلك فيما يخص ليبيا من ميثاق جامعة الدول العربية .

المادة ٥ — تبرم هذه المعاهدة وتوضع موضع التنفيذ على أثر تبادل وثائق الابرام الذى يتم فى أقرب وقت ممكن .

المادة ٦ — تظل هذه المعاهدة نافذة لمدة عشرين سنة الا اذا عدلت أو أبدلت بمعاهدة جديدة أثناء تلك المدة باتفاق كلا الفريقين الساميين المتعاقدين ويعاد النظر فيها على كل حال فى نهاية عشر سنوات . ويوافق كل من الفريقين الساميين المتعاقدين فى هذا الخصوص على أن يتذكر المدى الذى يمكن فيه ضمان السلام والأمن الدوليين عن طريق الامم المتحدة . ويجوز لأى الفريقين الساميين المتعاقدين أن يشعر الفريق الآخر بالطرق الدبلوماسية قبل نهاية مدة تسع عشرة سنة بالانتهاء فى آخر مدة العشرين سنة المذكورة . فاذا لم تنته المعاهدة بهذه الطريقة تظل سارية المفعول مع خضوعها للتعديل « الابدال حتى مرور سنة واحدة بعد أن يشعر أحد الفريقين المتعاقدين بالطرق الدبلوماسية الفريق الآخر بانتهاءها .. »

المادة ٧ — اذا قام أى خلاف على تطبيق هذه المعاهدة أو تفسيرها واذا عجز الفريقان الساميان المتعاقدان عن فض الخلاف بمفاوضات مباشرة ، فان الخلاف يرفع الى محكمة العدل الدولية الا اذا اتفق الطرفان على طريقة أخرى لفضه .

نص الاتفاقية المالية

أما الاتفاقية المالية نفسها كما يلي :

المادة الأولى — ان الغاية من هذه الاتفاقية هى مساعدة ليبيا على التمتع بحالة من الاستقرار المالى ونمو اقتصادى منظم ملائم فيما يخص

ليبيا لادراك الأهداف المشار إليها في المادة الثالثة من معاهدة الصداقة والتحالف المذكورة انفا .

المادة الثانية — لغرض ادراك هذه الاتفاقية تقدم حكومة المملكة المتحدة ، بعد الأخذ بعين الاعتبار حاجة ليبيا بالتشاور مع حكومة ليبيا مساعدة مالية سنوية لحكومة ليبيا لمدة دوام هذه الاتفاقية .

ويدفع في الخمس السنوات المالية من أول ابريل ١٩٥٣ حتى ٣١ مارس ١٩٥٨ مبلغ مليون جنيه استرليني سنويا لمنظمات التنمية الليبية القائمة في أول ابريل ١٩٥٢ أو لمنظمات التنمية الأخرى المؤسسة بعد ذلك حسب ما يتفق عليه بين الحكومتين من وقت لآخر ومبلغ مليونين وسبعمائة وخمسين ألف جنيه استرليني كمساعدة مالية لميزانية ليبيا . وتعتبر المبالغ التي سبق أن دفعتها حكومة المملكة المتحدة بموجب ترتيبات مؤقتة أثناء السنة المالية الحالية قبل وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ دفعت على حساب السنة المذكورة .

وستتعهد حكومة المملكة المتحدة قبل نهاية كل فترة من فترات السنوات الخمس التالية أثناء سريان هذه الاتفاقية بأن تقدم ، بعد الأخذ بعين الاعتبار حاجة ليبيا بالتشاور مع حكومة ليبيا ، مساعدة مالية سنوية حسب ما تتفق عليه الحكومتان لمدة السنوات الخمس التالية .

المادة ٣ — تستخدم حكومة ليبيا ما تدفعه حكومة المملكة المتحدة وفقا لغاية هذه الاتفاقية وبقصد مساعدة حكومة المملكة المتحدة على تقدير المساعدة المالية التي يجب تقديمها أثناء أى فترة من فترات السنوات الخمس التالية تزود هذه الحكومة بنسخ من تقديرات الميزانية السنوية الكاملة كما وافق عليها مجلس الأمة الليبي وبنسخ من التقارير السنوية لمدققي الحسابات الليبيين كما وافقت عليها مجالس التشريع المختصة .

المادة ٤ - أن هذه الاتفاقية خاضعة لدوام ترتيبات العملة الليبية القائمة باستثناء ما تتفق عليه الحكومتان .

المادة ٥ - تكون هذه الاتفاقية خاضعة للإبرام وتظل سارية المفعول لمدة عشرين سنة الا اذا عدلت أو ابدلت باتفاق بين الحكومتين ويعاد النظر فيها على كل حال في نهاية عشر سنوات .

الاتفاقية العسكرية

أما الاتفاقية العسكرية فمؤلفة من ٣٥ مادة ننشر أهمها فيما يلي :

المادة الاولى

توافق الحكومتان على التشاور من وقت لآخر لغرض اتخاذ الخطوات اللازمة والمناسبة للتأكد من بلوغ قواتهما المسلحة الكفاءة اللازمة في التعاون مع بعضهما ومن ايجاد التناسق بينهما في وسائل التدريب والتجهيز والمحافظة على هذا التناسق على قدر الامكان . وتستعمل حكومة المملكة المتحدة وساطتها لتسهيل تزويد القوات المسلحة الليبية بالأسلحة والذخائر والمعدات من المملكة المتحدة حسبما يتطلبه نموها الطبيعي المطرد . ولا شيء في هذه الاتفاقية يلزم القوات الليبية المسلحة بالخدمة خارج الاراضى الليبية .

المادة ١ - تمنح حكومة ليبيا مساهمة منها في اقرار السلم والأمن الدوليين وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حكومة المملكة المتحدة الاذن بالتمتع داخل أراضى ليبيا بالتسهيلات المنصوص عليها فيما يلى لأغراض عسكرية طول مدة هذه الاتفاقية وبموجب أحكامها وشروطها .

٢ - تعترف حكومة المملكة المتحدة مع جانبها بأنه يتحتم على جميع أعضاء القوات البريطانية تقدير استقلال ليبيا وسيادتها واحترام قوانينها والامتناع عن أى عمل يتنافى مع هذا الالتزام ومع روح المعاهدة والامتناع بصفة خاصة عن أى نشاط سياسى بليبيا . وتتخذ حكومة المملكة المتحدة التدابير المناسبة لهذه الغاية .

٣ - تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة بأن تستعمل استعمالا مقصورا عليها غير منقطع للاغراض العسكرية الأراضى والمباني وكل شئ فيها أو عليها المبينة فى الملحق رقم (١) لهذه الاتفاقية، وتتخلى حكومة المملكة المتحدة عن الأراضى والمباني فى الملحق رقم (٢) لهذه الاتفاقية ضمن المدد المبينة فيها .

٤ - تضع حكومة ليبيا بين الحين والحين تحت تصرف حكومة المملكة المتحدة مساحات من الأرض تتفق عليها الحكومتان لاستعمالها لفترات قصيرة للتدريب والتمرين ، ولا تكون هذه المساحات من الأرض مجاورة لمراكز أهلة بالسكان أو مناطق مزروعة

٥ - وتتخذ حكومة ليبيا كذلك الخطوات لتضع تحت تصرف حكومة المملكة المتحدة مساحات أخرى من الأرض ذات اتساع معقول تتفق على انها مناسبة للامتداد المعقول للمنشآت غير الكاملة المذكورة فى الملحق رقم ١ ولتعويضها عند اللزوم عن الأراضى والمباني التى تسلم بموجب الفقرة ١ من هذه المادة .

المادة ٤ - (١) يجوز لحكومة المملكة المتحدة أن تمارس مراقبة تامة على الطائرات والسفن والمركبات التى فى الأراضى المتفق عليها وعلى الداخلة اليها والخارجة منها الا اذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك .

(٢) تتخذ حكومة ليبيا التدابير لفرض المراقبة على الطائرات والسفن والمركبات التى داخل المناطق القريبة من الأراضى المتفق عليها والتى تدخل اليها وتخرج منها حسبما تتفق عليه الحكومتان من انه لازم لتنفيذ أغراض هذه الاتفاقية ولضمان سلامة القوات البريطانية وممتلكاتها بليبيا .

المادة ٥ - بناء على طلب حكومة المملكة المتحدة وبالاتفاق بين الحكومتين تضع حكومة المملكة المتحدة للاغراض العسكرية حق مد الأنابيب وانشاء مصارف للمياه وقنوات للرى وسكك حديدية ومد

الكابلات والأسلاك على وجه أى أرض أو مياه أو فوقها أو تحتها
وحق صياتتها .

المادة ٦ — يجوز لحكومة المملكة المتحدة بشرط أن توافق حكومة
ليبيا أن تنشئ الطرق والجسور اللازمة وأن تصونها وان تحسن تعمق
المرافئ والممرات البحرية والمداخل والمراسى المؤدية الى الأراضى المتفق
عليها .

المادة ٧ — (١) تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة أن
تنشئ وتستعمل أجهزة الاتصالات وتسمح كذلك بإنشاء محطة اذاعة
عسكرية واستعمالها ضمن الاراضى المتفق عليها .

ونظمت المواد ٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ كيفية تنظيم الأمن
وخدمات البريد وحفظ الصحة فى الأراضى المتفق عليها وكذلك مع
الأراضى والخدمات والتسهيلات العامة .

ونصت المادة ١٦ على أن المنشآت الدائمة التى تقام على الأراضى
المستأجرة والمملوكة ملكا خاصا والمستعملة لأغراض عسكرية بموجب
هذه الاتفاقية تصبح ملكا لصاحب الأراضى ، أما كافة الممتلكات التى بنتها
أو اقامتها أو استوردت عليها أو حصلت عليها فى ليبيا حكومة انجلترا
بموجب أو قبل هذه الاتفاقية فتظل ملكا لبريطانيا ويجوز نقلها
بدون قيد .

ونصت المادة ١٨ على أنه يجوز للحكومتين الليبية والبريطانية الاتفاق
على أن استعمال أى أرض يملكها الأفراد من قبل بريطانيا للأغراض
العسكرية يكون خاضعا لترتيبات مباشرة بين السلطات البريطانية
وأصحاب الاراضى وفى هذه الحالة يجوز شراء الأرض أو استئجارها
مباشرة من أصحابها وإذا اقتنعت حكومة ليبيا بأن هناك رفضا غير معقول
من جانب أحد ملاك الاراضى بعد عرض تعويض عادل عليه لوضع أرضه
فى متناول الاستعمال لأغراض هذه الاتفاقية ، فأنها تتخذ التدابير اللازمة
لوضع مثل هذه الارض تحت التصرف بعد دفع التعويض العادل .

المادة ١٩ — اذا وافقت حكومة ليبيا بناء على حكومة المملكة المتحدة ان تصون او تنمى اية تسهيلات مثل المرافق والموانى والمراسى والمطارات والطرق والسكك الحديدية بليبيا الى مستوى ما كانت تصل اليه لولا الطلب المذكور تدفع حكومة المملكة المتحدة لحكومة ليبيا مبلغا تتفق الحكومتان على اساسه قبل الشروع فى العمل المطلوب .

المادة ٢٠ — (١) تمنح حكومة ليبيا للقوات البريطانية ولسفن المملكة المتحدة وطائراتها ومركباتها الحكومية بما فى ذلك المركبات المصفحة حرية دخول الاراضى المتفق عليها والخروج منها والتنقل بينها برا أو بحرا أو جوا . ويشمل هذا الحق الاعفاء من الارشاد والتحرى الاجبارى ومن كافة رسوم المرور ويجوز لسفن صاحبة الجلالة البريطانية زيارة موانى ليبيا بعد اشعار معقول .

(٢) تسمح حكومة ليبيا لطائرات المملكة المتحدة الحكومية بالطيران على الأراضى الليبية وفى حالة الاضطرار بالهبوط عليها وبالقيام منها بما فى ذلك المياه الاقليمية . بيد انه لا يجوز لطائرات المملكة المتحدة الحكومية أن تطير على المدن الا فى حالات الاضطرار وبشروط يتفق عليها بين الحكومتين ولا على المناطق التى تحرمها حكومة ليبيا على الطائرات الأجنبية بصفة عامة ويسمح لطائرات المملكة المتحدة باستعمال المطارات الليبية بالشروط التى تطبق على الطائرات الأجنبية بصفة عامة ما عدا انها تتمتع بتسهيلات المرور بمطار بنينة المدنى .

(٣) بالاتفاق بين الحكومتين يكون للقوات البريطانية وسفن المملكة المتحدة ولطائراتها ومركباتها الحكومية حرية التنقل فى مناطق ليبيا الأخرى لأغراض هذه الاتفاقية .

(٤) يتمتع أعضاء القوات البريطانية بصفتهم الشخصية بنفس حرية التنقل التى يتمتع بها الأجانب بصفة عامة بليبيا . وتقبل حكومة المملكة مبدأ ان أعضاء القوات البريطانية يجب أن لا يرتدوا الملابس العسكرية بطرابلس وبنغازى خارج واجباتهم وعليه يرتدى عادة أعضاء

القوات البريطانية العسكريون أثناء وجودهم في طرابلس وبنغازى الملابس المدنية خارج واجباتهم بيد انه فى الظروف الاستثنائية يجوز للسلطات العسكرية بعد التشاور مع السلطات الليبية أن تصدر أوامر أو تعطى الاذن لهؤلاء الأعضاء بارتداء الملابس العسكرية .

ويعاد النظر فى هذا الترتيب بعد خمس سنوات .

المادة ٢١ - (١) تتسلم السلطات الليبية مسؤولية تشغيل مطار طرابلس المدنى وصيائته تسليما تاما فى أسرع وقت ممكن .

(٢) فى هذه الأثناء يستمر سلاح الطيران الملكى على نفقته فى تقديم المساعدة الفنية وخلافها حسب ما يتفق عليه لحسن تشغيل المطار .

(٣) تضع حكومة ليبيا تحت تصرف سلاح الطيران الملكى الأراضى اللازمة القريبة من الناحية الشرقية من مطار طرابلس المدنى لتمكينه من الاستعاضة عن التسهيلات للمدى الذى يتمتع به حاليا فى المطار . ويسلم سلاح الطيران الملكى الى حكومة ليبيا تسهيلات المطار تدريجا فى مدة لا تتجاوز خمس سنوات . ويستمر سلاح الطيران بعد ذلك فى تقديم المساعدة الفنية والمساعدات الأخرى الى السلطات الليبية حسب ما يتفق عليه بين الحكومتين .

(٤) يجوز لسلاح الطيران أن يحتفظ بسربين أو أى عدد آخر من الأسراب يتفق عليه مع حكومة ليبيا فى الأراضى المتفق عليها بمطار طرابلس المدنى .

المادة ٢٢ - (١) تسمح حكومة ليبيا لحكومة المملكة المتحدة باحضار أعضاء القوات البريطانية الى ليبيا وبأن تنقل هؤلاء الأعضاء منها وتقوم حكومة المملكة المتحدة باعلام ليبيا من حين لآخر عن عدد القوات البريطانية الموجودة بليبيا على ألا يتجاوز ذلك العدد ما يتفق عليه الحكومتان .

(٢) لا تطبق مقتضيات الجوازات والتأشيرات على أعضاء القوات

البريطانية العسكريين ولكن تزودهم حكومة المملكة المتحدة ببطاقات مناسبة لتحقيق الشخصية .

(٣) لا تدفع رسوم مرور على دخول أعضاء القوات البريطانية الى ليبيا أو الخروج منها أو التنقل فيها .

المادة ٢٣ — تعفى حكومة ليبيا أعضاء القوات البريطانية من القوانين التى تنص على تسجيل الأجانب ومراقبتهم .

ونصت المادة ٢٤ على كيفية إعادة أعضاء القوات البريطانية السابقين الى أوطانهم والمادة ٢٥ على انه لأعضاء القوات العسكرية فى ليبيا أن يحوزوا وأن يحملوا أسلحة حسب مقتضيات الظروف والمادة ٢٦ على تنظيم الشراء محليا والمادة ٢٧ على استخدام العمال المحليين .

ونصت المادة ٣٠ على القوات البريطانية بليبيا تعفى من جميع الضرائب والرسوم الا ما كان له صفة خاصة ونظمت المواد ٣١ و ٣٢ كيفية التقاضى .

هذه هى النصوص التى تضمنتها تلك المعاهدة الجائرة وقد قدمها رئيس وزراء ليبيا الى البرلمان الليبى بمذكرة تفسيرية جاء فيها ما يلى :

عندما تولت الحكومة الليبية المؤقتة زمام الحكم فى ليبيا قبيل الاستقلال كان جنود بريطانيون يعسكرون فى كل من طرابلس وبرقة وكان هؤلاء بقية ذلك الجيش الذى دخل البلاد أثناء الحرب قبل ذلك بسنوات قليلة ، ومن المعلوم من جهة أخرى ان الجمعية العمومية للأمم المتحدة كانت رفضت أثناء النظر فى القضية الليبية ما تقدمت به بعض الدول من اقتراحات لاجلاء الجنود الأجنبية وتركت المسألة لتسوى بين حكومة ليبيا والحكومات المختصة وكان لزاما على الحكومة الليبية بناء على ذلك تنظيم حالة الجنود البريطانية ، فعقدت اتفاقية مع بريطانيا للاحتفاظ بالحالة الراهنة بعد الاستقلال من جهة ولضمان تلقى العون المالى من جهة أخرى ، وذلك بصفة مؤقتة الى أن تتاح الفرصة للحكومة الليبية الدستورية لمواجهة المشكلة وحلها بموافقة ممثلى الأمة .

الاتفاقية العسكرية

شرعت الحكومة فى التفاوض فى الاتفاقية العسكرية فى يوم ١٤ يناير الماضى واستمرت حتى آخر شهر مايو بطرابلس ثم استؤنفت بلندن فى يوم ٧ يونيو الى أن تم الاتفاق على موادها فى أواسط شهر يوليو الماضى وتتألف الاتفاقية العسكرية من خمس وثلاثين مادة .

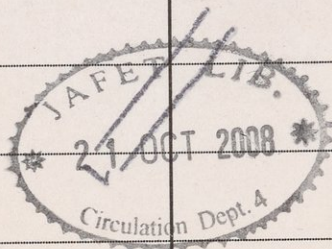
تنص المادة الأولى على التشاور بين الطرفين للتأكد من بلوغ قواتهما المسلحة المقدرة اللازمة على التعاون ولايجاد التناسق بينهما فى وسائل التدريب والتجهيز على قدر الامكان وتسهيل بريطانيا تزويد الجيش الليبي بالأسلحة ولكن الحكومة الليبية حرة فى الشراء أو التوريد بالأسلحة أينما شاءت .

ثم انتقلت المذكرة الى الحديث عن مواد الاتفاق فكان مما تضمنته ان للقوات البريطانية حرية التنقل داخل المناطق المتفق عليها وحرية تنقلها خارجها بالاتفاق بين الحكومتين ، وتنص على حرية الطائرات البريطانية فى الطيران على أراضى ليبيا ماعدا المدن الا بشروط يتفق عليها وما عدا المناطق التى تحرم ليبيا الدخول إليها ، ويجوز لها الهبوط فى حالة الاضطرار واستعمار المطارات الليبية بالشروط التى تطبق على الطائرات الأجنبية عامة ، كما تمنح سلاح الطيران البريطانى انشاء محطة له فى الناحية الشرقية من مطار طرابلس المدنى لايواء سربين من الطائرات مع استعمال مدارج المطار .

ويعفى أعضاء القوات البريطانىون العسكريون من اجراءات جوازات السفر ومن قوانين تسجيل الأجانب ومن أداء امتحان قيادة السيارات ومن رسومها وتعفى الحكومة البريطانية من دفع الرسوم الجمركية عن المواد والبضائع التى تستوردها لأغراض الاتفاقية فى حين يعفى أعضاء القوات البريطانية من الرسوم عن أثاثهم وأمتعتهم الشخصية وسياراتهم عند أول وصول الى ليبيا فقط .

وبصفة عامة لا تدفع الحكومة البريطانية أية رسوم أو ضرائب عن
أى شىء تقوم به فى ليبيا لأغراض الاتفاقية ، كذلك لا يدفع أعضاء القوات
البريطانية أية ضريبة أو رسوم على دخلهم او ممتلكاتهم المنقولة ، ويعفى
المتعهدون البريطانيون الذين ليس لهم أعمال أخرى فى ليبيا من ضريبة
الدخل عن تعهد مع الحكومة البريطانية خاص بأغراض الاتفاقية ، بيد
ان أعضاء القوات البريطانية يدفعون ضريبة الراديو وضريبة تسجيل
السيارات والرسوم الجمركية عن الوقود لسياراتهم الخاصة .

DATE DUE



956:F941sA:c.1

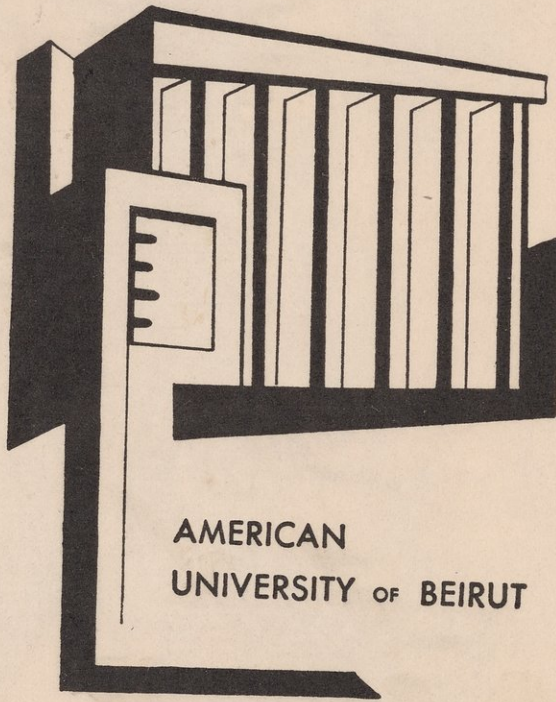
فؤاد، احمد عبد المجيد

الصراع العالمي الحديث في الشرق ال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01051821



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

956
F9415A
81